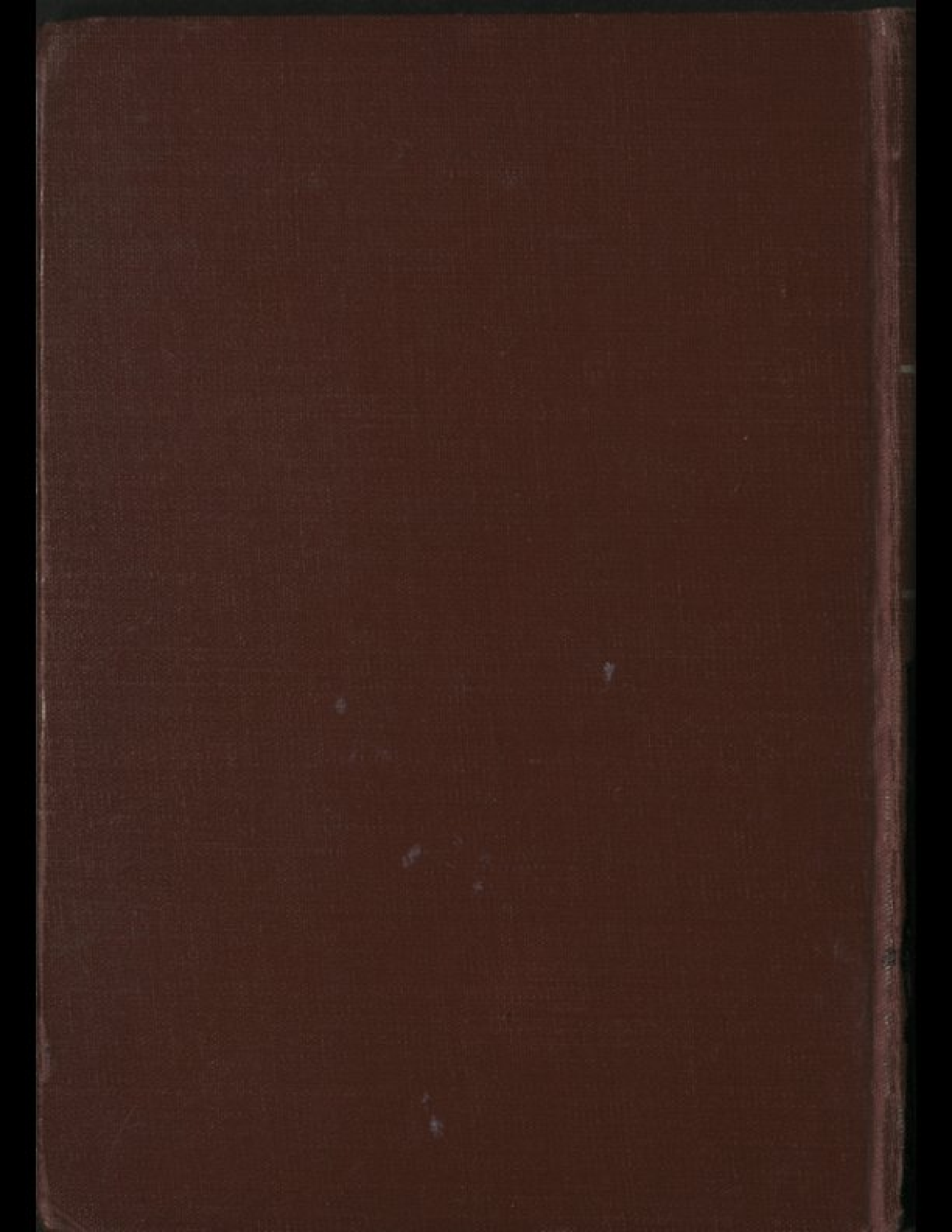
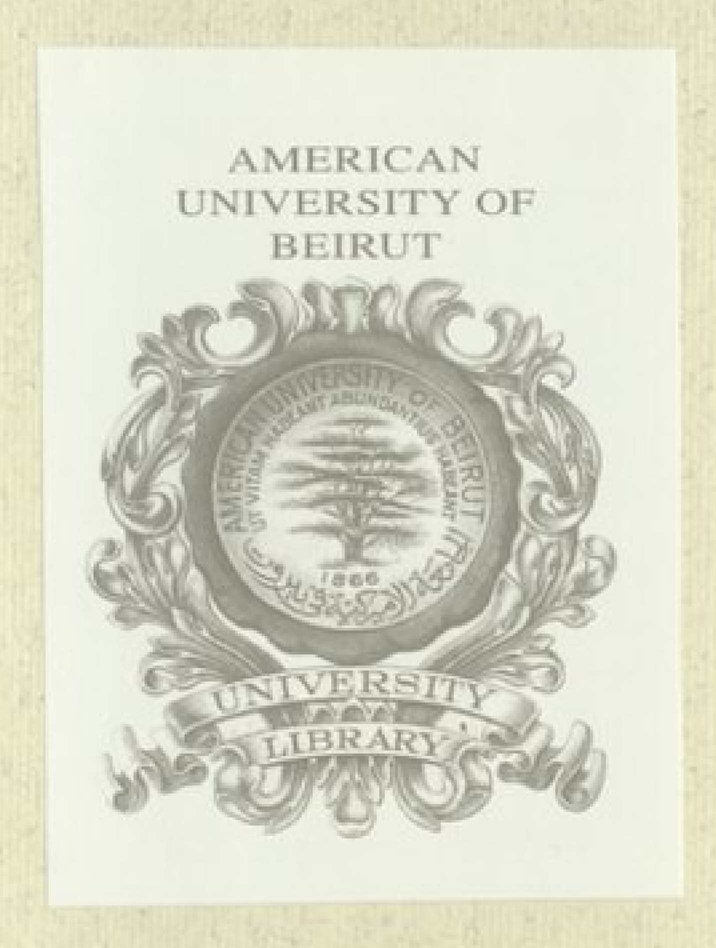
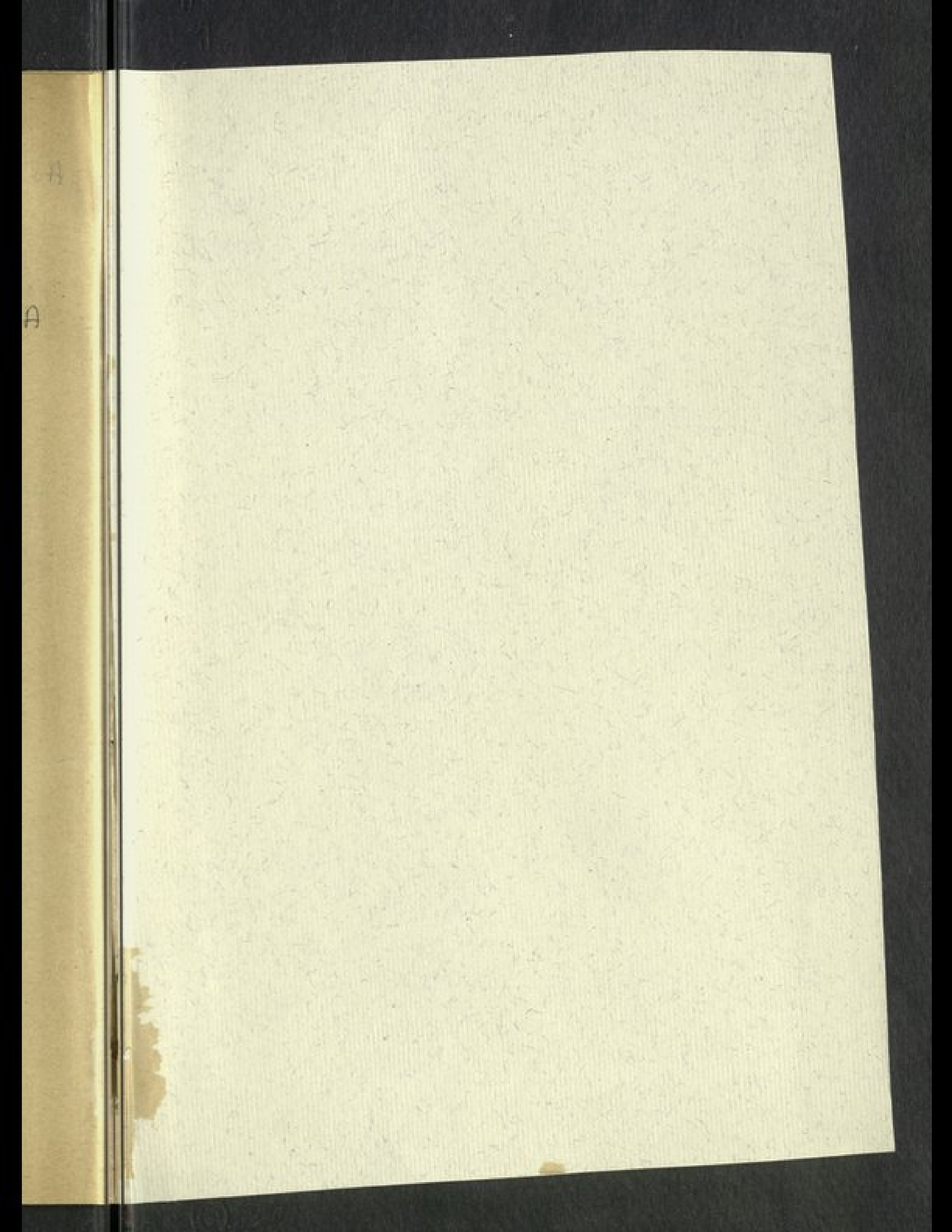



AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
UT VITAM HABEANT ABUNDANTIUS HABEANT
1866
UNIVERSITY
LIBRARY



مباحث اجنبية في تاريخ لبنان

الاقطاعية في مصر وسوريا وفلسطين ولبنان

١٢٥٠ - ١٩٠٠

بقلم

ا. ن. بولياك

أ. ع.، د. ف.

لوندن ١٩٣٩

نقله عن الانكليزية

عاطف كرم

ب. ع.

منشورات دار المكشوف

بيروت. لبنان ١٩٤٨ الطبعة الثانية

عنوان الكتاب بالانكليزية

FEUDALISM

in

EGYPT, SYRIA, PALESTINE AND THE LIBANON

1250 - 1900

by

A. N. POLIAK, M.A. Ph D.

London, 1939.

الطبعة الثانية ، بيروت — لبنان ، كانون الاول ١٩٤٨

مقدمة

لهذا البحث غرضان : اما الاول فتزويد طلاب تاريخ العرب ،- وسواهم ممن يستندون الى المراجع العربية إن في دراساتهم للتغات او في اختصاصهم بآثار الاقدمين وفنونهم ،- ببحث موجز حول انظمة الاقطاع المختلفة التي توالت خلال الحقب في البلدان ذات الصلة ببحثنا . واما الغرض الثاني فاعطاء الباحث في الشرق الاوسط مفتاحاً للعلاقات الاقطاعية وآثارها التي لا تزال ماثلة في هذه البلدان .

ولقد ارفقت هذا البحث بفهرست مقتضب لتاريخ الاسر البارزة التي كانت لها منزلة مرموقة في العهد الاقطاعي .

واسدي شكري الوافر المجلس الملكي للجمعية الاسيوية التي شملت هذا البحث برعايتها .

المؤلف

المحتويات

المصادر الرئيسية

١ – تاريخ ابي الفداء، القسطنطينية، ١٢٨٦ ﻫ .

٢ – تكوين البلدان Reinaud and de Slane, Paris, 1840

٣ – Anonym, Geschichte der Mamlûkensultane in den Jahren 690-741 der Higra, Zetterstéen, Leiden, 1919.

٤ – عيني علي مؤذن زاده، قوانين آل عثمان، القسطنطينية ١٢٨٠ ﻫ .

بالافرنسية : Belin, J. A. 6e Sér. xv (1870) pp. 239-288.

بالالمانية :

P. A. Tischendorf, Das Lehnswesen in den Moslemischen Staaten, Leipzig, 1872, pp. 56-103.

٥ – Berchem, Max Van, Matériaux pour un Corpus Inscriptionum Arabicarum, Paris, 1903 - 1930.

٦ – الذهبي، دول الاسلام، حيدر اباد، ١٣٣٧ ﻫ .

٧ – الدمشقي، نخبة الدهر Mehren, St. Petersburg, 1886.

٨ – ابن عبد الظاهر، الالطاف الخفية Moberg, Lund, 1902.

٩ – ابن بطوطة ، تحفة النظار .

Defremery and Sanguinetti, Paris, 1893-1899.

١٠ – ابن دقماق ، كتاب الانتصار Vollers, Bûlâq 1893

١١ – ابن حجر ، الدرر الكامنة ، حيدر آباد ، ١٣٤٨ – ١٣٥٠ ﻫ .

١٢ – ابن اياس ، بدائع الزهور ، م ١ ، ٢ ، ٣ ، بولاق ، ١٣١١ – ١٣١٢ ﻫ . م ٤ ، ٥ ، اسطنبول ١٩٣١ – ١٩٣٢ .

١٣ – ابن الجيعان ، التحفة السنية Moritz, Cairo, 1898.

١٤ – ابن خلدون ، كتاب العبر ، بولاق ، ١٢٨٤ ﻫ .

١٥ – ابن الشحنة ، الدر المنتخب ، بيروت ، ١٩٠٩ .

١٦ – ابن تغري بردي ، النجوم الظاهرة .

Popper, Berkeley, 1909 etc.

١٧ – ابن تغري بردي ، حوادث الدهور .

Popper, Berkeley, 1930.

١٨ – ابن تغري بردي ، المنهل الصافي .

Mss. Paris, Slane, 2068-2072.

١٩ – صالح بن يحيى ، تاريخ بيروت (الطبعة الثانية) ، بيروت ١٩٢٧ .

٢٠ – الاسحاقي ، اخبار الاول ، القاهرة ، ١٣١٥ ﻫ .

٢١ – الجبرتي ، عجائب الآثار ، القاهرة ، ١٢٩٧ ﻫ .

٢٢ – المقريزي ، خطط ، بولاق ، ١٢٧٠ ﻫ .

٢٣ – المقريزي ، سلوك .

Quatremère's, translation and notes, Paris, 1837-1844.

Mariti, Geschichte Fakkardins (from the Italien), – ٢٤
Gotha, 1790.

٢٥ – ميخائيل الدمشقي ، تاريخ حوادث الشام ولبنـــان ، (طبعة معلوف) ، بيروت ، ١٩١٢ .

٢٦ – مجير الدين ، الانس الجليل ، القاهرة ، ١٢٨٣ ﻫ .

٢٧ – النويري ، نهاية الارب ، القاهرة ، ١٩٢٣ – ١٩٣٥ .

٢٨ – القلقشندي ، ضوء الصبح ، القاهرة ، ١٩٠٦ .

٢٩ – القلقشندي ، صبح الاعشى ، القاهرة ، ١٩١٣ – ١٩١٩ .

Recueil de Firmans Impériaux Ottomans ad- – ٣٠
dressés aux Valis et aux Khédives d'Egypte, Cairo, 1934.

Roque, de la, Voyage dans la Palestine, vers le – ٣١
Grand Emir, Amsterdam, 1718.

٣٢ – رستم باشـــا . Die Osmanische Chronik.
(ترجمها : L. Forrer, Leipzig, 1923.)

٣٣ – اسدج . رستم ، مواد لمجموعة وثائق عربية تتعلق بتاريخ سوريا في عهد محمد علي باشا ، بيروت ، ١٩٣٠ – ١٩٣٤ .

٣٤ – السخاوي ، الضوء اللامع ، القاهرة ، ١٣٥٣ – ١٣٥٥ ﻫ .

٣٥ – الشدياق ، اخبار الاعيان في جبل لبنان ، بيروت ، ١٨٥٩ .

٣٦ – العمري ، تعريف ، القاهرة ، ١٣١٢ ﻫ .

Volney, C. F., Voyage en Syrie et en Egypte, — ٣٧
Paris, 1787.

، Ravaisse ٣٨ — الظاهري ، زبدة كشف الممالك ، طبعة
باريس ١٨٩٤ .

Bouron, N., Les Druzes, Paris 1930. — ٣٩

Cromer, The Earl of, Modern Egypt, 2nd ed. — ٤٠
London, 1911.

Egypte Moderne: I, J. J. Marcel, depuis la con- — ٤١
quête des Arabes jusqu'à la domination française;
II. A. Ryme, sous la domination Française; III. P.
et H., sous la domination de Méhémet Aly, Paris,
1884.

Finn, J., Stirring Times or Records from — ٤٢
Jerusalem Cosular chronicles, London, 1878.

Gaudefroy-Demombynes, La Syrie à l'époque — ٤٣
des Mamelouks, Paris, 1923.

Hammer (- Purgstall) J. Von, Geschichte der — ٤٤
Osmanischen Reiches, 2nd ed., Pest, 1834-6.

Mayer, L. A. Sarasenic Heraldry, Oxford. — ٤٥
1933. Supplemented by New Material for Mamlùk
Heraldry (IPOS., XVII, 1937).

المجلات الدورية

J. A. = Journal Asiatique.
JPOS. = Journal of the Palestine Oriental Society.

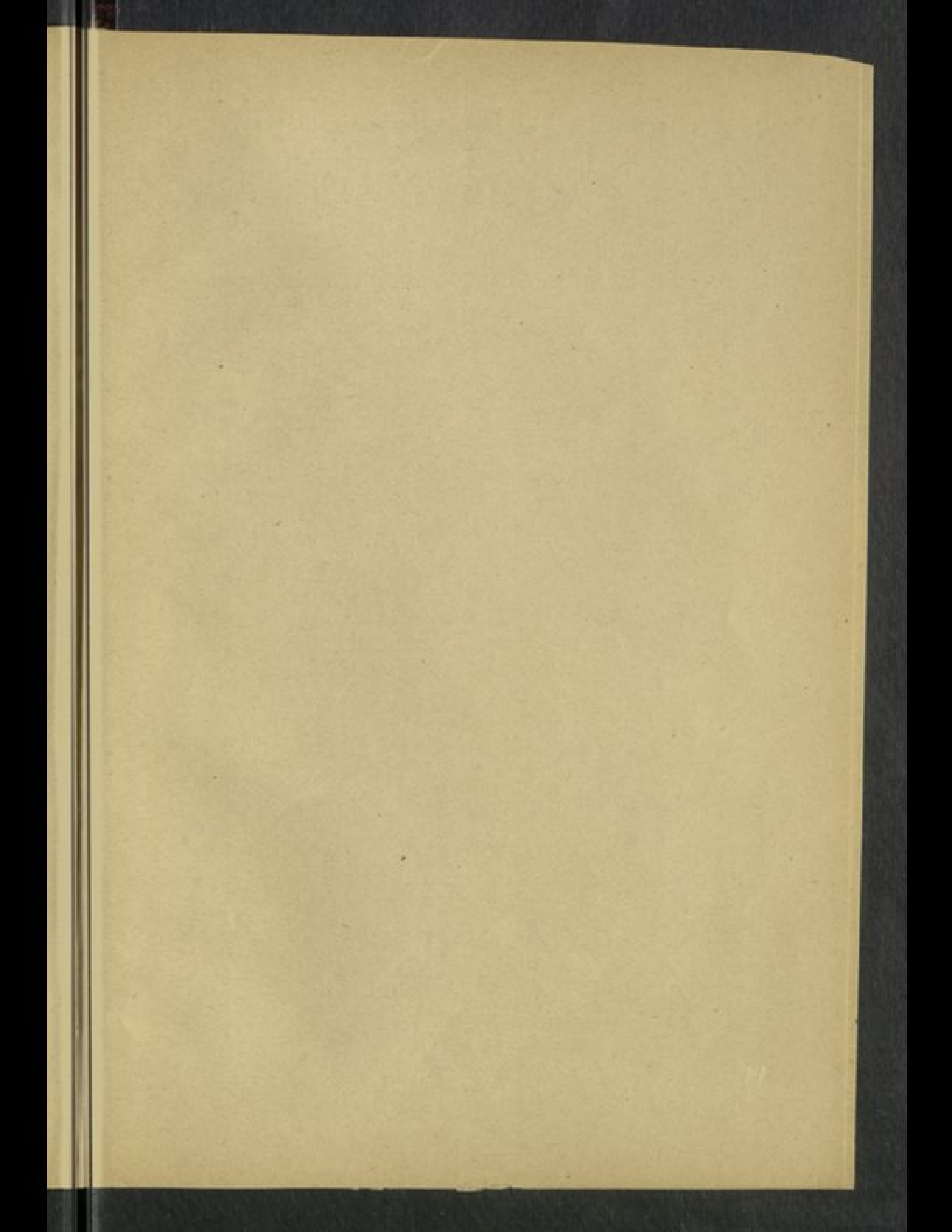
JRAS. = Journal of the Royal Asiatique Society.

Ma. = Almashriq.

PEFQS. = Palestine Exploration Fund Quarterly Statements.

RÉI. = Revue des Études Islamiques.

ZDPV. = Zeitschrift des Deutschen Palästina-Vereins.



النظام الاقطاعي

في

مصر وسوريا وفلسطين ولبنان

١٢٥٠ – ١٩٠٠

جنود الاقطاع عند المماليك

كانت الطبقة الحاكمة في دولة المماليك (١٢٥٠ — ١٥١٧ م = ٦٤٨ — ٩٢٣ هـ .) منظمة بشكل جيوش اقطاعية مؤلفة في اغلبيتها من عناصر اجنبية الاصل . ففي القرنين الثالث عشر والرابع عشر للميلاد كان اكثرهم من « الاوردو الذهبي » (القبائل التترية في روسيا الشرقية)، وفي القرنين الخامس عشر والسادس عشر كان معظمهم من القوقازيين والجراكسة[١] بنوع اخص . وكل

١ عالجتُ هذه المسألة في مجلة الدروس الاسلامية عام ١٩٣٥، ص ٢٣١ — ٢٤٨ .

دمشقي ، ص ٢٦٤ ، س ٧ . ونستطيع زيادة ابن خلدون ، م ٥، ص ٣٧٢ — ٣٧٣ على هذه المصادر .

كانت الاقلية من عناصر غير متجانسة بما فيها الاوروبيون

هؤلاء كانوا ينسبون انفسهم الى الاتراك ، لان اللغة التركية التي يجيدون ويتكلمون كانت تميزهم من سائر الرعاع من ابناء البلاد الأصليين . ولم تكن اللغة التركية يومئذ لتنافس اللغة العربية ، اذ ان الآداب المدونة بالتركية لم تكن على اي جانب من الاهمية ، ولم تكن لتنشر بعد في عالم العلم [١] . ولذا فكلما عمدنا الى التعمق في درس دولة المماليك وعلاقاتهم عولنا بحكم الضرورة على اللغة العربية ، مستندين الى مصادرها الادبية والتاريخية دون ان نعلق كثير الاهمية على المصادر التركية . بيد أنه ينبغي لنا ان نأخذ ببعض التعابير التركية التي كان يستعملها الحكام ، وقد تحورت وتبدلت تحت اقلام تراجمتهم وكتابهم العرب ،

الغربيون (سلوك ، م ١ ، ص ٢٣٥ . حوادث ، ص ٣٣٩ ، ٥٩١) ، ويهود (سخاوي ، م ٥ ، ص ١٩٧ . ابن اياس ، م ٤ ، ص ٢٣٧) .

١ ان درس المواطنين اللغة التركية كان محظوراً من الحكام (ظاهري ، ص ٩٩ ، س ٢٠ و ٢١ . سخاوي ، م ٧ ، ص ١٦٠ ، رقم ٣٩٨) ، مع ان الكتاب الذين توصلوا الى درسها كانوا اصحاب مقام مرموق .

فوصلت الينا من خلال المصادر العربية صورة قريبة للاصل، ولكنها ليست طبقاً له، لاسيما فيما يتعلق بالاسماء والتعابير « التكنيكية ».

اما الشرط الاساسي في تنصيب الامير اميراً والفارس فارساً فهو ان يكون مسلماً ولو بالاسم[1].

ولقد كان الجيش الاقطاعي يأتمر بأمرة سلطان منتخب[2]. ويتألف الجيش من ثلاثة اقسام رئيسية :

[1] خطط ، م ٢ ، ص ٢٢ ، س ٢٦ – ٣٤ . ابن حجر ، م ٣ ، ص ٢٦٣ ، س ١٦ – ١٧ .

[2] ان لقب « سلطان » ورثه الايوبيون والمماليك من الوزراء الفاطميين (بهاء الدين بن شدّاد ، القاهرة ، ١٣٤٦ هـ . ، ص ٢٩ ، س ١) . والهيئة الانتخابية كانت مؤلفة من امراء المئة الذين كانوا يقطنون القاهرة . والمفضلون لتبوإ هذا المركز كانوا إما من اولاد السلاطين السابقين او القوّاد العسكريين المصريين (اتابك العساكر) . وفي بعض الاحيان كان الحاكم العام السوري يطمع في هذا المركز اذا اختلف عليه طالبوه او يتولاه عنوة بثورة اهلية . وبعد الانتخاب كان الخليفة يقره في منصبه .

القسم الاول : « اجناد الحلقة » ، وهم فرسان يأتمرون بارادة السلطان دون ان يكونوا ملكاً له .

القسم الثاني : يعرف « بالمماليك الملكيين » ، وهم ملك السلطان ينعتون بـ « المشتروات » و « السلطانية » و « السيفية » .

القسم الثالث : يشتمل على الامراء ومماليكهم [1] .

والى جانب هذه الفرق يجب ان نذكر :

١ — « البحرية » وهم اجناد مماليك السلطان الأيوبي المعروف « بالصالح ايوب » والذين اصبحوا على عهد السلطان « قلاوون » حرسه الخاص ابان اسفاره ، وحراس قلعة القاهرة الشهيرة التي كانت تضم في ارجائها القصر الملكي [2] .

١ صبح ، م ٤ ، ص ١٤ ، س ٨ الى ص ١٧ ، س ١ — ١١ . ضوء الصبح ، م ١ ، ص ٢٤٤ ، س ١٨ الى ص ٢٤٥ ، س ١٨ . نجوم م ٤ ، ص ٣٨٦ ، س ١٧ الى ص ٣٨٧ ، س ٩ . ظاهري ، ص ١١٣ ، س ٤ — ١٨ ، ص ١١٦ ، س ٧ — ١٩ .

٢ خطط ، م ٢ ، ص ٢١٧ ، س ٢٠ — ٢٣ . ظاهري ، ص ١١٦ ،

٢ — « الأجناد القرانيص » اي اولئك الاشراف القوقازيين الذين لم يحصلوا على لقب امير بعد ، ولكنهم كانوا من الناحية الاجتماعية بمنزلة الامراء[١] (امير خمسة).

هذا من ناحية التقسيم . اما من جهة القيادة فكان لكل مئة جندي من اجناد الحلقة « نقيب » و « باش » يأتمرون امره . ولكل الف قائد يأتمرون امره وينعت بـ « نقيب الف » .

اما في وقت الحرب فكان لكل اربعين من اجناد

س ١٨ . صبح ، م ٤ ، ص ١٦ ، س ٩ – ١١ . ضوء الصبح ، م ١ ، ص ٢٤٥ ، س ١٦ – ١٧ . ابن اياس م ١ ، ص ٣٣١ ، س ٣ – ٥ . وكان هنالك ايضاً وحدات من البحرية في سوريا وفلسطين (صبح ، م ٤ ، ص ١٨٢ عن دمشق . ظاهري ، ص ١٣٢ عن الكرك) .

١ ظاهري ، ص ١١٥ ، س ١٧ – ٢٠ عن لفظة « قرانيص » او « قرانصة » او « قرناص » . راجع نبذتي في « مجلة الدروس الاسلامية » عام ١٩٣٥ ، ص ٢٤٣ – ٢٤٤ . افضليتهم بدأت على عهد السلطان « برقوق » .

الحلقة قائد يطلق عليه اسم « مقدم الحلقـة »[1]. زد على ذلك ان لـكل قسم من تلك الاقسام فروعاً تتشعب منه . فكان بين مماليك الملك ضباط يعرفون « بالخاصكية[2] » (وهم رسل السلطان الخصوصيين برتبة مرافق) . وآخرون ينعتون بـ « مقدمو المماليك » وكانوا خصيـاناً يعهد اليهم بتثقيف المماليك الفتيان .

وكان المماليك اثنـاء دروسهم العسكرية يعتبرون بمثابة عبيد موقتين يطلق عليهم اسم « المماليك الكتابية » . غير انهم كانوا ارقى طبقة من « العبيد السود » ومن العبيد المواطنين الذين يعرفون « بالغلمان » رغم تساويهم في نظر

١ خطط ، م ٢ ، ص ٢١٦ ، س ٥ – ٦ ، ص ٢١٨ ، س ٨ – ٩ . ظاهري ، ص ١١٦ ، س ١٧ . صبح ، م ٤ ، ص ١٦ ، س ٧ .

٢ ظاهري ، ص ١١٥–١١٦ . راجع ابن اياس ، م ٤ ، ص ٣٥٨ ، س ١٤ – ١٥ . في قائمة جيوش المماليك عـام ١٣١٥ لفظتا « خاصكية » و « خرجية » معناها طبقة الامراء الكبار وطبقة الامراء الصغار (خطط ، م ٢ ، ص ٢١٧ ، س ٣٧ الى ص ٢١٨ ، س ٥) .

القانون.

اما اجناد السلطان فكانوا يدربون في ثكنات قلعة القاهرة [1] (طباق – طبقة). واما لقب «امير» الذي استعمله الكتاب العرب ترجمة للقب بك، فان هو إلا لقب يخلع على كل فارس يأمر كوكبة مؤلفة من خمسة مماليك على الاقل [2]، ويحمل وثيقة خطية بهذا اللقب. كما وان بين حاملي لقب امير طائفة من اجناد الحلقة الذين كان في امرتهم من الواحد الى الاربعة مماليك [3]. ومهما يكن فلقد عنى المؤرخون بالامراء اولئك الاقطاعيين الذين

١ صبح، م ٣، ص ٤٨١، س ١٨. ظاهري، ص ٢٧، س ٥–٧. حوادث، ص ٦٥٨، س ٢ – ٣. بعض «مقدمي المماليك» كانوا يعملون كمراقبي ثكنات الجيش فينعتون اذ ذاك «اغوات الطباق» (راجع ابن اياس، م ١، ص ١٦٨، س ٦، م ٤، ص ٤٨٥)، والبعض الاخر كان يوكل اليهم اعطاء التعليمات فقط.

٢ بولياك، في مجلة الدروس الاسلامية، عام ١٩٣٥، ص ٢٦٤، رقم ٣.

٣ بولياك، في مجلة الدروس الاسلامية، عام ١٩٣٥، ص ٢٤٧، رقم ٤.

يأمرون خمسة مماليك (باستثناء ابن يحيى) فما فوق .

وهنالك « امراء مئة » يأمرون مئة مملوك (واحيانا مئة وعشرين) [1] . امـا امير « الطبلخانة » [2] فكان يقود فصيلة من اربعين مملوكاً (واحياناً ثمانين) . وامير العشرة يأمر عشرة (واحيانـاً عشرين). وامـير الخمسة يأمر خمسة منهم .

هذا في وقت السلم . واما في وقت الحروب فكان امير المئة يقود ايضاً الفاً من « اجنـاد الحلقة » . لذلك كان ينعت بامير « المئة » ومقدم « الف » او « مقدم » وحسب ،

١ هؤلاء المماليك كانوا يعرفون بمماليك الامراء (نجوم ، م ٦ ، ص ٣٨٧) . جند (او اجناد) الامراء (خطط ، م ٢ ، ص ٢١٦ . صبح ، م ٧ ، ص ١٥٩) . « طواشية » (صبح ، م ٧ ، ص ١٥٩ . ابن يحيى، ص ٧٩ ، ٩٣ ، ٩٤ . ابن الشحنة، ص ٢٢٥) . « فوارس » (خطط ، م ٢ ، ص ٢١٥ . صبح ، م ٤ ، ص ١٥) . وهذا اللقب الاخير كان يستعمل بالحرب لغيرهم من الفرسان .

٢ وكانت موسيقى الجيش تضرب على ابواب مساكنهم استقبالاً ووداعاً ، كما تضرب على ابواب امراء المئة . راجع : سلوك ، م ١، ص ١٧٣ – ١٧٤، رقم ٥٤ . ابن اياس، م ٥، ص ٢٧٠، س ١١–٢١.

وبـ « امير الالف » احياناً ، كما ان « مماليك الملك » (اوردها ابن اياس بوجه خاص) ، اثناء القيام بواجبهم ، كانوا بدورهم في طاعة امراء ايضاً .

وبينا « اجناد الحلقة » يوزعون على « قواد الالف » بطريقة ثابتة [1] مستديمة ، كان القائد والمماليك الذين في امرته يعينون جميعاً بامر خاص من السلطان [2] حسب مقتضيات الحاجة والاحوال .

وكان المماليك الملكيون يمنحون الاقطاعات والاخاذات مكافأة على خدماتهم ، ووظف لهم مرتب شهري (جامكية) ومنحة سنوية لشراء الكسا (الكسوة) ومال يعرف « بالرواتب » . زد عليه اعطاءهم حاجتهم من الشعير علفاً لخيولهم ، والخام لبناء خيامهم ، واللحم قوتاً يومياً لهم

١ ابن اياس ، م ٤ ، ص ٥١ ، س ٦ — ٧ ، ص ٩٩ ، س ٨ ، ص ١٠٥ ، س ١٩ — ٢١ ، م ٥ ، ص ١٢٦ ، س ١٩ — ٢١ .

٢ خطط ، م ١ ، ص ٨٧ ، س ٣٩ الى ص ٨٨ ، س ١٠ . نجوم ، م ٦ ، ص ٣٨٧ ، س ١ — ٢ .

ولعيالهم. وتسبغ عليهم السلطة « الضحايا » في مواسم الاعياد ، ويتقاضون في الحروب نفقة خاصة . ولدى ارتقاء سلطان جديد سدة الحكم ، كانت تغدق عليهم المكافآت القيمة بغية التشجيع ايضاً [1] . غير ان الحال تبدلت نوعاً عام ١٣٩٥ اذ ضم السلطان « برقوق » اقطاعة ولده محمد المتوفى (وكان امير الف) الى املاك السلطان بعد ان كان منتوج هذه الاقطاعة مخصصاً لدفع « الجامكية » للمماليك الملكيين . وكان لهذه الاقطاعة مجلس اداري يعرف « بديوان المفرد » او « الديوان المفرد » يرأسه « الاستادار الكبير » . لذا كان ينعت ايضاً « بديوان الاستادارية » . ومن ثم عرضت حاصلات تلك الاقطاعة لواجب اضافي آخر وهو منح المماليك الملكيين وعمال

١ راجع ابن اياس، م ٢، ص ٥٧، س ٢٠ و ٢١ . م ٤، ص١٣–١٤ ، ١٧٧ ، ٢٣٥ ، ٣٦٩ . صبح ، م ٤ ، ص ٥١ ، س ٨ . نجوم ، م ٦ ، ص ٣٨٧ ، س ٥ و ٦ . « نفقة السلطانة » ابن اياس ، م ١ ، ص ٢٦٠ ، س ١٠ = « نفقة البيعة » .

السلطان التجاريين « الكسوة » والعلف ودفع الرواتب لرجال الدين . ولما لم يف مدخول الاقطاعة بتغطية كل هذه المصاريف أضطرت السلطات الى ان تضيف اليه عدة عقارات ثانوية يصرف دخلها في هذا السبيل ، وان تجمع الضرائب للغاية نفسها من المصريين في مقاطعات الحكام ومن شيوخ البدو عند تعيينهم شيوخاً [1] .

ولا مندوحة عن الادلاء بان الوزير المصري نفسه كان مسؤولاً عن تقديم اللحوم للمماليك الملكيين . وكان المجلس المعروف « بديوان الوزارة » او « ديوان الدولة » يضمن الاراضي ويستغل مناجم النطرون في « الطرانة » [2]

١ نجوم ، م ٥ ، ص ٦٢٦ ، س ٦ – ١٣ ، م ٦ ، ص ١٠٤ ، س ٢٠ ، ص ٤٩٣ ، س ١٢ – ١٤ . منهل ، م ٥ . حوادث ، ص ٣٨ ، س ٥ ، ص ٦٩١ . ظاهري ، ص ١٠٦ ، س ٢١ – ٢٢ ، ص ١٠٧ ، س ٤ – ١٧ . سلوك ، م ١ ، ص ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، رقم ٢٥ . صبح ، م ٣ ، ص ٤٥٧ ، س ٢ – ٧ ، م ٦ ، ص ٢١٥ ، س ٦ .

٢ حوادث ، ص ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٩٢ ، ٣٢١ ، ٦٩١ . ظاهري ، ص ٩٧ ، س ١٥ – ٢١ . صبح ، م ٣ ، ص ٤٥٥ ، ٤٥٦ .

ويجبي الضرائب ليدفع اثمان تلك اللحوم . اما « الضحايا » والذخيرة والمؤونة والكسا في ايام الحروب فكانت منوطة بمجلس آخر يعرف « بديوان الخاص » اسسه السلطان « محمد بن قلاوون » على ان يدير شؤونه « الناظر الخاص »[١] .

واعترت الدولة اذ ذاك صعوبات مادية واقتصادية كانت سبباً مباشراً لخلق هذا التقسيم في قلب الخزينة التي كان ينبغي ان تظل موحدة . وبالرغم من هذا التقسيم فان الصعوبات في ضبط ميزانية الدولة ظلت امراً عسيراً يستحيل قهره وتذليله .

وكان لفرسان الحلقة اقطاعات ايضاً . وقبل عام ١٢٩٨ كان امراء المئة[٢] يصلون هؤلاء الفرسان بمؤونتهم ومؤونة خدامهم .

وكان للامراء ايضاً اقطاعات ، ولهم نفقة يتقاضونها قبل ذهابهم الى ساحة الوغى . ولقد خص كل من قطن

١ ظاهري ، ص ١٠٨ ، ١٠٩ . صبح ، م ٣ ، ص ٤٥٦ .
٢ خطط ، م ١ ، ص ٨٧ ، س ٣٩ الى ص ٨٨ ، س ٢ .

القاهرة منهم بالطعـــام واللحم والخبز والحلوى والزيت والعلف والثياب والشمع [1] . وكان السلطان يصلهم بالهدايا والخيل مرتين في العام [2] ويعطي البيوت والاراضي لاكثرهم نفوذاً [3] . وكانت هذه الاراضي تعتبر ملكاً خاصاً لا يخضع لنظام الاقطاع . اما في الشتاء فيعطى المماليك الملكيون والامراء رقعاً من الارض في جوار "الجيزة" بدلاً من العلف . ولقـــد زرعت هـذه الرقع بالعشب الاخضر "كالخندقوق" و "المديد" المعروف "بالربيع" وفي التركية "بالاطلاق" (معربة اطلاقات) . وتتراوح مساحة كل منها بين نصف فدان [4] ومئات الفدادين ، بحسب رتب الذين

١ صبح ، م ٤ ، ص ٥١ ، س ٧ - ٨ . ضوء الصبح ، م ١ ، ص ٢٥٨ ، س ١٥ — ١٦ .

٢ خطط ، م ٢ ، ص ٢١٦ ، س ٢٩ — ٣٠ .

٣ صبح ، م ٤ ، ص ٥٥ ، س ١٤ — ١٧ .

٤ الفدان المصري كان قبل محمد علي يساوي ٥٩٢٩ متراً مربعاً ، ثم اخذ ينقص شيئاً فشيئاً حتى امسى ٤٢٠٠،٨٣ . راجع جبرتي ، م ٤ ، ص ٢٠٨ ، س ٢٤ . البرنس عمر طوسون « ذكريات

تخلع عليهم وعدد خيولهم. وهذا ما حدا الوزير[1] الى اعادة النظر بالتقسيم في مطلع كل عام.

ويقدم السلطان احياناً على سبيل التقدمة الشخصية — لطائفة من الاقطاعيين والافراد والمؤسسات — مرتباً معيناً يعرف «بالمسموح»[2].

غير أن ارادة السلطان لم تشأ منح المماليك العاديين نصيباً من الاقطاعات او المال، بل ارغمت كل امير على اعطائهم ثلثي دخل ما يملك من ارزاق، وذلك اما

عن الاقتصاديات المصرية»، القاهرة، ١٩٢٤، ص ١١٥، ١١٩.

١ سلوك، م ١، ص ١٦ — ١٧، رقم ١٦. خطط، م ٢، ص ٢١٦، س ٢٨ — ٣٠. ابن اياس، م ١، ص ١٣٧، ٢٤٢، م ٢، ص ٥٤، ١٨٠، ٢٤٧، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٨، م ٤، ص ٢٨٣، ٣٣٥، ٤٨٢، م ٥، ص ٢٦٦، ٢٦٧. صبح، م ٣، ص ٤٥٦، س ٣ — ٤. نجوم، م ٦، ص ٢٥١، ٢٥٣. حوادث، ص ١٩، ٩٤، ٢٥١، ٤٦٢، ٤٦٦، ٥٣٧. منهل، م ١، فقرة ٢١.

٢ سخاوي، م ١، ص ٦١، س ٢٠، ص ٦٣، س ١٩، ٢٢. حوادث، ص ٢٥٣، س ١١ — ١٤. وربما وردت «معتدّات» في ابن اياس، م ٤، ص ٤٣، س ١٥ — ١٦، ص ٤٦، س ١٩ — ٢١.

ارضاً تحرث وتزرع [1] واما مالاً نقداً من غلة السنة [2] .

وبالطبع كان بامكان الامير أن يعطي مماليكه قطعاً غير متساوية من الارض حسب مشيئته ورضاه [3] ، كما كان بامكانه الاحتفاظ لنفسه باكثر من الثلث شرط ان يكون ذلك بموافقة مماليكه موافقة تامة لا نزاع فيها [4] . اضف أن الأمير كان ينقدهم قسماً من « النفقة » الشخصية التي يتقاضاها .

اما كتائب الجيوش فلم تكن محدودة . وزعمت بعض المصادر ان في كبار ولايات المماليك عدداً ضخماً من الجنود ، فقيل أنه كان هنالك ستة عشر الف مملوك

١ خطط ، م ٢ ، ص ٢١٦ ، س ٢ . نويري ، م ٨ ، ص ٢٠٧ ، س ١ — ٥ .

٢ ابن اياس ، م ٢ ، ص ٣٣٧ ، س ٢١ — ٢٦ . الثلث الباقي للامير كان يعرف بالملك « الخاص » له . (نويري ، م ٨ ، ص ٢٠٧ ، س ٣ ، ٥ . ابن يحيى ، ص ٩٢ ، س ١٩ الى ص ٩٤ ، س ١٠) ، او « خاصته » (صبح ، م ٦ ، ص ٢٠١ ، س ١٩) .

٣ خطط ، م ٢ ، ص ٢١٦ ، س ٢ .

٤ المصدر نفسه ، س ٣ .

على عهد « بيبرس الاول » ، واثنا عشر الفاً (او٧٠٠٠) في ايام « قلاوون » ، واثنا عشر الفاً في عهد « خليل » ، واكثر من اثني عشر الف « مشتروات » في ايام « محمد بن قلاوون » [1] . والظاهر ، على ما يستدل من الوثائق ، انهم لم يتجاوزوا بعض الآلاف عدداً [2] . وفي عهد « محمد ابن قلاوون » كانت « الخاصكية » تبلغ الاربعين ، وفي عهد « برسباي » بلغت الفاً ، وفي ايام « الغوري » وصلت الى اثني عشر الفاً [3] . وقد بلغ مجموع عدد « مقدمي المماليك »

١ ظاهري ، ص ١١٦ ، س ٧ — ٨ . خطط ، م ١ ، ص ٩٥ ، س ٥ — ٦ . ابن اياس ، م ١ ، ص ١٧٣ ، س ١٤ .

٢ في عام ١٣١٥ بلغ عدد المماليك العاديين الفين ، وعدد « المقدمين » اربعين . اما بعد مئة سنة من هذا التاريخ فاصبح مجموع عدد المماليك الملكيين وفرسان الحلقة معاً اقل من خمسة الاف ، وبينهم اقل من الف محارب حقيقي (خطط ، م ١ ، ص ٩٥ ، س ١٢ — ١٤ ، م ٢ ، ص ٢١٨ ، س ٩ — ١٠) .

٣ ظاهري ، ص ١١٦ ، س ١ — ٣ . ابن اياس ، م ٥ ، ص ٥ ، س ٥ — ٦ .

عام ١٣١٥ اربعين مقدماً [١] . بيد ان عدد « اغوات الطباق » ربما كان مساوياً لعدد الثكنات والقشل [٢] (اي اثني عشر) . وفي ايام السلم كانت مصر مقر المماليك الملكيين وموطنهم (لذا فاننا لا نرى الا في مصر اراضي مخصصة لديوان المفرد وديوان الوزارة) .

وسكن القسم الأوفر منهم « القاهرة » فاستأجر دوراً مستقلة واصطبلات لخيوله [٣] . اما في ما يختص بالامراء وقواد الحلقة فينبغي التنبه الى ان دولة المماليك كانت منقسمة الى عدة ممالك صغيرة ، لكل منها فرسان وامراء يقطنون عادة المركز الاداري الرئيسي فيها . وكانت اقطاعة كل امير او فارس ضمن الدويلة التي يخدم فيها . اما في حالة نقله من مقاطعة الى اخرى فكان ينـــال في محلته

١ خطط ، م ٢ ، ص ٢١٨ ، س ٨ — ٩ .
٢ ظاهري ، ص ٢٧ ، س ٥ — ٧ .
٣ ابن اياس ، م ٤ ، ص ٣٦٩ .

الجديدة اقطاعة جديدة بدل التي كانت في حوزته آنفاً[1].
وقد يعود بصورة استثنائية الى اقطاعته الاولى[2] في احدى الحالتين : اما ان لا تتوافر له اقطاعة شاغرة[3] في محلته الجديدة، واما ان يشمله عطف خاص من السلطان.

وكان الحق في خلق الامراء منوطاً بالسلطان وحده[4] في مصر. اما في سوريا ولبنان وفلسطين فكان الحاكم الأعلى يلفت نظر السلطان الى فرسان الحلقة اللامعين في بلده فيخلع عليهم السلطان لقب « امير »، اذا شاء،

١ حوادث، ص ٣٥٠، س ١٢، ص ٣٥٧، س ١٣ — ١٥، ص ٣٧٢، س ١٩، ص ٦٦٢، س ٦. نجوم، م ٦، ص ٣١٤، س ٥.

٢ ابو الفداء، م ٥، ص ٦١، س ٢٩، ص ٧١، س ٢٦، ٢٧، ص ٧٤، س٦ — ٨. منهل، م ٣. ابن اياس، م ٤ ص ١٢٥، س ٢١.

٣ « الشاغر » (نجوم، م ٧، ص ٨٥١، س ١٢). «محلول» (خطط، م ٢، ص ٢١٧، س ١٥). «متوفِر» (ابن اياس، م ٢، ص ٢٧٧). « موفِر » (نجوم، م ٦، ص ٦٨، س ١٧). «مؤخَر» (نجوم، م ٦، ص ٧، س ١٤).

٤ صبح، م ٤، ص ٥٠، س ١٦ الى ص ٥١، س٢. خطط، م ٢، ص ٢١٧، س ٢٤ — ٢٦.

ويذكر على وثيقتهم الخطية الرسمية اسم الحاكم الأعلى الذي اوصى بهم [1].

وفي عام ٨١٥ و٨٧٥ هـ. اعطى السلطان كبار حكام سوريا وفلسطين حق تسمية « الامراء » و « الفرسان » وحق اعطائهم اقطاعات في بلادهم. وكان اشهر من كسب هذا الحق الحاكم « نوروز الحافظي » سنة ٨٥١، و « يشبك الدوادار » عام ٨٧٥ [2].

وزعم « الظاهري » [3] — وهو من ذكر اعظم الوجوه

١ صبح، م ٤، ص٥١، س ٣ – ٦، ص ١٨٤، س ١٣ – ١٥، ص٢١٧، س ٦ – ٧، م ١٢، ص٢١، س ١٦–١٧، ص ٢١٨، س١٩.

٢ ابن اياس، م ١، ص ٣٥٨، س ٨، م ٢، ص ١٢٧، س ٢–٧. نجوم، م ٦، ص ٣١٤، س ١.

٣ ص ١٠٤، ١٣١ – ١٣٥. في بعض الاحيان نجد شيئاً من الغموض في ما يختص بالامراء المديرين بصورة عامة.

وحسب « صبح » (م ٤، ص ١٨٢، س ١٦ – ٢٠) كان في مقاطعة الشام ١٠ امراء مئة ومن ٤٠ الى ١٥٠ « امير الطبل » و ٢١٥٠ (!) امير عشرة. اما الحاكم العام فينتخب عادة من امراء المئة.

في تلك الدولة – أن مقاطعة دمشق اشتملت على اثني عشر « امير الف »، وعشرين « امير الطبل »، وستين « امير وسط »، واثني عشر الف « فارس حلقة » (وبمقاطعة دمشق نعني جنوب سوريا واكثر اراضي لبنان وشمالي شرقي الاردن والسامرة وشمالي ارض يهوذا) .

وفي مقـــاطعة « صفد » ثلاثة « امراء الطبل » وحوالى عشرين اميراً ثانوياً، والف فارس حلقة . وفي غزة (القرنة الجنوبية من فلسطين) « اميران الطبل »، والف فارس حلقة . وفي طرابلس (ونعني بها طرابلس وارض العلويين الجديدة) اربعة « امراء الف » ، وعشرة « امراء الطبل »، وحوالى ثلاثين اميراً ثانوياً، ومن ثلاثة الى اربعة آلاف « فارس الحلقة » . ثم في « حماه » فكان هنالك اربعة « امراء الطبل » ، واكثر من عشرين اميراً ثانوياً، وحوالى اربعة آلاف « فارس الحلقة » ايضاً . وفي مقاطعة حلب من ستة الى تسعة « امراء مئة » ، وعشرة « امراء الطبل » ، وعشرون « اميراً ثانوياً »، وستة آلاف « فارس

الحلقة » . وفي « ملطية » ثمانية « امراء الطبل » ، واكثر من ثلاثين اميراً ثانوياً ، والف « فارس الحلقة » . اما في مقاطعة « الكرك » (جنوبي شرقي الاردن) فان ظاهري لا يعطينا كثيراً من المعلومات المفصلة . غير ان « مقصد »[1] يزعم ان مقاطعة دمشق كانت تطعم ثمانية « امراء مئة » ، وواحداً وعشرين « امير الطبل » ، واثنين وعشرين « امير عشرين » ، وواحداً وخمسين « امير عشرة » ، وثلاثة وعشرين امير خمسة . وفي مقاطعة صفد اربعة « امراء الطبل » ، وثلاثة « امراء عشرين » ، وستة « امراء عشرة » وثلاثة « امراء خمسة » .

على هذا النحو جرت الحالة النظامية الاجتماعية . اما من الناحية العسكرية فلم يكن في القطر المصري سوى جيش موحد في دولة كبرى تضم الأقضية الصغيرة التي اتينا على ذكرها ، وتأتمر بطاعة السلطان ، فيخلع بنفسه

١ وردت عند جودفروى ديمونبين ، ص ١٤٢ ، ٢٣٤ .

لقب « فارس الحلقة » على من يشاء . وتفرد نائبه باعطاء هذه الألقاب ، وامثالها وخول منح اقطاعات صغيرة لا تتجاوز غلتها السنوية اربعمئة او ستمئة « دينار جيشي » دون مراجعة السلطان [1] في هذا العطاء الزهيد .

والذي نود ذكره هنا ، ايضاحاً لعهد اول سلاطين المماليك ، هو ان مصر ضمت ما يربو عن اربعة وعشرين « امير مئة » . بيد أن هذا العدد مال الى الهبوط بعد تأسيس ديوان المفرد ، فغدا عشرين « امير مئة » ، ثم تدنى الى ثمانية عشر . وعلى عهد السلطان « خشقدم » اصبح عددهم ثلاثة عشر ، وفي ايام « جقمق » اصبح احد عشر . غير ان هذا العدد رجع الى ما كان عليه سابقاً فأضحى سنة ٩٠٨ هـ. اربعة وعشرين « امير مئة » . وامسى عام ٩٢٠ هـ. سبعة وعشرين اميراً [2] . اما عدد الامراء

١ ابن اياس ، م ١ ، ص ٢٢٩ ، س ٢ – ٤ . سلوك ، م ٢ ، ص ٩٥ ، رقم ١١٣ .

٢ صبح ، م ١٤ ، ص ١٤ ، س ١٣ – ١٨ . حوادث ، ص ٤٥٢ ،

الثانويين فلقد كان ابداً لا يستقر على حال [1] .

وفي عام ١٣١٥ بلغ مجموع « امراء الطبل » و « امراء العشرة » ٤٩١ اميراً . ثم في سنة ١٥١٦ اربى عددهم على الثلاثمئة امير ، وكان قد هبط قبل هذه الحقبة هبوطاً محسوساً دون هذا العدد بكثير [2] .

وفي سنة ١٣١٥ بلغ عدد « فرسان الحلقة » ٨٩٣٢ فارساً و٢٠٤ ضباط ، بينما امسى عدد الذين يقطنون القاهرة منهم لا يربو على الاربعمئة (عــــام ١٤١٨) [3] . وعليه فنستنتج ان عدد « فرسان الحلقة » الذين يأتمرون باوامر

س ٢١ . نجوم ، م ٧ ، ص ٢٣٧ ، س ١٣ . ابن اياس ، م ٤ ، ص ٣٠ ، س ١٤ ، ص ٣٥٨ ، س ٦ ، ص ٤٣٤ ، س ٧ .

١ صبح ، م ٤ ، ص ١٥ . ضوء الصبح ، م ١ ، ص ٢٤٥ .

٢ خطط ، م ٢ ، ص ٢١٧ ، س ٣٧ الى ص ٢١٨ ، س ٦ . ابن اياس ، م ٥ ، ص ٥ ، س ٨ – ٩ .

٣ خطط ، م ٢ ، ص ٢١٨ ، س ٨ – ١١ . نجوم ، م ٦ ، ص ٣٨٨ – ٣٨٩ . ان العدد ٢٤٠٠٠ (خطط ، م ١ ، ص ٩٥ ، س ٢ . ظاهري ، ص ١٠٤ ، ١١٦) وُضع على اساس افتراض انه عـدد يساوي عدد امراء المئة (خطط ، م ٢ ، ص ٢١٧ ، س ٣٥) .

« امير مئة » كان بالواقع اكثر من مئة ودون الألف بكثير . اضف الى هذه الجيوش جيوشاً ثانوية اخرى من الوطنيين مؤلفة من التركمان ، والأكراد ، والاسماعيليين ، والقبائل البدوية ، وعشائر الفلاحين في سوريا ولبنان .

واليك نبذة مختصرة عن كل منها :

١ – التركمان والاكراد : (وهم رعيان القبائل) استخدمهم المماليك كجيوش استعمارية في شتى نواحي سوريا ولبنان وفلسطين [١] . ففي عام ١٢٦٧ قام « بيبرس الأول » ووزع التركمان على الشاطىء الفلسطيني ليصد هجمات الصليبيين عنها [٢] . وفي عام ١٣٠٦ قسمت جهات كسروان ، في لبنان ، الى اقطاعات ووزعت على ثلاثمئة

١ ظاهري ، ص ١٠٥ . صبح ، م ٣ ، ص ١٨٢ ، م ٧ ، ص ١٩٠ ، ٢٨٢ ، م ١٢ ، ص ٢١٨ . نجوم ، م ٦ ، ص ٣٦٤ . ابن الشحنة ، ص ٢٢٨ ، و ٢٦٤ . ابن يحيى ، ص ١٠٧ ، ١٨٢ .

٢ سلوك ، م ١ و ٢ ، ص ٥١ . راجع صبح ، م ١٢ ، ص ٢١٨ ، س ١٦ .

فارس تركماني وكلت اليهم حماية الشاطىء من انطلياس (قرب بيروت) الى ضواحي طرابلس [1] . ولزعماء القبائل اصحاب النفوذ والسيطرة ، دون سواهم ، عاد الحق بمنح لقب « امير » (امير عشرة وعشرين وامير الطبل) . على ان منزلة اصحاب هذه الألقاب كانت دون منزلة الامراء الاتراك الذين يحملون اللقب عينه والدرجة نفسها . اما العلامة الفارقة بينهم فكانت في نوع الرخصة الاقطاعية الملكية المعطاة لهم من السلطان [2] .

٢ — القبائل البدوية : منح امراؤها الاقطاعات شرط ان يقوموا بحراسة الطرق ومعاقبة قطاعها [3] ، وان

١ ابن يحيى ، ص ٣٣ ، ٣٧ ، ٤٢ ، ١٦٩ . راجع شدياق ، ص ٢١٢ ، ٣٤٦ .

٢ صبح ، م ٧ ، ص ١٩٠ ، س ٦ — ٧ و ١٧ ، م ١٣ ، ص ١٥٨ ، س ١٩ ، ص ١٩٨ ، س ١٠ — ١١ .

٣ ابن خلدون ، م ٥ ، ص ٣٨٣ ، س ١٥ — ١٦ ، م ٦ ، ص ٦ ، س ٢ — ٣ ، ٩ ، ٢٢ ، ص ٩ ، س ١٢ . صبح ، م ٣ ، ص ٤٥٨ ، س ٤ . سلوك ، م ١ ، ص ١٦٩ — ١٧٠ : ان كل

يرسلوا الخيل الأصيلة هدايا للسلطان في مطلع كل عام [1]، وان يتجندوا خيالة ثانوية في جيش المماليك ابان الحاجة [2].
والى جانب ذلك كان يترتب على زعماء قبائل « الشرقية » وصحراء « سينا » ان يقدموا خيلاً لتأمين المواصلات البريدية على خطي دمياط — بلبيس، والخروبة — بلبيس، وهما فرعان للخط الرئيسي : القاهرة — دمشق [3].

وكلما اظهر زعماء القبائل نفوذاً واسعاً لقبوا بالامراء،

زعيم من الزعماء كان يترتب عليه تقدمة فرقة من « الدرك » وفرقة من « الخفراء » الذين يعسكرون في خيامهم على الطرقات هناك (صبح، م ١٣، ص ٩٥، س ١٤ — ١٩. نجوم، م ٦، ص ٢٩٢، س ٣، ص ٤٨١، س ٨).

١ تعريف، ص ١١٠، س ١٤ — ١٥. صبح، م ١٢، ص ١٢٧، س ١٥ — ١٧، ص ١٣٥، س ١ — ٢.

٢ نجوم، م ٦، ص ٧١، س ١٥، الى ص ٧٢، س ٠. ابن خلدون، ص ٦، س ٩. ابن اياس، م ١، ص ٣٣٠، س ٧ — ١٠.

٣ صبح، م ٣، ص ٤٥٨، س ٤، م ١٤، ص ٣٧٧، س ١ — ٣.

ولقب كل من اتسع نفوذه من زعماء القبائل اميراً (دون ان يعادل الامراء الاتراك منزلة). ومن ضؤل نفوذه منهم اطلق عليه لقب « فارس الحلقة »[1] . ولم يخرج عن القاعدة هذه غير زعيم قبيلة « آل فضل »[2] الجبارة الذي

١ صبح ، م ٣ ، ص ٤٥٨ ، س ٣ - ٤ .

٢ ان اسماء الاقطاعيين كانت من النادر ان تحمل اسم الاقطاعة الوراثية التي يملكون ، كما جرت العادة في اوروبا (مثلاً : عائلة « الشارنقاشي » في مصر في القرن الخامس عشر : سخاوي ، م ٨ ، ص ٢٠٣ ، س ٢٣ . اما الفرسان الاجانب فكانوا يحملون اسماء اسيادهم : « جَكَمْ من عوض » او جَكَمْ العوضي = جكم من اتباع عوض (على زمن المماليك) . وعلى عهد العثمانيين : « مراد بك محمد » = البك مراد من اتباع محمد . اما عائلات « اولاد الناس » من المواطنين فكانوا يحملون اسماء شخصية على زمن المماليك ، او اسماء مستعارة من اجدادهم واسلافهم يضعون قبلها « ابن » او « بنو » او « اولاد » او « آل » . اما على عهد العثمانيين فكانت الاسماء على الامثال التالية : فلان شهاب ، فلان الشهابي ، وبالجمع بنو ، آل ، بيت شهاب = الشهابيون = الشهابية . فلان الخازن ، بالجمع : الخوازنة = بنو ، آل ، بيت الخازن .

حاز لقب « ملك البدو » او « امير الصحراء »[1] . ونظن أن قبيلة « آل فضل » التي تجوب الآن شرقي بحيرة طبريا هي حفيدة تلك القبيلة التي تزعم اميرها الصحراء والتي كانت تتنقل في شمالي سوريا اذ ذاك . وكان آل فضل كلما ضاقت بهم ارض سوريا واقطاعاتها ، توجهوا الى « مغوليا الايرانية » فخلع عليهم هؤلاء ارضاً واسعة النطاق لا تقل عن مساحة العراق باسره[2] فيوزعها الأمير الأكبر كيفما شاء[3] اقطاعات اقطاعات على بدوانه . وكان السلطان يخلع لقب امير على بعض افراد اسرة الأمير الأكبر احياناً ويسبغ عليهم الاقطاعات والممتلكات[4] .

١ ملك العرب ، امير الملأ . نجوم ، م ٦ ، ص ٢٧٣ ، س ١٨ ، ص ٨٠٠ ، س ١٢ .

٢ سلوك ، م ١ و ٢ ، ص ١٧ . ابو الفداء ، م ٤ ، ص ٧٣ ، س ٢١٩ ، ص ٨٥ ، س ٢٨ . ابن حجر ، م ٤ ، ص ٣٧٠ ، س ٩ . ابن باطوطة ، م ١ ، ص ١٧١ ، س ٢ .

٣ تعريف ، ص ١١٠ ، س ٤ (وربما اعترف بهم كمماليكه) .

٤ تعريف ، ص ٧٩ ، س ١٥ ، الى ص ٨٠ ، س ١ . ابو الفداء ،

وعلى غرار آل فضل ولهم امراؤهم وفرسانهم ، جرى « آل علي » (وهم بطن من « آل فضل » يرتادون سهول دمشق) ، و « آل مرة » (في حوران) ، وبنو عقبة (في مؤاب) . وهكذا كان شأن قبيلة المهدي في جلعاد ولهم من واحد الى اربعة امراء .

وكان يخلع لقب امير احياناً على زعماء قبيلة « المشارقة » في سوريا ، وقبيلة « الجرم » في غزة ، واشتهر منهم « زبيد » [1] .

ويذكر « الحمداني » ان مصر ، في مستهل عهد المماليك ، ضمت ما يربو على اثنتي عشرة سلالة من

م ٤ ، ص ٨١ ، س ١ — ٢ ، ص ٩١ ، س ١٧ — ١٨ ، ص ١٤٨ ، س ٣١ .

١ راجع لائحة القبائل البدوية في سوريا وفلسطين في « تعريف » ص ٧٩ — ٨٠ . صبح ، م ٤ ، ص ٢٠٣ — ٢١٥ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، م ٧ ، ص ١٨٤ — ١٨٩ . ابن خلدون ، م ٦ ، ص ٦ — ١١ . مقصد ، اورد ذكره جودفروى ديمومبين ، ص ٢٠٠ ، رقم ١ . ظاهري ، ص ١٣٢ ، س ١٣ ، ص ١٣٦ ، س ٦ .

سلالات الامراء البدو (خمسة في الجنوب، وسبعة في الشرقية). غير ان السلالات هذه ما لبثت ان اضمحلت قبل انصرام ذلك العهد [1] .

وفي القرن الرابع عشر هاجرت قبيلة « الهوارة » من البحيرة الى مصر العليا، فأكسبت هذه الهجرة زعماءها " بني عمر " لقب امراء [2] .

ومن الامراء الذين لا مندوحة عن ذكرهم في مصر عند بدء افول عهد المماليك هم « بنو الأحدب » [3] (في مصر العليا)، و« بنو بقر » [4] في الشرقية، و " بنو

١ راجع اللائحة المفصلة في « تعريف » ص ٧٦ – ٧٧ . صبح، م ٤، ص ٦٧ – ٧٢، م ٧، ص ١٦٠ – ١٦٢ .

٢ المرجع نفسه . ابن اياس، م ٢، ص ٩٦، ١٦٦، ١٧١، ١٨٠، ١٨٢، ٢٢٩، ٢٣٣، ٢٤٠، ٢٤٨، ٦٢٩ الخ .

٣ ورد ذكرهم عام ٧٥٤ هـ. كزعماء قبيلة « عَرَك » (ابن اياس، م ١، ص ٢٠٠)، وعام ٩٢٨ هـ. كزعماء « الهوّارة » (ابن اياس، ٥، ص ٤٢٩، ٤٣١) .

٤ ابن اياس، م ١، ص ٣٣١، م ٢، ص ١٢٧، ١٩٧، م ٥، ص ١٠٨، ٢٣٥، الخ . عن قبيلة جذام .

بغداد »[1] في الغربية، و« بنو مرعى »[2] في البحيرة.

٣ – قبائل الفلاحين في لبنان وسوريا وفلسطين: ويعرفن « بالعشاير » او « العشير » او « العشران »[3]. وابان الحروب كانت الحكومة تستأجرهم مرتزقة مشاة، سلاحهم الاقواس والسهام والحجارة.

ويخطر لنا بهذا الصدد اسماء قبائل أخر من تلال السامرة[4]، عرفت بالبدو « العربان » ولم يرد اسمها بين البدو الخلص ولا بين قبائل غيرها لا في لبنان[5] ولا

١ ابن اياس، م ٢، ص ١٠٥، م ٥، ص ٤٣١.
٢ وردت مراراً في الجزئين الرابع والخامس عند ابن اياس.
٣ ان هذه التسمية عالجتها في مجلة الدروس الاسلامية عام ١٩٣٤، ص ٦٢٤، ٢٦٥.
٤ ابن اياس، م ١، ص ٢٨١، ٢٩٢، ٣٢٩، ٣٤٢، ٣٥٣، م ٢، ص ١٠٩، ١٢٣، ٢٥٠، ٢٥٢، م ٤، ص ٤٠٨، ٤٤٨، م ٥، ص ٨٨، ٢٣٩، ٣٧٧. بحير، ص ٦٦٦، ٦٧٣، ٦٧٥، ٦٧٦. حوادث، ص ٧٠١، ٧٠٩.
٥ ابن يحيى، ص ١٠٥ – ١٠٦.

في ولايات طرابلس وصفد وحلب [1] . وكان هؤلاء ايضاً يؤجرون خيالة احياناً .

اما « العشائر » فكان يترأسها خمسة وثلاثون زعيماً ينعتون « بالمقدمين » ، على زعم ظاهري [2] . وكان بامكان هؤلاء ان يجندوا خمسة وثلاثين الف خيال ، بينما كان الاكراد يعبئون عشرين الفاً ، والتركمان مئة وثمانين الف خيال ، والبدو ٩٣ الفاً (منها ٢٩ الفاً في سوريا وفلسطين ، ٣٣ الفاً في مصر ، و٣١ الفاً في الحجاز وما بين النهرين) .

اما أبرز الزعماء اللبنانيين في فجر عهد المماليك فهم :

١ — بنو صبح او صبيح : اهم الزعماء اللبنانيين في

١ ابن الشحنة ، ص ٢٦٤ ، س ٤ . نجوم ، م ٦ ، ص ٤٩ ، س ٥ — ٦ ، ص ٩٤ ، س ١١ . صبح ، م ١٢ ، ص ١٠٩ ، س ٦ (عن حمص) .

٢ ص ١٠٥ ، س ١٦ — ١٧ . ابن اياس ، ص ٣٣١ ، س ١٠ .

عهد سلاطين المماليك الاول [1] .

٢ – بنو بشاره : زعماء العشير في القرن الرابع عشر . ولا يزال اسمهم يطلق اليوم على الارض الواقعة في جنوب الجمهورية اللبنانية والمعروفة ببلاد بشارة، واكثر سكانها من الشيعيين [2] .

٣ – بنو الحنش : قطنوا سهل البقاع وضواحي حماه ، وقد أبيد اكثرهم ابان الغزو العثماني واضمحل القسم الباقي منهم عام ١٥٤١ [3] .

١ ابن يحيى ، ص ٣٣ ، ٣٤ ، ٨٤ ، ٩٦ ، ١٠٥ ، ١٣٦ . Anonym ، ص ١٤٠ – ١٤٤ . تقويم ، ص ٤٠ ، رقم ١ . منهل ، م ٤ ، الفقرة ٦٨ . شدياق ، ص ٤٨ ، ٤٩ ، ٢٥٠ .

٢ نجوم ، م ٦ ، ص ١١٤ ، ٧٨٧ . حوادث ، ص ٥٦ ، ١٠٩ . ابن اياس ، م ٢ ، ص ٢٣٨ . سخاوي ، م ٣ ، ص ١٣٨ . ابن طولون ، « رسائل تاريخية » ، (دمشق ١٣٤٨ ﻫ .) ، م ٤ ، ص ٦٠ . وفي ٨٢٤ ﻫ . أسست بلدة جديدة مكان صور .

٣ ابن يحيى ، ص ١٩٨ . ابن اياس ، م ٥ ، ص ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١١٤ ، ٢٤٨ . رستم ، ص ٥٥ – ٥٦ . شدياق ، ص ٢٤٦ ، ٢٥١ ، ٣٤٨ .

٤ — بنو الحمراء : قطنوا البقاع ايضاً وكانوا من اصحاب الاقطاعات في القرنين الرابع والخامس عشر [١] .

٥ — بنو بحتر : يعرفون ايضاً ببني « تنوخ » وهم زعماء « الغرب » واصحاب اقطاعات منذ ١١٤٧ قرب بيروت [٢] احتفظوا بها رغم الغزو العثماني حتى عام ١٦٣٣ .

٦ — بنو رمطوني : وهم زعماء اقطاعيون قطنوا ضواحي بيروت منذ عام ١٣٠٩ . وفي اعتبار بني « معن » [٣] (القبيلة التي سنمر على ذكرها في القرن السابع عشر) ان نسبهم ينتهي الى الرمطونيين .

١ ابن يحيى ، ص ١١١ ، ١٥٤ ، ١٨٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٣١ . شدياق ، ص ١٥٥ ، ٢٤٣ .

٢ ابن يحيى ، ص ٤٥ ، س ٧ . ابن حجر ، م ٢ ، ص ٥٤ — ٥٥ ، رقم ١٥٨٦ . شدياق ، ص ٢٢٤ ، س ١٨ .

٣ بولياك ، في مجلة الدروس الاسلامية ، عام ١٩٣٥ ، ص ٢٤٧ ، رقم ٦ . ابن يحيى ، ص ١٥٨ — ١٦٥ . منهل ، م ٣ ، فقرة ٨ . ابن حجر ، م ١ ، ص ٥٤٠ — ٥٤١ ، رقم ١٤٦٢ . ان التقليد الزاعم ان احفاد المعنيين هم من سلالة امير بدوي يعرف « بمعن » نزل الى لبنان عام ١١٢٠ (شدياق ، ص ١٦٢ ، ٢٤٧)

٧ – بنو الجيش : وهم ألد خصوم بني بحتر [١] واجداد امراء بني ارسلان المعروفين في ايامنا هذه [٢] . ويقطنون ضواحي بيروت ايضاً .

٨ و٩ – بنو اسماعيل وبنو عبد القــــادر : تنافسوا على « المشيخة » زمنـاً وعلى لقب « شيخ عربان

ليس سوى خرافة لا صحة لها ، كما ان ما تدعيه المصادر الاوروبية انهم من احفاد الصليبيين لا يرتكز البتة على اساس من الصحة . فابن يحيى لم يكن يعرف مطلقاً تلك العائلة التي عاشت على عهد المماليك حسب رواية الشدياق ، والزعماء في الشوف لم يكونوا المعنيين اذ ذاك (كما ذكر الشدياق) بل كانوا بني معصاد (ابن يحيى ، ص ١٧٣ ، س ٥) . ويظهر من قول الشدياق ص ١١٤ ، ان النسب « الرمطوني » بعد ان تركه بنو معن ادعته عائلة « علم الدين » (التي ابادت بني « بحتر » عـــام ١٦٣٣ ، وابيدت هي بدورها عام ١٧٠٩) . فهؤلاء المؤرخون لم يُدخلوا على رواياتهم بعض الغموض ، ولم يتمكنوا من وضع سلسلة اسماء متتابعة منذ ذلك الحين وحسب ، بل ادعوا ان الامير « الرمطوني » الاول (علم الدين) كان واحداً من بني بحتر ، ثم انفصل عنهم عام ١٣٠١ .

١ ابن يحيى ، ص ٤٧ ، ٥٩ ، ٦٩ ، ٧٢ – ٧٣ ، ٨١ – ٨٢ ، ٩٤ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٣٣ ، ١٨٠ ، ١٨٥ ، ١٩٠ ، ٢٠٠ .

٢ شدياق ، ص ٦٦٨ – ٦٧٥ .

جبل نابلس »[1] (على زمن الجراكسة) .

١٠ – ويزعم الامراء الشهابيون انهم يتحدرون ممن تزعموا « وادي التيم » في زمن العثمانيين (وهم امراء زعماء في لبنان بين ١٦٩٧ و١٨٤١) ، وانهم يتمتعون بهذه الزعامة منذ « صلاح الدين »[2] . وليس في مصادر المماليك التاريخية غير النزر القليل عن تلك الفترة في لبنان . ولذا استحال علينا رفض هذا الزعم او التسليم به بشكل قاطع .

وكان بنو الحنش وبنو الحمراء واسماعيل وعبد القادر انصاف بدو . وقد يكون بنو بشارة وبنو صبح من الشيعة[3] . واما زعماء « الغرب » فتمظهروا بالسنية وابطنوا

١ حوادث ، ص ٢١٥ . ابن اياس ، م ٢ ، ص ٢٢١ ، ٢٣٤ ، ٢٧٨ . مجير ، ص ٦٦٦ ، ٦٦٩ ، ٦٧٥ . سخاوي ، م ١ ، ص ١٠ ، م ٨ ، ص ٧٠ ، رقم ١٢٩ .

٢ شدياق ، ص ٤٤ .

٣ صبح ، م ٤ ، ص ١٥٣ ، س ١٣ ، ص ١٥٤ ، س ١٤ .

المذهب الدرزي [1] . وأعترف بمعظمهم « فرسان الحلقة » وامراء من رتب ثانوية .

وظفرت طائفة منهم ، بصورة استثنائيـة ، ومنحة خاصة ، بلقب « امير الطبل » .

٤ — الاسماعيليون وقد قطنوا الارض المعروفة اليوم ببلاد العلويين . وفي ممتلكاتهم حصون « المصيـــاف » و « الرصافة » و « الخوابي » و « القـدموس » و « الكهف » و « العليقة » و « المنيقة » . واصبحت هذه الارض جمعاء عام ١٢٦٩ عدا حصن مصياف اقطاعة « لمبارك بن رضى » زعيم الاسماعيليين الأكبر ، وحامل لقب « امير الطبلخانة » [2] . وألحقت هذه المقاطعة كلها عام ١٢٧١ بدولة المماليك ، فقبس زعماؤهـا قوانين وانظمة جديدة . واقتصرت مهمتهم على صد اعداء السلطان فارسلوا لهم الارهابيين ومنحوا لقـاء

١ ابن يحيى ، ص ٤٧ ، س ٢ — ٥ ، رقم ٢ ، ص ١٥٨ ، س ١١ ، ص ١٨٢ ، س ٢٢ .

٢ سلوك ، م ١ ، ٢ ، ص ٨٠ .

عملهم دخل الحصون الآنفة الذكر .

ولم يصبحوا يوماً من ذوي الاقطاعات ، ولم ينعم السلطان عليهم بألقاب « امراء » ، بل ظلوا يحملون لقب « اتابك »[1] . اضف اليه ان هنالك قوات ثانوية تتشكل من « غلمان السلطانية » و « البلاصية » لم تنظم تنظيماً قبلياً قوياً ولم تكن من ذوي الاقطاعات [2] .

اما البحرية فكانت تضم نوعين من الرجال : البحارة ، ولا عمل يشغلهم سوى قيادة السفن وبنائها واصلاحها ، — والغزاة ، ومعظم عناصرهم من المماليك والجيوش الثانوية .

ومن اهم الحروب التي خاضتها البحرية هي المعارك التي اشعل لظاها السلطان « الغوري » ضد البرتغال في البحر الاحمر بعد ان استأجر اميرالاً عثمانياً مع ألفين من رجاله لهذه الغاية . وبديهي ان يكون ذلك قد حصل قبل

١ ابن الشحنة ، ص ٢٦٥ . صبح ، م ٤ ، ص ١٤٦ ، م ٧ ، ص ٢٢٨ .

٢ ابن اياس ، م ٢ ، ص ١٨٠ . حوادث ، ص ١٩٠ . ظاهري ، ص ١٣٢ .

نشوب الحرب الاخيرة بين الاتراك والمماليك [1] .

والسلطان الغوري نفسه هو الذي اسس « المرتزقة » والمدفعية وحملة البنادق ، والف من « اولاد الناس » [2] الطبقة الخامسة [3]. ونعني باولاد الناس الفرس والتركمان وغيرهما .

اما الارستقراطية الاقطاعية فكانت صاحبة امتيازات واسبقيات وافضليات عديدة . فالدعاوى القضائية المنوطة بالفرسان والامراء ، مثلاً ، لم يعينها « قضاة » يحكمون بحسب الشريعة الاسلامية ، بل جلس فيها حكام عسكريون يعرفون « بالحجاب » ، تمشوا على شرائع

١ ابن اياس ، م ٤ ، ص ٣٦٥ ، ٤٥٩ ، م ٥ ، ص ١٠٩ . عاد بعد ما اصبحت مصر عثمانية .

٢ اصحاب الحند : المواطنون من اصل تركي (خاصة اولاد الامراء واحفادهم) وبنو الاتراك . راجع ابن اياس ، م ٤ ، ص ١٣٦ ، ص ٥ ، ٨ ، ١٦ .

٣ ابن اياس ، م ٤ ، ص ٢٠٦ ، ٢٥٩ ، ٢٦٩ ، ٣٣١ ، ٣٦٠ ، ٣٦٩ ، ٤٣٦ الخ .

« ياسه العظمى » التي سنها جنكيزخان [1] تبعاً للمقتضيات السياسيـة . وحق للاعضـاء العسكريين دون سواهم ان يرتدوا الدروع سلاحاً [2]. وحصروا جل جهودهم في حذق ركب الخيل ليمتازوا به عن سائر المواطنين [3]، كما انهم تميزوا بالتحفيفة يضعونها على رؤوسهم فتفرقهم عمن يرتدي « العمامة » من باقي الناس . ومن جملة المظاهر الخارجيـة التي تفردوا بهـا ، تطريز الاكمام وتذهيب رؤوس الرماح والمهاميز [4] .

١ راجع المصادر التي ذكرتها في مجلة الدروس الاسلاميـة ، ١٩٣٥ ، ص ٢٣٥ — ٢٣٦ . الغوري ابطل موقتاً المحاكم العسكرية في ٩١٠ هـ. و٩١٩ (ابن اياس ، م ٤ ، ص ٧٧ ، ٣٠٢ ، ٣١٢ ، ٣١٨ ، ٣٢٠) . ولكن الضربة القاضية كانت موجهة من الفتح العثماني . اما البدو فكان لهم حجاب مختصون بهم (ابو الفداء ، م ٤ ، ص ١١٣ ، س ١٢ ، ١٣ . منهل ، م ٤ ، فقرة ١٩٨ ، س ١٩) ، وربما كانوا يحكمون بموجب العادات القبلية .

٢ ماير ، ص ٣ . وقد شرح هذه المسألة مجدداً في مقـاله عن سوريا ، م ١٨ ، ص ٣٨٩ — ٣٩٣ .

٣ حوادث ، ص ٧٦ ، ٧٧ ، ٩١ ، ٥٣٤ ، ٥٣٨ .

٤ خطط ، م ٢ ، ص ٢١٧ ، س ١١ — ١٢ .

والى جانب هذا فان وظائف عدة ، ومكاتب مختلفة في الدولة ، حفظت وخص بها الفرسان والامراء . وهذه « الوظائف الجيشية » (كما نعتوها اذ ذاك) لم تكن تحمل طابعاً عسكرياً صرفاً وانما شكلاً حكومياً ايضاً .

وكثيراً ما أفردت لهم « الوظائف الدينية » و « الوظائف الديوانية » وهي من حق المواطنين ورجال الدين قبل ان تكون من حق الارستقراطية [1] .

اما المزايا التي كان ينبغي ان تكتمل في الفارس الحق (الفروسية) فتحدد من ناحية الترويض الجسدي بالقوة البدنية والالمام بفن المصارعة ومعرفة استعمال الرمح والشكيمة واللجام وفهم نسب الخيل الاصيلة ، ومن الرماية بالسهام والرماح الى ما هنالك من ضروب الفروسية التي

١ مثلاً : « ناظر الاوقاف » كان عادة اميراً ، مع ان هذه الرتبة كانت بين « الوظائف الدينية » . راجع ظاهري ، ص ١١٥ ، س ١٢ — ١٣ . ضوء الصبح ، م ١ ، ص ١٥١ ، س ٣ — ٥ . منهل ، م ٤ ، فقرة ١٩٨ ، س ١٩ .

عرفناها تحت اسم « انواع الفروسية » او « فنون الفروسية » [1] .

واما الفتوة – نظام الفرسان في اخلاصهم لذرية محمد – التي يرأسها السلطان ، والمباحة للفرسان الاصيلين ، فاضمحلت في القرن الرابع عشر [2] . ولربما كان مرد اضمحلالها الى نمو الارستقراطية التركية نمواً متكاملاً .

وبعد احتلال المماليك لسوريا وفلسطين عام ١٢٦٠ ظل هنالك بعض من المقاطعات اللاتينية (لغاية ١٢٩١) وبعض مقاطعات ايوبية في « الكرك » (حتى عام ١٢٦٣) وفي حمص (حتى عام ١٢٦٤) وفي صهيون (لعام ١٢٧١) وفي حماه (لعام ١٣٤١) ، كما اننا لم نفتأ نجد الدولة

١ سخاوي ، م ٣ ، ص ٤١ ، س ١٠ - ١١ ، ص ٣٠٨ ، س ٢٥ - ٢٦ ، م ٦ ، ص ٢٢٨ ، س ١٥ - ١٦ . حوادث ، ص ٥٨٥ ، س ١ - ٢ . راجع « علم الفروسية » في ابن اياس ، م ٢ ، ص ٨٧ ، س ٢٢ .

٢ سلوك ، م ١ ، ص ٥٨ ، ١٦٣ ، ٢١٢ ، ٢٢٣ . ابن عبد الظاهر ، ص ٦٤ .

الدرزية تحتفظ بكيانها حتى عام ١٣٠٠، ودولة « النصيريين » « عمل الزنبين » حتى عام ١٣٠٦ [١].

فبينا كانت المقاطعـــات اللاتينية تستقل عن دولة المماليك [٢]، كنا نرى الايوبيين في عداد ذوي الاقطاعات ·

١ راجع بولياك في مجلة الدروس الاسلامية، ص ٢٦٥، سنة ١٩٣٦، ص ٢٦٤ – ٢٦٥ . ان هذه النواحي ربما لم يكن فيها تحالف رؤساء القبائل وثيق العرى (راجع عن كسروان في شدياق ص ٢٠٨ – ٢١٢) . وبعد الاحتلال لم يعد اولئك الزعماء القبليين يعطون اقطاعات في مناطقهم، ولكن الذين يهـــاجرون منهم من كسروان الى طرابلس كانوا يحصلون علــى لقب فرسان الحلقة (ابن يحيى ، ص ٣٢ ، س ٧ . اقرأ اخباز !)

٢ لقد تمكن اثنان من زعماء البدو الثائرين ان يوطدا دويلتين مستقلتين لوقت قصير هما :

ا ـ السلطان البدوي « حصن الدين بن ثعلب » حاكم مصر العليا على عهد « ايبك » و« قطز » وبيبرس الاول . (تعريف، ص ١٨٨، س ٦ – ١٢ . صبح، م ٤، ص ٦٨، س ١ – ٩ . سلوك، م ١، ص ٤٠ – ٤٢) .

ب ـ والامير التركماني « فارس » حاكم الشمال ـ الغربي من سوريا بين ٨٠٦ و٨٠٨ هـ. وقد ثبّتت اقطاعات اولئك الفرسان المماليك الذين قبلوا التعاون في خدمته (منهل ، م ٤ ، فقرة ٢٠٥ ، ٢٠٦ . سخاوي ، م ٦ ، ص ١٦٣ ، رقم ٥٤٠) .

اما سلطان حماه فكان يأمر – بحسب الامتياز المعطى له عام ١٣١٣ – خمسمئة فارس ، كما كان يحق له خلق امراء اذا ما استشار سلطان المماليك الاعلى في ذلك [1] .

غير ان سلاطين وامراء من الاقطاعيين المماليك قطنوا الكرك وصهيون حكاماً [2] .

فالذي يمكننا استخلاصه هو ان المماليك اعتبروا لبنان وفلسطين وسوريا قسماً لا يتجزأ من دولتهم [3] ، بينما ان

١ ابو الفداء ، م ٤ ، ص ٧٤ ، س ٢٣ – ٢٧ . صبح م ٤ ، ص ٢٣٧ ، س ١٣ – ١٦ .

٢ ان الجيوش المحتفظ فيها بالكرك من قبل السلاطين المحليين كانت اكثر عدداً واكثر اهمية من الجيوش التي عسكرت في هذه المقاطعة عندما كانت تابعة لدولة المماليك (راجع منهل ، م ٧ ، فقرة ١١٢ ، عن سلطان « بركة خان ») . في صهيون كان يحق « للامير سنقر الاشقر » بين عامي ١٢٨٠ و١٢٨٧ الاحتفاظ بستماية فارس . (سلوك ، م ٢ ، ص ٣٠ – ٣١) . وكان يحق « لبيبرس الجانشكير » عام ١٣١٠ ان يبقي في خدمته ١٠٠ فارس (ابو الفداء ، م ٤ ، ص ٦٠ ، س ١ – ٢ ، ٣٠) . ولكنه أوقف وهو في طريقه الى مقره .

٣ بين الامراء الذين حصلوا على الاقطاعات في الساحل الفلسطيني عام ١٢٦٤ نجد اسم « بدر الدين محمد » احد اولاد

بعض الدويلات التي بسطوا عليها سيطرتهم ظلت حرة مستقلة تحكم نفسها بنفسها وتدفع الجزية ضريبة للسلطان الفاتح . وبتلك الدويلات نعني ديار بكر وقبرص وبرقة ونوبيا والحجاز واليمن .

وكان امير « المدينة » يملك اقطاعة صغيرة في مصر [١] .

« بركة خان جوتشي » حاكم الاوردو الذهبي وسيد دولة المماليك . (سلوك ، م ١ ، ٢ ، ص ١٤ (راجع مجلة الدروس الاسلامية ، ١٩٣٥ ، ص ٢٣٣) .

١ ابن الجيعان ، ص ١٣٣ ، س ١٢ ، ص ١٤٤ ، س ٢١ . ابن حجر ، م ٣ ، ص ١٥٠ ، س ١٠ .

اقطاعات المماليك

اما الاقطاعة على عهد المماليك فهي كناية عن إخاذة (تعرف « بالخبز » او « المثال » [١]) تمنحها الدولة للامراء والفرسان ، وتعتبر ملكاً موقتاً لهم ، يستغلونه حسبما يشاؤون ، اذ تتنازل الدولة عن هذه الاقطاعات فتقسم على الامراء والفرسان تبعاً لرتبهم العسكرية . على ان يكون

١ راجع ملاحظاتي عن هذين التعبيرين في J. R. A. S. ١٩٣٧ ، ص ٩٩ . ان لفظة « اقطاعة » كانت ايضاً مستعملة لممتلكات ديوان المفرد وديوان الدولة (حوادث ، ص ٢٥٣ ، ٢٩٢ ، ٣٢١ ، ٤١٣). وربما أطلق عليها اسم اقطاعات لان اكثر غلتها توزع على الفرسان . وهذا ينطبق على « الاقاطع السلطانية » لممتلكات التاج في مصر بعد الاحتلال العثماني (راجع ابن اياس ، م ٥ ، ص ٤٢٠ ، س ٨ ، ٢٠ ، ص ٤٠٣ — ٤٠٥) . اما الممتلكات التي يحتفظ بها السلطان لنفقاته الخاصة فلا يطلق عليها اسم اقطاعة .

دخلها كافياً لسد فاقتهم . لذا كانت الدولة تفرض على آخذي معظم الاقطاعات الصالحة للزراعة رسماً او ضريبة تدفع من دخلها في بدء كل عام للحكومة الرئيسية [1] .

وبما ان المستهدف من هذا الاغداق هو سد عوز الأمير وحاجته ، فان الاقطاعات لم تضم الغابات والمروج والقرى والجبال والصحارى ، بل انجلت ارضاً صالحة للزراعة تغل مبلغاً معيناً من المال في كل عام . وكانت حدود تلك الاقطاعة ، بالطبع ، معينة في الشهادة المعطاة للاقطاعيّ من السلطان [2] .

١ راجع ما ذكرته عن هذا في J. R. A. S. ١٩٣٧ ، ص ١٠١ – ١٠٢. ان حق استخراج الملح من نهر الذهب يعتبر قسماً من اقطاعة حاكم حلب العام (ابن الشحنة ، ص ٤٧ ، س ١٤ – ١٥) .

٢ ان الغابات المصرية كانت من ممتلكات السلطان (خطط ، م ١ ، ص ١١٠ ، س ٣٠ – ٣١ ، ٣٧ ، الى ص ١١١ ، س ١٠) . واكثر الغابات اللبنانية والسورية والفلسطينية كان يستعملها الجيران دون تضييق (دمشقي ، ص ١٩٩ ، س ١٣ . ابن الشحنة ، ص ١٢٧ ،

وقد اعتبرت الأرض غير المزروعة، في دنيا الاسلام، مشاعاً يحق لكل متمالك ان يتصرف به مرعى لماشيته [1].

ولقد خص السلطان قبائل البـدو التركمان [2] بالمراعي

س ١٢) . اما طيور الصيد فكانت محتكرة من قبل بلاط السلطان . (ظاهري ، ص ١١٥ ، س ٤ ، ص ١٢٧ – ١٢٨ . صبح ، م ٤ ، ص ٢٢ ، س ١٤ – ١٦) . وللسلطان ايضاً اراض خاصة للصيد في صحراء ليبيا اعتاد ان يقتنص فيها ، وتقع بين الاهرام و « الحمامات البحرية » (ابو الفداء ، م ٤ ، ص ٣٠ ، ٣١ ، ٩٣ . صبح ، م ١٤ ، ص ١٦٦ – ١٧١ . منهل ، م ٣ ، فقرة ٦٤ ، ١٤٨) . وحكام سوريا ولبنان وفلسطين ، كانت لهم اماكن للصيد هناك في الاراضي غير المحروثة (صبح ، م ٤ ، ص ٢١٧ ، س ٩ – ١٣) . ولكن تلك الاماكن التي يصطادون فيها لم تكن تحسب قسماً من اقطاعاتهم . لذا لم يستعملوها الا في فصل معين من فصول السنة .

١ وفي اراضي القرى المحروثة بعد الحصاد (راجع صبح ، م ٧ ، ص ٢٠٣ ، س ١٦) ، وقانون الاراضي العثماني لعام ١٨٥٨ مادة ١٢٥ . على كل ، كان اصحاب الاقطاعـات في مصر يدفعون الضرائب عن اراضي المراعي التابعة رسمياً للقرية التي يملكون .

٢ سلوك ، م ١ ، ٢ ، ص ٢٣ . نجوم ، م ٦ ، ص ٣٤٠ ، س ٧ . وقليلاً ما تمر المصادر على ذكر القبائل الكردية نظراً لقلة عددهم ، لان اكثرهم هاجر الى سوريا بعد عام ١٢٥٨ (سلوك ، م ١ ، ص ٧٩ – ٨٠ ، ٨٣ . تعريف ، ص ١١١ ، س ١٠ – ١١) .

الخضراء ، خوف توتر العلاقات وتجنباً لوقوع الخلاف بينها دون ان تكون ملكية الأرض حقاً من حقوقهم . فقبيلة « الفضل »، التي ذكرنا آنفاً، ضربت خيامها في الصحراء لأن اقطاعاتها لم تضم إلا مروجاً مزروعة ومدائن آهلة [١] .

ولم تكن المدن او القرى في جوار الأرض التي يقطنها الاقطاعي دائماً ، بل صح العكس في ذاك اذ امست الاقطاعات في سوريا ولبنان وفلسطين ، بعد عام ١٣١٣ ، مبعثرة مشتتة، بعيدة عن المقاطعة التي يخدم فيها الأمير والفرسان . وكذلك بدا الأمر في مصر بعد ١٣١٥ ، حين شاهدنا الامراء والفرسان يخدمون في احدى الاقطاعات . بيد ان إخاذتهم ارتمت بعيدة عن المكان الذي يقطنونه بعداً شاسعاً .

وكان ملك « الامير » في مصر يتراوح بين قرية

[١] ابو الفداء ، م ٤ ، ص ٧٣ ، س ٨١ – ٢٤ . ص ١٨ ، س ١ .

واحدة وعشر قرى ، في حين ان المملوك الملكي لم يصبه الا ضيعة واحدة ، وفي بعض الأحيان نصف ضيعة او اقل . اما فرسان الحلقة فكان لهم قسم من قرية ليس الا [1] .

ومنذ عامي ١٣١٣ و ١٣١٥ شرع السلطان باعطاء الاقطاعي الواحد اقساماً من قرى مختلفة عوض ان يمنحه قرية بكاملها . فراح يتنازل عن عدة رقع من الأرض تبعثرت هنا وهناك ، بدل ان يعطي ارضاً واسعة في مكان واحد لاقطاعي واحد [2] .

اما تقسيم الأراضي الصالحة للزراعة بين الفلاحين المزارعين فيتكرر في بدء كل سنة ، ويوكل امر الأرض وزراعتها الى بطن من بطون العشيرة التي تقطن القرية . وهذا التقسيم على الشكل الآنف معناه ، عملياً ، خلق زعيم يترأس رهطاً من القبيلة وقسماً من مزارعها .

١ صبح ، م ٣ ، ص ٤٥٧ ، س ١٥ الى ص ٤٥٨ ، س ٢ .
٢ خطط ، م ١ ، ص ٩٠ ، س ٦ – ٨ . منهل ٥ ، فقرة ٩٦ ، س ١٩ – ٢٠ . ابن يحيى ، ص ١٦٤ ، س ٤ – ٥ .

اما المدن المعطاة كأقطاعات فقد ربت حجماً عن القرى بقليل. وباستطاعتنا ذكر بعض منها: «سرمين»[١]، «معرة النعمان»[٢]، «سلمية»[٣] في شمال سوريا، ومدينة «نابلس»[٤] في فلسطين، و«يشمون»[٥] و«دمنهور»[٦]، و«اطفيح»[٧] و«أسوان» و«عيذاب»[٨] في مصر.

١ ضمن اقطاعة الفضل (ابو الفداء، م ٤، ص ٧٣، س ١٩، ص ١٢٠، س ٢، ص ١٤٢، س ٢٦، ص ١٤٤، س ٩). موضع صناعة الصابون (ابن باطوطة، م ١، ص ١٤٥).

٢ معطاة عام ٧١٦ هـ. للامير محمد الفضل (ابو الفداء، م ٤، ص ٨٣، س ٣ - ٤).

٣ داخلة ضمن ممتلكات «الفضل» منذ عام ٦٥٨ هـ. (ابو الفداء، م ٣، ص ٢١٤، س ٢٦. ابن خلدون، م ٦، ص ٩، س ٩. صبح، م ٤، ص ٢٠٦، س ٧).

٤ كانت عادةً مقسومة بين اميرين تركيين على عهد الايوبيين وفي بادىء عهد المماليك (سلوك، م ١، ص ٨٣، م ١، ٢، ص ١٧٢ - ١٧٣، منهل. م ١، فقرة ٥).

٥ تعطى احياناً كاقطاعة لبعض امراء المئة (ابن الجيعان، ص ٤٦. ابن دقماق، م ٥، ص ٦٩). فيها مقاطعة «الدقهلية والمرتاحية».

٦ ابن الجيعان، ص ١١٦. ابن دقماق، ص ١٠١. وفيها البحيرة.

٧ ابن الجيعان، ص ١٤٧. فيها مقاطعة «الطفيحية».

٨ في عام ١٣٧٥ كان سيدهما الحاكم العام لمصر العليا (على

اما المدن المهمة ، شأن القاهرة ودمشق وحلب حيث قطن اكثر الامراء والفرسان ، فقسمت الى اجزاء عدة ، وادارها السلطان او ممثله المركزي المعروف بالحاكم العام . غير ان حق اسناد الاقطاعات ومراقبتها ظل منوطاً بمجلس حكومي مختص بها يعرف « بديوان الجيش » او « ديوان الاقطاع » [1] . والمكتب الرئيسي في القاهرة ينقسم الى فرعين :

١ – ديوان الجيش المصري مخصص لمصر .

٢ – ديوان الجيش الشامي مخصص بالاقطاعات السورية واللبنانية والفلسطينية [2] . وفي كل ديوان منهما موظف اعلى عرف « بالمستوفي » واحياناً « بالمتولي » او « الصاحب » او « الكاتب » لهذا الفرع او لذاك [3] .

زعم ابن الجيعان) ، ومنهم الامير « يشبك الداوادار » .

١ تعريف ، ص ٨٨ ، س ١٨ ، ص ٨٩ ، س ٨ – ٩ . خطط ، م ٢ ، ص ٢١٧ ، س ١٨ – ٢٨ .

٢ ظاهري ، ص ١٠٣ ، س ١٥ – ١٩ .

٣ سلوك ، م ١ ، ص ٢٠٢ – ٢٠٥ ، رقم ٨٥ . ابن اياس ، م ٤ ، ص ٣٥ ، س ٥ – ٦ ، ١٦ ، م ٥ ، ص ٤ ، س ٨ ، ١٨ . سخاوي ،

وفيما عدا هذين المستوفيين ، فقد عين كاتبان ادنى درجة منهما يعملان على مراقبة اقطاعات البدو والاقطاعات المعطية معاشاً او تقاعداً لبعضهم [1] .

وقد عين مدير مدبر في كل ديوان، وهو ارفع رتبة من « المستوفي »، ويحمل لقب « ناظر ديوان الجيش » ، مسؤول رأساً امام السلطان ، بينما مساعده « صاحب ديوان الجيش » مسؤول امام نائب السلطان نفسه [2] . وتشعبت من « ديوان الجيش » فروع في كل مركز

م ١١ ، ص ٢٤١ ، س ٢ – ٥ . في دفاتر ديوان الجيش . انظر نويري ، م ٨ ، ص ٢٠٠ – ٢١٣ . يحيى بن الجيعان ، مستوفي مصر عام ٨٨٢ – ٨٨٥ هـ. (ابن اياس ، م ٢ ، ص ١٧٤ ، ١٩٦)، يعطينا في مؤلفه « التحفة السنية » اسهاباً مفصلاً عن توزيع الاراضي المصرية عام ١٣٧٥ ، وفي زمانه .

١ سلوك : ان مستوفي الصحبة الذي كان يدير المساحة لم يكن كاتباً في ديوان الجيش ، بل ملحقاً بالوزير (صبح ، م ١١ ، ص ٩٤ . ضوء الصبح ، م ١ ، ص ٢٥١) .

٢ صبح ، م ٤ ، ص ١٦ ، س ١٧ – ١٩ ، ص ١٧ ، س ١٣ ، ١٨ – ١٩ .

رئيسي لكل مقاطعة [1] .

اما مدخول الاقطاعات فيحسب ، في ديوان الجيش ، بعملة مختلفة تعرف " بالدينار الجيشي " ، وقد تبدلت قيمته في ظرف ستين سنة تبدلا ظاهراً . فبينا كان يساوي عام ١٣١٥ من سبعة الى عشرة دراهم (حسب درجة الاقطاعي ورتبته) امسى يساوي ١٣ درهماً ونصف عام ١٣٧٥ . لكن ، بعد هذا التاريخ ، فقد الدينار الجيشي الوهمي كل علاقة تربطه بوحدات العملة الحقيقية . بيد انه ظل يتخذ مقياساً لحساب مدخول الاقطاعات والقرى ، على التقريب .

ونحن ، شخصياً ، عثرنا على قائمتين من " العبرة " ، (وهي كناية عن معدل لمدخول جميع الاقطاعات المصرية بالدينار الجيشي) ، إحداهما تحمل تاريخ عام ١٣١٥ ، والاخرى تبدو ذات قالب مطاط ، ويخيل انها مقياس

١ حسب زعم ظاهري ، ص ١٣٤ ، س ٨ ، وفي الاسكندرية ايضاً .

لذلك الدخل خلال فترة حكم المماليك . والذي استخلصنا معرفته من هاتين القائمتين هو ان دخل اقطاعة « امير مئة » يتراوح سنوياً بين ثمانين الفاً ومئتي الف دينار جيشي (وفي ١٣١٥ من ٨٥ الى مئة الف دينار)، ودخل اقطاعة « امير الطبل » من ٢٣ الى ثلاثين الفاً (وفي ١٣١٥ من ١٥ الى ٤٠ الفاً) ، وإخاذة « امير عشرة » تسعة آلاف دينار واقل (من خمسة الى عشرة آلاف عام ١٣١٥) ، واقطاعة « امير خمسة » ثلاثة آلاف دينار . وللمملوك (عام ١٣١٥) من الف الى الف وخمسمئة دينار .

واقطاعة « فارس الحلقة » من مئتي وخمسين ديناراً الى ثلاثمئة (الى الف عام ١٣١٥) [١] .

والذي ورد في « العبرة » ليس الذي كانت تغله الاقطاعة على صاحبها في العام، بل ما فرض عليه ادخاله في « السنة الجيشية » او « السنة الخراجية » كما

١ لقد قابلت شخصياً هذه اللائحة باكثر تفصيلاً في J. R. A. S. ١٩٣٧ ، ص ٩٩ – ١٠٣ .

ينعتونها ايضاً [1] .

اما المفكرة التي كانت تتبع لمعرفة تاريخ الاستحقاقات فكانت مثل كل المفردات الشمسية العادية ، الا انها نمرت حسب السنة الاسلامية الهلالية .

وقد عرف ما تدخله الاقطاعات « بالمال الخراجي » [2] ، بينما عرفت الضرائب المفروضة حسب الشهر الهلالي الاسلامي « بالمال الهلالي » [3] .

وبما ان السنة الشمسية تربو على السنة القمرية بـ ٣٣/١ ، لذا وجدنا ديوان الجيش يضع جانباً ٣٣/١ من المجموع كيما يتسنى له اجراء حساباته على السنة الهلالية . اما هذه العملية التي تنعت « بتحويل السنين » [4] ، فقد

١ صبح ، م ١٣ ، ص ٩٧ ، س ١١ . ابن اياس ، م ١ ، ص ١٥٩ ، س ٩ ، م ٤ ، ص ٣٩٢ ، س ١٩ .

٢ نويري ، م ٨ ، ص ٢٤٥ ، س ٨ . خطط ، م ١ ، ص ١٠٣ ، س ٢٢ . صبح ، م ٣ ، ص ٤٥٢ ، س ١٤ .

٣ نويري ، م ٨ ، ص ٢٢٨ — ٢٣٣ . خطط ، م ١ ، ص ١٠٧ ، س ٦ — ٩ . صبح ، م ٣ ، ص ٤٧١ .

٤ راجع الاسباب الحقيقية (ابن اياس ، م ١ ، ص ١٥٩ ، س ٩ .

لجأ اليها المماليك ابان اجراء الحسابات وجمع الضرائب من الفلاحين حسب الشهر القمري [1] .

وكثيراً ما أرغم الفلاح على دفع « التفاوت الجيشي » [2] ، اي ذلك الفارق بين السنة القمرية والشمسية .

اما هذه العملية فكانت تتبـــع خاصة عندما يتخلى الاقطاعي عن إخاذته ، او غب نقله الى مقاطعـة اخرى ، او عند وفاته ، لكي يتسنى « لديوان السلطان » معرفة ما اذا كان الاقطاعي قـد وفى ما فرض عليه من الضرائب او دفع اكثر من المتوجب عليه دفعه . و « ديوان

ابن خلدون ، م ٥ ، ص ٤١٠ ، س ٧ — ١٠ . صبح ، م ١٣ ، ص ٧٥ — ٧٩) ، وراجع الحساب النظري في « صبح » ، م ١٣ ، ص ٦٢ ، س ١ — ٨ .

١ ان اول غرض كان يرمي اليه « التحويل » هو تجنب تجميع كهذا (صبح ، م ١٣ ، ص ٥٥ ، س ١٦) .

٢ ابن خلدون ، م ٥ ، ص ٤١٠ ، س ٩ . نويري ، م ٨ ، ص ٢٠١ ، س ١٦ . ابو الفداء ، م ٤ ، ص ١٤٩ ، س ١١ — ١٤ . C. I. A. ، سوريا الشمالية ، رقم ٤٤ (لم يفهمها « بكر » جيداً في « دار اسلام » ، م ١ ، ص ٩٨) .

السلطان » او « ديوان المرتجع » كان تحت اشراف رجل يعرف « بمستوفي المرتجع » [1] . اما الاقطاعة الشاغرة من جراء انتقال صاحبها او وفاته فيوكل استثمارها الموقت الى « ديوان الذخيرة » الى ان ينعم بها السلطان على اقطاعي آخر رضيت مشيئته عنه [2] .

اما مراقبة الحالة الزراعية في الاقطاعات واعادة النظر كل ثلاثة اعوام في الضريبة المفروضة على اصحابها فكان من واجب « كاتب ديوان الجيش » [3]، كما انه يترتب عليه تدوين كل هـذا في « سجل المساحة » . وكل من اراد اليوم ان يطلع على تبـــدل احـوال تلك القرى

١ نويري ، م ٨ ، ص ٢٠١ ، س ٦ . خطط ، م ٢ ، ص ٢١٧ ، س ٢٩ — ٣١ . صبح ، م ٤ ، ص ٣٣ ، س ١٦ . ظاهري ، ص ١١٠ ، س ٤ — ٧ . C. I. A. سوريا الشمالية ، رقم ٤٤ . سخاوي ، م ١٠ ، ص ٢٨٩ ، س ١٤ — ١٨ .

٢ ابن اياس ، م ٢ ، ص ٢٧٧ ، س ١٦ . ص ٣٠٥ ، س ٨ ، م ٤ ، ص ١٤ ، س ١٦ . حوادث ، ص ٤١٨ ، س ٨ ، ص ٤٥٢ ، س ١٨ — ٢٠ . ظاهري ، ص ١١٠ ، س ٣ — ٤ .

٣ نويري ، م ٨ ، ص ٢٩٧ ، س ٧ — ١٣ .

والاقطاعات المصرية ، لا بد له (على زعم ابن الجيعان) من التعويل على تلك السجلات ، ولا سيما سجل عام ١٣١٥ [١] .

وكان ديوان الجيش يسجل النقص الطارىء على مدخول الاقطاعة لا الزيادة المتأتية عليه ، لأنه لو دون الزيادة الحادثة لحاول الاقطاعيون اخفاء ما تغله اراضيهم عن اعين "كاتب الديوان" ، وذلك مخافة ان تشعر الدولة بنمو الاقطاعة وازدهارها فتنقص منها ، معتبرة انها اصبحت تزيد على حاجة الاقطاعي المعطاة له [٢] .

وقد جاهد السلاطين محاولين ضم الاقطاعيين شيئاً فشيئاً الى الحكومة الرئيسية ، اذ اننا في مطلع دولة

١ راجع ابن الجيعان ، ص ٥ ، س ١٦ ، ص ٦ ، س ١٠ – ١١ ، ص ٣٩ ، س ٣ ، ص ٩٩ ، س ٧ ، ص ١٠٦ ، س ٢٥ الخ (لاحظ الشواذ في ص ١٣٩ ، س ١ – ٢ ، ٢٧) .

٢ راجع ابن الجيعان (خاصة ، ص ٦٥ ، س ١٦ ، ص ٨٠ ، س ١٧ ، ص ١٣٨ ، س ١١ ، ص ١٦٠ ، س ١٦) . صبح ، م ٣ ، ص ٤٤٢ ، س ١٢ – ٢٠ . ضوء الصبح ، م ١ ، ص ٢٥٨ ، س ٢٣ .

المماليك كنا لا نزال نشاهد بعض التأثير « اللاتيني » و« الايوبي » الذي يجعل الحكم الاقطاعي وراثياً . فالابن كان يرث عن ابيه الاقطاعة والحكم فيها معاً [١] . اما الذي هدف اليه سلاطين المماليك فهو وضع حد نهائي « للروك » اي تقسيم الأراضي بين الاقطاعيين والسلطان . وهذه الفكرة، كما ذكرت في موضع آخر [٢]، مقتبسة عن المغول . اما الفكرة في تطبيقها عملياً فمأخوذة عن التقسيم

١ راجع ملاحظاتي عن التأثير اللاتيني في « Journal of the Royal Asiatic Society » عام ١٩٣٧ ، ص ٩٧ — ٩٩ .

٢ مجلة الدروس الاسلامية ١٩٣٥ ، ص ٢٣٩ - ٢٤١ . خطط م ١ ، ص ٨٢ — ٨٣ . استعمل تعبير « الروك » بمعنى التقسيم السنوي لممتلكات الدولة على دافعي الضرائب في زمن الفاطميين . وهذا التقسيم كان ايضاً مسبوقاً بقياسة المساحة ، لكنه لم يكن صورة طبق الاصل « لروك » المماليك فيما يختص في تقسيم مشاعات القرى .

ونرى ايضاً على عهد العباسيين فكرة الاراضي « الخراجية » ، وهي تقسم المدخول بين المسلمين بتمام الشكل الذي يقسم فيه مدخول القرى بين القرويين على عهد المماليك (راجع كتاب الخراج لابي يوسف عن الفيء ، القاهرة ، ١٣٤٦ ، ص ٧٥ ، س ١٩ ، ص

السنوي الذي يحدث في القرى كل عام.

والتقسيم يجري على الوجه التالي: يأمر السلطان باجراء كشف مستعجل يطلق عليه اسم "كشف البلاد". ثم تقسم الأملاك بين السلطان والاقطاعيين. وبعد هذا تقسم املاك الاقطاعيين الى إخاذات من درجات مختلفة، ثم توزع الاقطاعات هذه على الامراء والفرسان، فيأخذ كل منهم نصيبه حسب درجته او رتبته العسكرية.

وقد ضمت الدولة ثلاثة "روك": "الروك الحسامي" في مصر عام ١٢٩٨[١]، و "الروك الناصري" في سوريا ولبنان وفلسطين عام ١٣١٣[٢]، و "الروك الناصري" في

٩٥، س ٢٠، ص ١٠٣، س ٢، ص ٢٨، س ٢). ويمكننا ان نستنتج تفسيراً لهذا التعبير كما يعرضه «الماوردي» وواضعو القواميس.

١ خطط، م ١، ص ٨٨. سلوك، م ٢، ص ٦٥. ابو الفداء، م ٤، ص ٣٩. ابن خلدون، م ٥، ص ٤١٠. صبح، م ٣، ص ٤٣٦. Anonym، ص ٤٥. ابن يحيى، ص ٩٦. ابن اياس، م ١، ص ١٣٧، م ٤، ص ٤٨٧. منهل، ٥، فقرة ٥٥.

٢ ابن يحيى، ص ٧٩، ٨٩ – ٩٦. Anonym، ص ١٦٠. ابن اياس، م ١، ص ١٥٩. ذهبي، م ٢، ص ١٧٠. ابن حجر، م ٢،

مصر عام ١٣١٥ [١] .

وقبل « الروك » الثلاثة كان للسلطان والمماليك الملكيين معاً اربعة قراريط من الأرض المصرية بكاملها (والقيراط يساوي ١/٢٤) ، وللامراء عشرة قراريط مع المراعي ، ولفرسان الحلقة عشرة قراريط . اما عام ١٢٩٨ فاصبح تحت تصرف السلطان وحده ، عدا المماليك الملكيين ، اربعة قراريط ، وهي ارض خاصة به تعرف « بالخاص » [٢] .

ص ١٧١ . ربما كان « الروك » المركزي لحاكم غزة العام « سنجر الجاولي » بعضاً من الروك العام . منهل ، م ١ ، فقرة ١٦ .

١ خطط ، م ١ ، ص ٨٨ – ٩١ ، ٩٥ ، م ٢ ، ص ٢١٧ – ٢١٩ . Anonym ، ص ١٦٤ . ابن اياس ، م ١ ، ص ١٥٩ . صبح ، م ٣ ، ص ٤٣٦ ، م ٣١ ، ص ١٨١ . ابن الجيعان ، ص ٩٩ ، ١٠٦ ، ١٢٩ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، (وذُكرت فقط لفظة « الروك » : ص ٥ – ٧ ، ٣٩ ، ١١٦ – ١١٧ ، ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٣٥ – ١٣٦ ، ١٧١ ، ١٨٥ . ابن حجر ، م ١ ، ص ٣٥٩ . منهل ، م ٥ ، فقرة ٢٠٤ .)

٢ ان هذه الممتلكات التي يرثها السلطان الجديد من سلفه يجب ان نفرقها كل التفريق عن ملك السلطان الذي يرثه ابناؤه . وبعد تأسيس « ديوان الخاص » اصبحت غلة ممتلكات الخاص مورد السلطان الرئيسي . اما تقسيم الاراضي قراريط قبل توزيعها

وللمماليك الملكيين تسعة قراريط ، وللامراء وفرسان الحلقة معاً احد عشر قيراطاً . وبقيت قسمة السلطان تزداد على هذا المنوال حتى جاء عام ١٣١٥ ، فاذا بالسلطان يملك وحده عشرة قراريط ولباقي الناس ، كلهم معاً ، اربعة عشر قيراطاً .

ولما اعتلى السلطان « الاشرف شعبان » سدة الحكم ، انقص من « الخاص » ليعطي اخوته واقاربه [1] . لكنه احتفظ بالمدن الكبرى شأن « الاسكندرية » و « دمياط » و « روزته » [2] (او الرشيد) .

هذا في مصر . اما في سوريا ولبنان فقد تضخمت

فيرتكز بالارجح على « العبرة » وليس على المساحة .

ان التنقيص من اقطاعات الامراء وفرسان الحلقة عام ١٢٩٨ كلّف السلطان « لاجين » عرشه ورأسه رغم انه تساهل وعين ١١ قيراطاً لتلك الاقطاعات عوضاً عن القراريط العشرة التي كان قد نوى اعطاءها في البدء .

١ راجع منهل ، م ٣ ، فقرة ١٥١ ، وفهرست الاسماء الشخصية عند ابن الجيعان .

٢ ظاهري ، ص ١٠٨ . ابن الجيعان ، ص ١٣٨ .

اراضي السلطان (الخاص) وازدادت توسعاً ، اذ انه اضيف اليها عام ١٣١٣ سهل الشام الخصب وبعض القرى الواقعة على طريق مصر - الشام التي أستعملت محطات منظمة لعربات البريد وخيول الموزعين . زد على ذلك الاجحاف في توزيـع الأراضي ، فلقـد وزعت على الاقطاعيين قطع متفرقة من الأرض بعيدة عن المكان الذي يقطنه اصحابها ، بل قل في اماكن يعتبر فيها الامراء والفرسان غرباء [١] .

فكان لذلك البعد الفاصل بين الاقطاعة وصاحبها أثر فعال في طريقة استغلالهـا اذ ان صغار الاقطاعيين غدوا مضطرين لحراس اقوياء يبسطون حمايتهم على ملكهم الشاسع مما أثر في ايجاد « الحماية على الأراضي » . فالوكيل الشديد البـأس يحمي الأرض ويأخذ ما فرضه على الفلاحين المزارعين من ضريبة ، ثم يرسل المطلوب منهـا الى صاحب

١ ابن يحيى ، ص ٩١ ، س ٧ - ٨ .

الاقطاعة . ومن يكون ، يا ترى ، اقوى نفوذاً من السلطان نفسه لحماية تلك الاقطاعات ؟ لذلك رأيناه يبسط حمايته عليها بعد ان منع « امراء المئة » من حماية فرسان الحلقة الذين يأمرون [1] . فقامت أثر هذه التدابير مكاتب حماية عديدة للسلطان اشهرها : « ديوان الخاص » ، و « ديوان الدولة » ، و « ديوان المفرد » ، و « ديوان الذخيرة » ، وخاصة « ديوان المستأجرات والحماية الشريفة » الذي اسسه السلطان « فرج » وقد اوفد « استدار » يمثله في كل مدينة او قرية كبيرة [2] .

قوبلت طريقة الحماية هذه بعدم التهليل من جميع الناس تقريباً : فالسلطات تلقاها عقبةً امامها لأن حماة الاقطاعة كثيراً ما حاولوا رفض تسليم اي من رجالهم

[1] خطط ، م ١ ، ص ٨٨ ، س ٥ — ١٠ .
[2] ظاهري ، ص ٩٧ ، س ١٦ ، ص ١٠٧ ، س ٨ ، ص ١٨٠ ، س ٧ ، ص ١٠٩ ، س ١٢ — ١٣ ، ص ١٣٠ ، س ١٢ — ١٣ . خطط ، م ١ ، ص ١١١ ، س ٢٦ — ٢٨ . حوادث ، ص ٢٥٣ ، س ١٥ ، ص ٣١٨ ، س ٢٣ . ابن اياس ، م ٤ ، ص ٢٦٢ .

الى السلطة ، اذا شاءت توقيفه ، — والاقطاعيون الصغار بدوا على استياء مرير اذ تبين لهم ان الوكيل الجبار يأكل مال الصغير الموكل او « لا يريه من الجمل غير اذنيه » [1] .

اما حق الحماية فكثيراً ما نقل من اقطاعي لآخر ، ومن مؤسسة الى غيرها . وكثيراً ما اعطى السلطان رسم الحماية إخاذة لبعض الاقطاعيين ، عوضاً عن الاقطاعة . ورسم الحماية ورد في « العبرة » مضافاً الى مدخول الاقطاعة السنوي [2] . اما الجماعة الذين ساءت ظنون السلطان بهم ، فهم خاصةً زعماء القبائل والحكام .

١ خطط ، م ١ ، ص ٨٨ ، س ٥ — ٧ . صبح ، م ٧ ، ص ٢٠٦ ، س ٢ — ٤ . حوادث ، ص ٤٥٨ ، س ٢٢ — ٢٣ . ابن اياس ، م ٤ ، ص ٤٨٥ ، س ١٢ .

٢ نجوم ، م ٦ ، ص ٥٨٥ ، س ٩ — ١٠ (عن الامراء الذين وُكلت اليهم « حماية » مقاطعات بكاملها) . راجع سلوك ، م ١ ، ص ٢١١ . ابن حجر ، م ١ ، ص ٤٧٨ ، س ٣ — ٤ . وفيما يختص بشرح كلمة « حماية » ، راجع سلوك ، م ١ ، ص ٢١١ ، ٢٥١ ، م ٢ ، ص ١٤٧ ، م ٢ ، ص ١٢٩ .

ورغم ان الحاكم العام كان يحمل لقب " ملك الامراء " فان امراء مقاطعته ظلوا من اتباع السلطان . اما وثيقة " التقليد " التي يصدرها السلطان بتعيين " ملك الامراء " [1] حاكماً ، فتختلف عن الشهادة التي اعطاه اياها ليصبح اميراً اقطاعياً ، مع انهما كتبتا معاً في آن واحد . وفي مصر ، في القرن الرابع عشر ، بسط هؤلاء الحكام حمايتهم على بعض الاقطاعات المشتتة والملحقة بهم مع ان بعضها يقع خارج نطاق قضائهم [2] . غير ان هذا لم يبق على زمن « ابن الجيعان » اذ غدا الحكام يأخذون

١ يزعم « ابن تغري بردي » ان بعض حكام الاقضية كانوا يحصلون في زمنه على هذا اللقب بموافقة الحاكم العام طبعاً دون ان يأتي الامر رأساً من السلطان (حوادث ، ص ٥٧٤ – ٥٧٦ ، ٦٧٢ . سلوك ، م ١ ، ص ٩٦ – ٩٩ ، رقم ١١٣) .

٢ ابن الجيعان ، ص ٢٢ ، س ١٧ ، ص ٥٢ ، س ١٧ ، ص ٥٦ ، س ٢ ، ص ٦٦ ، س ٢٥ ، ص ١٠٢ ، س ٧ ، ص ١٠٣ ، س ٢٧ ، ص ١١٥ ، س ٨ ، ص ١٢١ ، س ١٣ ، ص ١٥٦ ، س ١٦ الخ . وكانت الواحات فقط ، في صحراء ليبيا ، تخلع اقطاعات على الحكام (تعريف ، ص ١٧٥ ، س ١٨ – ٢٠) .

الاقطاعات شأن غيرهم من الناس [1] .

وفي سوريا وفلسطين ظلت هنالك اقطاعات متعلقة بمكتب الحاكم العام او بالحكام [2] حتى آخر عهد المماليك ، ولكنها لم تحمل طابعاً موحداً [3] .

وقد تنبهنا من الاطلاع على وثيقة « ابن يحيي » الاقطاعية ان اللبنانيين لم يترتب عليهم اداء اي واجب

١ ان الاقطاعة الوحيدة الملحقة بمركز اداري كانت اقطاعة « زمام الآدور الشريفة » لأمير الخصيان الموكول اليهم حراسة حريم السلطان : ص ١٤٤ ، ١٦٨ ، ١٧٦ ، ١٩٤ . ولم يشذ إلا قرية « قطيا » (حيث كانت تفرض الضرائب على البضائع المنقولة من سوريا الى مصر ومن مصر الى سوريا) التي أعطيت كاقطاعة عام ٩١٦ هـ. الامير الذي كان قائد الحامية المحلية هناك (ابن اياس ، م ٤ ، ص ١٩٢ – ١٩٣ ، ٣٦٨) .

٢ ابن الشحنة ، ص ٤٧ ، س ١٤ – ١٥ ، ص ٢٦١ ، س ٣ – ٥ . مجير ، ص ٤٢٣ ، س ٦ –٧ . كان الحاكم العسكري في حلب يملك ايضاً اقطاعة له (ابن الشحنة ، ص ٢٣٢ ، س ١٠) .

٣ على زمن « خُشقَدَمْ » كان الحاكم العام في الكرك يملك اقطاعة امير مئة في مقاطعة الشام (حوادث ، ص ٤٨٢ ، س ١٢ ، ص ٥٠٨ ، س ١٥ – ٢٠) .

عسكري على زمن الايوبيين والمماليك الأول، بل اقتصرت مهمتهم على تتبع نشاط الصليبيين الحربي [1]. ولما استولى المماليك على طرابلس عام ١٢٨٩، ازداد سلطانهم بأساً وقويت شوكتهم في لبنان، فصادر السلطان « قلاوون » الشهير اقطاعات اللبنانيين وجردهم منها قاطبة محتفظاً بها لمن سيقطنون طرابلس من فرسان الحلقة [2].

لكن اولئك الزعماء لم يعتموا ان استعادوا اكثر اقطاعاتهم شيئاً فشيئاً. غير انهم في هذه المرة امسوا من فرسان الحلقة او اصبحوا امراء من درجة معينة، يتوجب عليهم حراسة الطرق والشواطىء في اماكن معينة [3].

١ واذ لم تكن السلالات اللبنانية واضحة، رأينا بني بحتر يتلقون الشهادات الاقطاعية من الحكام اللاتينيين والسلاطين المماليك في آن واحد (منذ ايبك)، ومن السلطان الايوبي في دمشق حتى الجنرال « هولاكو » المغولي الذي غزا سوريا عام ١٢٦٠ (ابن يحيى، ص ٥٥ – ٥٨، ٦١، ٦٤، ٨٠).

٢ ابن يحيى، ص ٧٧ – ٧٨، ٩٠. ابن حجر، م ٢، ص ٥٥. تستثنى اقطاعة ابن المعين.

٣ ابن يحيى، ص ٣١، ٤٢ – ٤٣، ٧٨، ٨٩، ٩١، ١٣٤.

وكثيراً ما قطن الزعيم قرية غيره من الاقطاعيين ، بعيداً عن إخاذته ، يدفع إيجار مسكنه ومنزله [1] . اما البدو (كما يستدل من المعلومات المأخوذة عن ابن الجيعان) فكان لهم في مصر في القرن الخامس عشر اقطاعات تفوق ما ملكوه في القرن الرابع عشر مساحة واتساعاً . والسبب الرئيسي في ذلك ان السلطان ضرب بيد من حديد على عصاة البدو الثائرين وعاقبهم معاقبة ضارية صارمة لا تقعد على ضمد . لذلك اعطى زعماءهم إخاذات واسعة الانبساط

ابن حجر ، م ٢ ، ص ٥٥ . شدياق ، ص ٢٣١ . وفي عام ١٣١٣ ازداد العارض الذي كان على الزعماء الاحتفاظ به (ابن يحيى ، ص ٨٩ ، س ٢٢ ، ص ٩٠ ، س ٣ ، ص ٩ ، س ٢٣) ، فغدا الزعيم الكبير صاحب النفوذ الواسع يضم في خدمته الزعماء الثانويين لمماليك عاديين (ص ٩٧ ، س ٣ ، ص ٩٨ ، س ٢ – ١٠).

١ بعد « الروك » كان ناصر الدين ، احد زعماء « بحتر » ، مستأجراً ارض امير تركي يعرف بـ « صاروجه » في قريته « عبيه » ، بينما كان هنالك زعيم آخر يدعى « سيف الدين مُفرّج » يستأجر في قريته « عرامون » ارضاً من الزعيم ناصر الدين (ابن يحيى ، ص ٩٣ ، ١٠٢ – ١٠٣ . لمعرفة « صاروجه » راجع « ابن حجر » ، م ٢ ، ص ١٩٨ ، رقم ١٩٥٤) .

محاولاً كسب عطفهم من ناحية الارضاء الاقتصادي [١] .

وبما ان عدد الجيوش كان شيئاً عارضاً لا يستقر على ثبات ، كذا بدت الاقطاعات متغيرة متبدلة . فكم من مرة جمعت فيها اقطاعات صغيرة لتصبح اقطاعة مترامية الأطراف لأمير عال ؛ وكم من مرة اخرى قسمت اقطاعة رحبة الى إخاذات صغيرة لتوزع على صغار الاقطاعيين [٢] .

زد عليه ان بعضاً من زعماء القبائل قد ملكوا معاً اقطاعة واحدة . فاذا كانا اثنين ملكاها « بالمناصفة » ، وان كانوا اكثر تصرفوا بها « شركة » يأخذ منها كل

١ وجرى عام ٧٥٤ هـ . اعدام ٧٠٠ ثائر في مصر العليا ، ولكن زعيمهم ابن الاحدب شمله العفو واعيد الى مركزه (ابن اياس ، م ١ ، ص ٢٠٠ ، س ٢٢ – ٢٤) . وفي « الشرقية » كان زعماء البدو يملكون ١٤٠ ناحية (بكاملها او قسماً منها) عام ١٣٧٥ (والنواحي اقطاعات متشابهة فيها القرى الكبيرة) وعلى زمن ابن الجيعان ١٨٩ ناحية .

٢ حوادث ، ص ٢٨ ، ٣٢٢ ، ٣٩٣ ، ٥١٠ ، ٥١٢ ، ٥٥٧ ، ٦٠١ – ٦٠٢ . ابن يحيى ، ص ٨٤ ، س ١١ – ١٢ . ابن حجر ، م ١ ، ص ٤٧٨ ، س ٤ .

« قسمته » حسب رتبته العسكرية [1] .

لم يكن هنالك اية قاعدة لترقية الفرسان والامراء او لزيادة اقطاعاتهم [2] . ففي فجر دولة المماليك كانت الاقطاعة وراثية تعطى لولاة السلطان او لأصحاب القوة البدنية من الورثة ، بغيــة مساعدتهم على اتمـام الواجب العسكري كفرسان لامعين [3] . وقد انعمت الدولة على اولاد الامراء بالمنح المالية واللحوم والخبز والعلف ابان نعومــة اظفارهم ، ثم اذا ما ايفعوا وغدوا شباناً ، خلع السلطان عليهم لقب « فرسان الحلقة » [4] .

١ ابن يحيى ، ص ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٥٩ ، ١٦٤ ، ١٦٦ ، ١٧٨ ، ١٩٢ ، ١٩٤ . صبح ، م ١٢ ، ص ٤٢٣ ، س ١٤ .

٢ نحن نعرف حوادث قتل وانتحار على يد جماعة غضبوا لمثل هذه الاشياء . ابن اياس ، م ١ ، ص ٢٠٥ ، م ٢ ، ص ٢٢٥ ، ٢٥٥ ، ٢٩٥ .

٣ سلوك ، م ١ ، ص ٢٣٣ – ٢٣٤ ، ٢٣٧ ، م ١ ، ص ١٧ – ١٨ . تعريف ، ص ٩٣ ، س ٦ – ٧ .

٤ خطط ، م ٢ ، ص ٢١٦ ، س ١٨ – ٢٤ . ضوء الصبح ، م ١ ، ص ٢٥٨ ، س ١٨ – ٢٠ .

٨ وبعد ذلك التاريخ ، اصبح الامراء ، في اكثريتهم ، منتخبين من بين المماليك الملكيين [١] الذين امتازوا بشيمتين : الاولى : حبهم واخلاصهم لوالي نعمتهم السلطان ، والثانية : ابداعهم بالفنون العسكرية . اما متين صداقتهم للسيد الواحد [٢] فقد جعل منهم اناساً يؤلفون حزباً سياسياً حقيقياً يستغل جميع الفرص السانحة : فاذا جرى توزيع اقطاعات ، هبوا يطالبون بالقسم الاوفر منها ، واذا تنازع اميرانِ منصب نائب السلطان ، احبوا ان يكون التاج فيهم . اما اذا تفشى الطاعون في الحروب مجرداً الاقطاعات من مالكيها ، فانهم يطالبون بها حقاً لهم [٣] .

١ صبح ، م ٤ ، ص ١٥ ، س ١٨ — ١٩ . (منهل ، سخاوي ، ابن حجر) .

٢ « خشداشية » . اما عن اصل الكلمة الحقيقي فراجع سلوك ، م ١ ، ص ٤٣ — ٤٥ ، رقم ٦١ .

٣ ابن اياس ، م ١ ، ص ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٩ ، ١٩٠ ، ٢١١ ، ٢١٣ ، ٢١٦ ، ٢٤٠ ، ٢٦٠ ، ٢٨٠ ، ٣٥٢ ، ٣٨١ . م ٢ ، ص ٣ ، ١١ ، ١٢ ، ١٦ ، ٢٥ ، ٤١ ، ٧٢ ، ٩٣ ، ٢٤١ ، ٢٧٧ ، ٣٠٥ . سلوك ، م

ونذكر ان حق الأسبقيـة لأخذ الاقطاعات على عهد الشراكسة أعطي للارستقراطية القوقازية [١] التي كانت على دائم نزاع مع اولياء السلطان الحاكم [٢] .

والذي يتحتم ذكره هو تدخـل بعض اصحاب النفوذ واسطة بين السلطان والاقطاعي لاعطائه إخاذة ما [٣] .

ويذكر المؤرخون ان كثيراً من الاقطاعات كانت تشترى بالمال نقداً . اما بائعها فاما ان يكون صاحب الاقطاعة السابق او السلطان نفسه [٤] .

٢ ، ص ١٧٤ . نجوم ، م ٦ ، ص ٩ ، ٢٤٦ ، ٥١٢ . حوادث ، ص ١٧٨ ، ١٨٣ ، ١٨٨ ، ٣٣٤ — ٣٣٦ ، ٤١٠ ، ٦٢٠ . ابو الفداء ، م ٤ ، ص ٣٦ . في القرن الخامس عشر كان يحمل كل عضو من هذا الحزب علامة فارقة (ماير ، ص ٣ ، ٣٣) .

١ منهل ، م ٣ ، فقرة ١٨٦ ، س ١٨ — ٢٣ . ظاهري ، ص ١١٥ ، س ١٨ - ١٩ .

٢ حوادث ، ص ٣٣٤ — ٣٣٦ . ابن أياس ، م ٤ ، ص ١٠٧ ، ٣٤٢ ، ٣٥٦ ، ٣٥٨ .

٣ Anonym ، ص ٤٦ ، س ٣ . منهل ، م ٥ ، فقرة ١٩٧ ، س ١٧ — ٢٠ .

٤ ابن اياس ، م ١ ، ص ١٨٤ . حوادث ، ص ٣٣٩ ، ٥٩٦ .

فكثيراً ما باع فرسان الحلقة إخاذاتهم لبعض المواطنين الرسميين من رجال دين وتجار، وسرعان ما كسب هؤلاء المشترون حق الفروسية مع الاقطاعة المشتراة [1]. ورأينا احيانا بعض الاقطاعات تباع « لمماليك خصوصيين » ظلوا في خدمة اسيادهم [2]. فبهذه الطريقة امسى « اولاد الناس » [3] سكاناً مدنيين يملكون اقطاعات فرسان الحلقة [4]،

١ صبح، م ٤، ص ١٦، س ٥. ضوء الصبح، م ١، ص ٢٤٥، س ١٣ – ١٤. ابن حجر، م ٤، ص ٣٦١، س ٩. ابن اياس، م ١، ص ١٩٨، س ٧. سخاوي، م ٨، ص ٢٨٢، س ٨. وفي بعض الاحيان كان هنالك ديوان خاص بهذه التنقلات يعرف « بديوان البدل ». خطط، م ٢، ص ٢١٩ (راجع سخاوي، م ١٠، ص ١٠٩، س ٩. «دلال الاقطاعات»، نجوم، م ٥، ص ٤٠، ٤٢٣، يسميه « ديوان البذل » (مكتب الرشوة).

٢ انهم احرزوا الحق بان يكونوا مماليك خصوصيين وفرسان حلقة في نفس الوقت عام ٦٧٨ هـ. ولكن ذلك أبطل ونقض عام ٨٢١ هـ. سلوك، م ١، ص ١٧. نجوم، م ٦، ص ٣٨٦ – ٣٨٧.

٣ راجع ابن اياس، م ٤، ص ١٣٦، س ٥، ص ١٥٠، س ١٣.

٤ ابن اياس، م ٤، ص ١٣٦، س ٩ – ١٠، ص ١٥٠، س ١٧ – ١٨.

واصبحت « الحلقة » نفسها هيكلاً جيشياً جرد من قيمته العسكرية. لكنه بقي، لفرسان الحلقة، في القرن الخامس عشر، بعض الحق في إيفاد نواب حربيين عنهم (نائب لكل اثنين او اربعة من الاقطاعيين الصغار)، وظلوا يدفعون المال لاعفائهم من الخدمة [1].

اما ابان الحرب الاخيرة بين المماليك والعثمانيين فلم يطلب منهم اي واجب من هذا القبيل.

وعلى غرار فرسان الحلقة، كان الامراء والمماليك الملكيون يفعلون [2]. غير انه يترتب على اقطاعيين مثل هؤلاء تأدية خدمة عسكرية واجبة.

ففي حال اصابة احدهم بعاهة بدنية (كالعمى، والداء العضال، وامراض الجلد المزمنة وضعف الشيخوخة) كان

١ ابن اياس، م ١، ص ٣٣١. م ٢، ص ١٠٥، ٢٣٠. نجوم، م ٦، ص ٧١، ٣٨٨ — ٣٨٩.
٢ حوادث، ص ٣٣٩، ٥٩٦، ٦٩٠. نجوم، م ٦، ص ٣٨٧. وبهذه الطريقة اصبح بعض « اولاد الناس » من المماليك الملكيين (حوادث، ص ٦٨١).

السلطان يجرده من اقطاعته حالاً [1] . وزعماء القبائل باستطاعتهم ايضاً ان يبيعوا اقطاعاتهم [2] كما انه كان للسلطان حق اعطائها لمن شاء [3] .

والاقطاعات تعطى جواباً على ما يأتي :

١ — القصة : تقديم طلب من المرشح لاقطاعة خالية .

٢ — النزول : تصريح من الاقطاعي القديم بأنه تنازل عن إخاذته لفلان .

٣ — الاشهاد : طلبان من اقطاعيين يريدان تبادل أخاذتهما

١ ابو الفداء ، م ٤ ، ص ٥٤ . نجوم ، م ٦ ، ص ٨٥٦ . حوادث ، ص ٢١٥ ، ٣٦٤ ، ٥١١ ، ٥٧٧ . منهل ، م ٢ ، فقرة ٣١ ، م ٤ ، فقرة ٤ . وفي ظروف استثنائية كان بعض اولاد الامراء يقلدون هذا اللقب ابان نعومة اظفارهم فيشذون عن القاعدة . ابو الفداء ، م ٤ ، ص ٩٢ ، س ٢٢ . امسى ابن « الغوري » « امير أخور كبير » مفتش الاسطبلات الملكية .

٢ ابن يحيى ، ص ١٥٤ ، ١٨٤ ، ١٨٦ — ١٨٨ ، ١٩٢ ، ١٩٤ .

٣ جعل السلطان « قايتباي » بعض مماليكه « شيوخاً » على القبائل البدوية ، واعطى « يشبك الدوادار » مركز امير قبيلة الهوارة . ابن اياس ، م ٢ ، ص ١٧١ ، ٣٠٢ .

الواحدة بالآخر ، او ابداء رغبتهما معاً " بالشركة " او " بالمناصفة " .

٤ – " مثال " خطي من " ناظر الجيش " بأمر من السلطان .

ولكي تجاب جميع هذه الطلبات يجب ان تصدق نهائياً بتوقيع السلطان . والتصديق كناية عن كلمة واحدة يخطها السيد الأكبر بيده . وهي ، عادة ، « يكتب » ، او احياناً كلمة « اعلامه » ، او « الشريف » ، او « الخط » .

فاذا صدق عليها السلطان حفظت في ملف " كاتب ديوان الجيش " ، ونص عنها هذا الأخير وثيقة تعرف " بالمربع الجيشي " او " المثال المربع " او " المستند " ، وتحمل صورة عن امر السلطان باعطاء فلان اقطاعة فلان (وهي كناية عن قرية كذا وكذا ... او عن الأرض الواقعة في مكان كذا وكذا ...)

وبعد اجراء المعاملات اللازمة في " ديوان الجيش " ترسل الى رئاسة " ديوان الانشاء " ، فتعين بدورها من

سيكتب « المنشور » . وما « المنشور » سوى نسخة ، طبق الأصل ، « للمربع الجيشي » زيدت على اولها القاب الاقطاعي الجديد وصفاته . اما طول المقدمة ، ونوع قطع الورق ، وكلمة الاستهلال (الحمد لله ، اما بعد ، خرج الامر)، فتتغيرة حسب درجة الاقطاعي ومنزلته .

وقبل عهد سلطنة « الأشرف شعبان » كان يوضع على وثيقة « امير المئة » و « امير الطبل » قطعة من الورق ختم عليها اسم السلطان وألقابه تعرف « بالطغراء » .

اما علامة التصديق على تلك الوثيقة فجملة من التعابير الدينية نحو « حسبي الله » (ايبك)، و « المستعان بالله » (بيبرس الأول)، و « الله املي » (السلطان محمد قلاوون) .

غير ان « المربع الجيشي » المختص بفرسان الحلقة في سوريا ولبنان وفلسطين فيعرف « بالرقعة »، يصدق اولاً من الحاكم العام في فرع الديوان الجيشي جواباً على « النزول » او « الاشهاد » او « المثال » او « القصة »، ثم يرسل الى القاهرة حيث يحتفظ به مع « مثال » عادي .

اما المماليك الملكيون فيأخذون وثائقهم الاقطاعية من اسيادهم، لا من " ديوان الانشاء " التابع للسلطان . لذلك فرض على اولئك الأسياد الامراء وجوب اعلام « ديوان الجيش » بكل مملوك ينخرط في خدمتهم او بكل فرد يصرف منها [١] .

١ لاجل التفصيل انظر نويري ، م ٨ ، ص ٢٠٧ – ٢١٠ . خطط ، م ٢ ، ص ٢١٦ – ٢١٧ . تعريف ، ص ٨٨ – ٩٠ . صبح ، م ٤ ، ص ١٩ ، ٥١ ، ١٨٤ ، ١٩٠ ، ٢١٧ ، م ٦ ، ص ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢١٢ ، ٢٢٣ ، م ١٢ ، ص ٢١٨ ، م ١٣ ، ص ١٥٣ – ١٩٩ . ابن يحيى . سلوك ، م ١ ، ص ٢٠٠ – ٢٠١ ، م ٢ ، ص ٩٧ . ظاهري ، ص ١٠٠ ، س ١٤ – ١٥ . حوادث ، ص ٣٣٥ ، س ١٥ – ١٧ . « يكتبات » في ابن اياس ، م ٤ ، ص ١٣٦ ، س ٧ ، ليست غلطة كما يظن المؤلف . ان بيع الاقطاعة كان عادةً يصبح شرعياً بعد « النزول » . اما الامراء الدروز الذين يحملهم قانون دينهم الخاص على توزيع املاكهم بين ورثتهم حسبما شاؤوا فكانوا يحاولون ان يجعلوا ذلك التقسيم شرعياً « بنزول » اذا جرى التقسيم هذا غب ايام حياتهم (راجع بورون ، ص ٣١٤ ، وفولني ، م ٢ ، ص ٧٣) . وعندما يحدث النزول يكتبون في الوقت نفسه « كتاب التمليك » ، (نزول) ، الذي ينص على بعض التعليمات والذي يبقى

والذي نتفكه بالمر على ذكره هو أن كل امير يعطى يوم تنصيبه راية وبوقاً[1] .

في حفظ العائلة وحراستها (ابن يحيى ، ص ٥٦ ، ٦٠ ، ٨١ ، ١٣٠) . (وفعل النزول = نزل عن لـ ...) .

١ « أمتر بالبوق والعلم » : صبح ، م ٤ ، ص ٧٠ ، س ٢ ، ٧ ، ٩ ، ١٨ .

انحطاط الاقطاعات العسكرية

بعد زوال صبغة الاقطاعات الوراثية اخذ الاقطاعيون يبذلون كل ما في وسعهم ليسجلوا باسماء سلالاتهم ولو جزءاً يسيراً من ممتلكاتهم ، على ان يكون هذا اليسير غير خاضع او مقيد بالخدمة . ولقد سهل تحقيق مساعيهم وجود طبقة معينة من الممتلكات ممنوحة كنفقة او هبة «ارزاق او رزق» [١] وتتفرع الى : اولاً : رزق عسكرية او الرزق الجيشية [٢] او الأخباز [٣] ، ثانياً : رزق دينية

١ حوادث ، ص ٥٧ ، س ١٧ ، ص ٤١٠ ، س ١٣ – ١٧ ، ص ٥٧٧ ، س ١٦ – ١٧ (استرزق = استفاد من دخل ، رزق) ابن اياس ، مجلد ٤ ، ص ١٥ ، س ١١ ، ١٨ ، ١٣٦ ، س ٤ – ١٩ ، ص ١٥٠ ، س ١٧ – ١٨ .

٢و٣ ابن اياس ، مجلد ٥ ، صفحة ٤٢٠ ، س ٧ – ٩ ، ص ٤٧٥ ،

او رزق احباسية [1] او احباس [2] . وفي كلتا الحالتين لم تكن هذه الأراضي سوى مجرد منحة اعطتها الدولة دون ان تصطبغ باية صبغة عسكرية او غيرها ، انما كانت إحساناً على سبيل البر والصدقة [3] ليس إلا ... فالرزق الجيشية هي كناية عن اقطاعات منحتها قيادة الجيش : اولاً الى الامراء الذين لم يتمكنوا من اتمام خدماتهم العسكرية اما لتقدمهم

س ١٨ — ١٩ ، ٤٨٠ ، س ٢٠ . سلوك ، م ١ ، ج ٢ ، ص ١٥٩ — ١٦١ ، نفس العبارة تستعمل احياناً لكل الاقطاعات .

١ نويري ، م ٨ ، ص ٢٠٩ ، س ١ . ابن خلدون ، م ٥ ، ص ٤١٠ ، س ١١ . خطط ، م ١ ، ص ١١٠ ، س ١٧ . ابن اياس ، م ٤ ، ص ١٣٦ ، م ٥ ، ص ٢١٩ ، ٤٦٠ — ٤٦١ ، ٤٦٦ ، ٤٧٥ ، ٤٨٠ .

٢ اي الرزق الاحباسية . ظاهري ، ص ١٠٩ ، س ١٣ — ١٤ . ابن اياس ، م ٥ ، ص ٤٦١ ، س ١ — ٣ .

٣ صبح ، م ٤ ، ص ٣٨ ، س ٧ — ١٦ . ضوء الصبح ، م ١ ، ص ٢٥٠ ، س ٢٢ — ٢٣ . نجوم ، م ٦ ، ص ٦٩ ، س ٧ — ٨ ، وبالكلمات نفسها تقريباً : جبرتي ، م ٤ ، ص ٩٣ ، س ١٩ ، ٣١ ، ص ١٤١ ، س ٣٢ . اذن ، فالنعت « المبرورة » أستعمل في الوثائق الرسمية لهذه الاراضي . صبح ، م ٦ ، ص ١٨٥ ، س ١٦ — ٢٠ .

في السن واما بسبب المرض [١] ، ثانياً الى امراء صرفوا من الخدمة لأسباب سياسية وكانوا اذ ذاك على الاغلب منفيين او مسجونين في القدس [٢] . ثالثاً : الى زوجات وارامل وايتام الامراء والفرسان [٣] . رابعاً : الى اولاد الناس بما فيهم المتحدرين من سلالة السلاطين [٤] .

١ على عهد السلطانين جقمق وخشقدام كانت هذه الاقطاعات تعطي حوالى ٢٠٠،٠٠٠ (مئتي الف) درهم في السنة . حوادث ، ص ٥١١ ، س ٨ – ٩ ، ص ٥٧٧ ، س ١٧ . للامير او الفارس المعتزل الحق بان يقطن حيثما شاء ، وكان يلقب « طرخان » (صبح ، م ١٣ ، ص ٤٨) ، بينما لقب بطّال كان يطلق على من صرف من الخدمة او نفي .

٢ صبح ، م ٧ ، ص ٢٠٠ ، س ٩ – ١٧ . هذه الاقطاعات كانت في اقسام فلسطين التابعة لولاية دمشق (صبح ، م ١٢ ، ص ٣١٤ ، س ٧) . وكانت القدس المكان الرئيسي للامراء المنفيين . منهل ، م ١ ، فقرة ٢٧ ، ١٥٨ ، ١٦٢ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٠٠ ، م ٢ ، فقرة ٦ ، ١١ ، ٣١ ، ٣٧ ، ٤٤ ، ٨٩ ، الخ ..

٣ ابن اياس ، م ٤ ، ص ١٥ ، س ١٢ – ١٣ ، ص ١٦ ، س ٤ – ٥ ، ص ١٣٦ ، س ٥ ، ص ١٥٠ ، س ١٥ – ١٦ ، م ٥ ، ص ٢١٩ ، س ٧ – ٨ .

٤ منهل ، م ١ ، فقرة ٥٥ ، س ٨ – ٩ .

خامساً : الى جوامع ومدارس واديرة الدراويش واهل الثقافة والتقى [1]. ومع ان هذه الاقطاعات كانت غير خاضعة للخدمة ظاهراً أعتبرت احياناً اقطاعاً للامير او اقطاعاً للحلقة ، وعلى واضع اليد ان يحمل منشوراً بها [2]. اما واضع اليد هذا فلم يكن غالباً ذا رتبة عسكرية ، وانما كان حاملاً رخصة خاصة من سلطة الجيش معروفة بالمربعة الجيشية [3] وهي غير الوثيقة التي ورد ذكرها بالاسم نفسه آنفاً . ففي اقطاع ابن الجيعان مثلاً نجد في حالات

١ صبح ، م ٤ ، ص ٥١ ، س ١٩ ، م ٦ ، ص ١٨٥ ، س ١٩ .

٢ سخاوي ، م ٣ ، ص ٢ ، س ١١ . ابن حجر ، م ٢ ، ص ٢١٤ ، س ١٧ . ابن اياس ، م ٤ ، ص ١٣٦ ، س ٤ — ١٩ ، ص ١٥٠ ، س ١٣ — ١٨ . وعبارة اخباز مستعملة في اكثر الاحيان فيما يتعلق بهذه الاراضي .

٣ ابن اياس ، م ٥ ، ص ١٨٩ ، س ١٦ — ٢٠ ، و ص ٢١٨ ، س ٢٣ ، الى ص ٢١٩ ، س ١ ، ص ٢١٩ ، س ٦ ، ص ٢٨٧ ، س ١٧ . ظاهري ، ص ١٠٠ ، س ١٩ — ٢٠ . النساء والمؤسسات العلمية لم يكن يحق لها الحصول على المناشير مطلقاً .

عديدة ان الناحية الواحدة التي تحتوي على مئات او الوف الفدادين كانت مشتملة على رزق وعشرات الفدادين لم تذكر اسماء واضعي اليد عليها مطلقاً لكونهم على الأغلب متحدين ضمن نطاق صاحب الأرض او مالك القرية ، مما يجعلنا نفترض ان هذا المالك او السيد اراد ان يدعم حق ملكيته بوضع يده دون قيد او شرط على مكان هام في القرية كبئر الماء مثلاً او قناة الري او البيوت او غير ذلك .

وأصطلح على ان لفظة احباس مرادفة للفظة اوقاف في المدرسة المالكية للشرع الاسلامي ، وهي المدرسة الوحيدة التي اجازت دون سواها تحويل دخل الأراضي المؤجرة الى وقف اثناء مدة الايجار . واننا نميل الى التصديق بأن اعتبار الاحباس نوعاً خاصاً من الأراضي يرجع الى زمن الفاطميين يوم كانت المدرسة المالكية المدرسة الوحيدة المعترف بها من محاكم العدل [١] .

ولم تكن الخدمة العسكرية شرطاً لنيل الاقطاعات

١ صبح ، م ٣ ، ص ٥٢٤ ، س ١٣ .

آنذاك لكون الاقطاعات خاضعة لنظام الايجارة [1] .

وبالرغم من وجود مصادر عديدة تنسب تأسيس ديوان الأحباس الى شخصية قديمة كالليث بن سعد قاضي مصر في القرن الثاني الهجري [2] ، والى شخصية اخرى كصلاح الدين [3] ، فالحقيقة ان الأدلة التي تعزو تأسيس هذا الديوان الى الفاطميين [4] لكثيرة ايضاً . اذ ان الكثير من هذه المراجع والمصادر يؤكد وجود اقطاعات احباسية خاصة في عهد الفاطميين [5] . وكانت هذه الأراضي في عهد المماليك ارضاً ملكية ممنوحـــة لمؤسسات دينية ولذوي الاستحقاق . وهي وان بقيت دون منزلة الأوقاف رتبة فان

١ خطط ، م ١ ، ص ٨٥ ، س ٣٥ — ٣٦ ، ٣٩ .
٢ ابن اياس ، م ٥ ، ص ٤٦١ ، س ١ — ٣ .
٣ جبرتي ، م ٤ ، ص ٩٣ ، س ٢٦ .
٤ خطط ، م ٢ ، ص ٢٩٥ ، س ٥ .
٥ خطط ، م ١ ، ص ١١٠ ، س ٤ — ١٧ . « اليهود في مصر وفلسطين في عهد الخلفاء الفاطميين لـ « ج. مَنْ » ، اوكسفورد ١٩٢٢ ، م ٢ ، ص ٣٥٤ ، (الاحباس اليهودية في فلسطين) . ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، م ٢ ، ص ١٦٦ .

مميزاتها المقدسة جعلتها فوق الرزق الجيشية . وكانت هذه الأراضي تحت اشراف ديوان ملكي خاص يعرف بديوان الأحباس يديره ناظر – وهو موظف ديني – ناظر مسؤول في كثير من الأحيان تجاه الدوادار الأكبر (الأمير المشرف على الأختام الملكية، وكثيراً ما قام هو نفسه بهذا العمل منذ ٧٦٨ هـ.) .

وكان الناظر مسؤولاً احياناً تجاه نائب السلطان مباشرة او السلطان نفسه [١] .

وبسبب الازدياد المتواصل بلغ عدد هذه الأراضي في عام ٧٤٠ هـ. حوالى مئة وثلاثين الف فدان [٢] (١٣٠،٠٠٠) . وفي عهد الفتح العثماني وجد في مصر العليا

١ صبح ، م ٤ ، ص ٣٨ ، س ٧ – ١٦ . ضوء الصبح ، م ١ ، ص ٢٥٠ ، س ٢١ – ٢٤ . ظاهري ، ص ١٠٩ ، س ١٣ – ١٥ . خطط ، م ٢ ، ص ٢٩٥ . سلوك ، م ١ ، ج ١ ، ص ١١٩ ، رقم ٢ . ابن اياس ، م ١ ، ص ٢٢٠ ، س ١ – ٢ .

٢ خطط ، م ٢ ، ص ٢٩٥ ، س ٣١ .

وحدها الف وثمانمئة [١] (١٨٠٠) رزق كهذه .

اما الأحباس الكائنة في حوزة الكنائس والأديرة المسيحية في مصر فانها صودرت عام ٧٥٩ هـ. ووزعت على الامراء علاوة على اقطاعاتهم [٢] . وكانت الرخصة الملكية المعطاة لواضع اليد على اقطاع كهذا معروفة « بتوقيع احباسي » وصادرة عن ديوان الأحباس [٣] . اما في سوريا وفلسطين ولبنان فكان امتداد الأحباس على نطاق اضيق مما كان عليه في مصر [٤] .

وبين الاقطاعات الموهوبة ايضاً يمكننا ان نضع اقطاعات الخليفة . ومع ان « ايبك » مؤسس دولة المماليك الذي حاول افساد ادعاء الايوبيين — الاسرة المالكة في

١ ابن اياس ، م ٥ ، ص ٤٦١ ، س ٦ ، ٢٢ — ٢٣ .

٢ ابن اياس ، م ١ ، ص ٢٠٦ ، س ٦ — ١١ (وكان مجموع مساحتها اذ ذاك عشرين الف فدان) .

٣ ظاهري ، ص ١٠٩ ، س ١٥ .

٤ نويري ، م ٨ ، ص ٢٠٩ ، س ١ — ٢ . سلوك ، م ١ ، ج ٢ ، ص ٥٩ ، رقم ٧١ .

سوريا — صرح « بأن البلاد هي ملك للخليفة وان الملك هو ممثل له فقط »[1] ، نرى انه يوم نقل مركز الخلافة الى مصر عام ٦٥٩ هـ. او ١٢٦١ م لم يتسلم الخليفة هنالك اي اقطاع ارضي . وكان « برقوق » هو الذي اتخذ الاجراء القائل بمنح الخليفة العاجز ارضاً يتسلمها من الحاكم الأصلي كاقطاع خاص له . وقد ظل هذا الاجراء نافذ المفعول في العراق منذ عـــام ٣٣٤ هـ.[3] ، وفي مصر طيلة عهد الفاطميين[4] . واصبح الخليفة ، بصفته واضع اليد على اقطاع[5] ، يعد عضواً في الفئة العسكرية وله رتبة

١ او بشخص آخر يعينه الخليفة للقيام بهذا العمل : ابو الفداء ، م ٣ ، ص ١٩٢ ، س ١٢ . منهل ، م ١ ، فقرة ٣ ، س ١٧ .

٢ خطط ، م ٢ ، ص ٢٤٣ ، س ١ — ٢ . ابن الجيعان ، إلا انه لم يذكر اي قطاع كائن في عهدة الخليفة عام ١٣٧٥ .

٣ ابو الفداء ، م ٢ ، ص ١٠٠ ، س ٧ . ابو شامة في كتاب الروضتين ، القاهرة ١٢٨٧ — ١٢٩٢ هـ. م ١ ، ص ٣١ ، س ٣٠ .

٤ ابو شامة ، م ١ ، ص ١٩٦ ، س ١٩ .

٥ « اقطاع الخلافة » : ابن اياس ، م ٥ ، ص ٣٤٧ ، س ٢٣ .

عسكرية ايضاً [1] . وفي زمن السلطان يوسف عام ٨٤١ هـ.
ازداد اقطاع الخليفة توسعاً . وفي عهدي « اينال » عام
٨٥٧ هـ. وابنه احمد ، منح الخليفة مكافأة اخرى علاوة على ذلك .
ولما جاء « قايتباي » عام ٨٧٢ هـ. [2] ألغى هذه الزيادة واقتطع
من ممتلكات الخليفة . ولما نفي الخليفة الأول « المتوكل »
الى اسطنبول بعد فتح العثمانيين لمصر ، ظلت اقطاعاته فيها
ملكاً له حتى عهد السلطان سليم الأول الذي امر بتقسيم
هذه الاقطاعات بين الخليفة واثنين من العباسيين المنفيين [3] .
ولسنا ندري ما إذا كانت هنالك علاقة بين هذه

١ ابن اياس ، ص ١٥٥ ، س ٤ .

٢ نجوم ، م ٧ ، ص ٦ ، س ١ ، ص ٤٦١ ، س ٢ . حوادث ، ص ٢٣٦ ، س ٦ ، ص ٣٨٢ ، س ١ ، ص ٦٣٣ ، س ٣ – ٨ . ابن اياس ، م ٢ ، ص ٥١ ، س ٨ ، ص ٩٦ ، س ١٥ – ١٨ ، م ٤ ، ص ٢٩٢ ، س ١ – ٦ . سخاوي ، م ٣ ، ص ١٦٦ ، س ٢١ . وفي زمن ابن الجيعان كانت مؤلفة من قريتين كاملتين واجزاء اخرى لقريتين غيرهما (ص ٢٥ ، س ١٥ ، ص ٨٠ ، س ١٨ ، ص ١٤٤ ، س ١٠ ، ص ١٥٨ ، س ٧) .

٣ ابن اياس ، م ٥ ، ص ٣١٢ – ٣١٣ ، ٣٤٧ – ٣٤٨ .

الاقطاعات وبين الممتلكات التي ورثتها سلالة العباسيين المصريين في القرن الثامن عشر [1] .

ولما كان يحق للدولة استرجاع الرزق الجيشية [2] نرى ان انجع وسيلة تذرع بها الاقطاعيون الراغبون في الاحتفاظ باقطاعاتهم العسكرية ، وبابقائها ملكاً لهم مدى الحياة ، هي بان يحولوا هذه الاقطاعات الى املاك خاصة غير خاضعة لنظام الاقطاع . ففي اوائل عهد المماليك كانت هذه الأراضي الخاصة كثيرة في سوريا [3] ويكاد لا يكون لها وجود في مصر [4] . وبالتالي اخذ هذا النوع من الأراضي

١ جبرتي ، م ٣ ، ص ٣٥٥ ، س ٣٢ .

٢ ابن اياس ، م ٤ ، ص ١٣٦ ، ١٥٠ ، ٣٢١ – ٣٢٢ ، م ٥ ، ص ٩٠. ولقد كانت الرزق الاحباسية في ايدي رجال الدين والمؤسسات (حوادث، ص ١٤٠ ، س ٨ . ضوء، م ١ ، ص ٢٥٠، س ٢٢ – ٢٣).

٣ ابن الشحنة ، ص ١٢٨ ، س ٨ – ١٠ ، ص ١٦٨ ، س ٨ ، ص ١٧٤ ، س ٧ – ٨ (مقتطفات عن ابن شداد وهو معاصر لبيبرس الاول . ص ١٧٠ ، س ٢ ، ١٣) .

٤ صبح ، م ٣ ، ص ٤٥٥ ، س ١٠ – ١٢ . والاراضي العشرية القديمة حولها الفاطميون الى اراض تدفع الخراج . خطط ، م ١ ، ص

الخاصة يزداد بزيادة تحويل اقطاعات عسكرية سابقة [1] . غير ان هذه الزيادة كانت انتهاكاً مباشراً للشرع الاسلامي الذي حرم تحويل الأراضي التي تدفع الخراج الى اراض مملوكة [2] غير خاضعة لنظام الاقطاع وتدفع العشر فقط . ولقد الغى رجال الشرع في عهد المماليك هذا القانون فاعتبروا : « ان الحق الذي اعطاه الشرع الاسلامي للخليفة بمنح المسلمين الأراضي المغتصبة والأراضي غير المملوكة منحاً كممتلكات خاصة تدفع العشر ، اصبح ينطبق على كل الأراضي العائدة الى الدولة لأي سبب كان » ، كما وانهم اخذوا خصوصاً بالنظرية القائلة « بان كل ممتلك مات مالكه دون ان يترك وريثاً بعده يصبح ميراثه ملكاً لجماعة المسلمين [3] » . اما

٨٤ ، س ٢ — ٨ .

١ نجوم ، م ٦ ، ص ٣٨٧ ، س ١٧ .

٢ في عهد المماليك لم تكن هنالك ضريبة تفرضها الحكومة على الاراضي العشرية او اية اراض اخرى خارجة عن ملكية السلطان ، لكنه كان يفرض عليها في بعض الاحيان ضرائب استثنائية فوق العادة . — ٣ صبح ، م ١٣ ، ص ١١٥ ، س ٣ ، ٨ .

الخليفة فكان ممثلاً بادارة بيت المال المنتدبة من لدن السلطان، وكان يحق له، اي للخليفة، ان يبيع هذه الأراضي ويتصرف بها كيفما شاء. زد عليه انه اذا تنازل واضع اليد بارادته التامة عن حقه في اقطاع ما وكان هذا التنازل لصندوق الامة، اصبح له الحق بان يشتري هذا الاقطاع ثانية كممتلك خاص او ان يتدبر امر ابتياعه من صديق له [١]. ولذا نرى ان الأراضي التي اصبحت ملكاً خاصاً، غير خاضع لنظام الاقطاع، لابتياعها بواسطة صندوق الامة، غدت عديدة جداً [٢]. وطالما اشترى

عام جداً

١ ابن يحيى، ص ١٠٢، س ١٣ – ص ١٠٣، س ١. انه من الممكن ان يكون تحويل الاراضي التي تدفع الخراج الى اراض عشرية بواسطة بيعها للخزينة العامة، وهو اجراء اقتبسه المماليك من تركستان (وقد كانت آنذاك تحت سيطرة التتر) حيث ظل هذا الاجراء نافذاً حتى القرن التاسع. M. N. Rostislavov. Ocerk vidov Zemelnoi sobstvennosti i Pozemelnyi Vopros v Turkestanskom kraie, St. Petersburg, 1879, pp. 7–8.

٢ ابن الجيعان، ص ٥، س ٢٢، ص ٩، س ٩، ص ١١، س ٢٣، ص ١٤، س ٣١، ص ١٠٦، س ٢٤، ص ١٠٩، س ٢٢، ص ١١٤، س ٢٤، ص ١٣٠، س ٢١، ص ١٣٩، س ١٠، ص

السلطان هذه الأراضي اما ليحتفظ بها [1] او ليمنحها هبات لأمراء ذوي نفوذ [2]، كما وان جزءاً كبيراً من الاقطاعات والممتلكات الملكية تحول الى اوقاف [3]. ففي القرن الخامس عشر كان الامراء يؤسسون اوقافاً ويتبرعون

Orientalia, ii, 1846 ، ١٩٤ ، س ٥ . ابن حبيب ، درة الاسلاك ، ص ٣٨١ ، س ٢٣ – ٢٤ .

١ سلوك ، م ١ – ٢ ، ص ٧٦ .

٢ فقد اشترى السلطان قلاوون تدمر لامير امراء آل فضل . (منهل ، م ٤ ، فقرة ٢٠٢ ، س ٢٢ – ٢٣) .

٣ هذه اللفظة (اوقاف) وفعل وقف وردتا في مصادر المماليك فيما يتعلق باقطاعات ممنوحة كهبة (حوادث ، ص ٤١٨ ، س ٨ . ابن الجيعان ، ص ٢٥ ، س ١٥ ، ص ٨٠ ، س ١٨ ، ص ١٤٤ ، س ١٠ ، ص ١٥٨ ، س ٧ . ابن اياس ، م ٤ ، ص ١٥ ، س ١٠ – ١٢ ، ١٦ ، ص ١٥٠ ، س ١٦ ، م ٥ ، ص ٣٩٥ ، س ١٣ – ١٤ . صبح ، م ٤ ، ص ٥٥ ، س ١٣) والفرق الرئيسي بينها وبين الاوقاف الصحيحة هو ان الاوقاف الصحيحة قد بناها واضع اليد نفسه (الذي كان باستطاعته في البدء ان يحولها الى اراض عشرية) . اما هي فكناية عن هبة ممنوحة من السلطان . عن ازدياد الاوقاف الصحيحة راجع : ابن الجيعان ، ص ١٤٧ ، س ١٧ ، ٢٠ ، ص ١٤٩ ، س ٣ ، ٢٦ ، ص ١٥٠ ، س ٣ ، ١٥ الخ . خطط ، م ١ ، ص ١١٠ ، س ٢٨ – ٣٠ .

بانشاء دور علم وبر على اسم مماليكهم [1] ليزيدوا من عطف هؤلاء عليهم وعلى سلالاتهم من بعدهم . وفي بعض الأحيان كانت سلالات هؤلاء الامراء تستفيد من اوقافهم [2] معنوياً ومادياً . بيد ان دخل هذه الأوقاف كان يرصد على الأغلب لمشاريع اجتماعية او دينية كالدفاع عن الشواطىء ضد قرصان اوروبا [3] مثلاً ، او لدفع فدية عن المسلمين الذين وقعوا اسرى في ايدي هؤلاء القرصان [4] ، او لبناء خزانات ماء [5] ومستشفيات [6] او لمساعدة

١ ابن الجيعان ، ص ١١٥ ، س ٢٧ ، ص ١٢٨ ، س ٦ ، ص ١٣٥ ، س ١٩ ، ص ١٦٢ ، س ١ ، ص ١٧٩ ، س ١٨ .

٢ C I A ، م ١ ، ص ٣٥٣ ، ٣٦٠ ، رقم ٢٤٧ . ابن اياس ، م ١ ، ص ٢٢٥ ، س ١٨ — ١٩ .

٣ منهل ، م ٢ ، فقرة ٣٤ ، س ٨ — ٩ . ابن دقماق ، م ٥ ، ص ١١٤ ، س ٥ . ابن اياس ، م ٢ ، ص ١٨٩ ، س ١٥ . ابن يحيى ، ص ٤٢ ، س ١٠ — ١٥ .

٤ صبح ، م ١٢ ، ص ٤٧ ، س ٤ — ٦ ، ص ٥٢ ، س ١٥ ، ص ٣٩١ ، س ١٤ — ١٥ .

٥ و٦ مايو ، ص ١٨٨ . ابن حجر ، م ١ ، ص ٢٨٥ ، س ١٤ . بشكوف «تاريخ حلب» ، بيروت ، عام ١٨٨٠ ، ص ١٣٢ . ابن اياس ،

المؤسسات في الحجاز [١] لا سيما الجوامع والمدارس الاسلامية واديرة الدراويش [٢] . ومن شاء من المؤسسين ان يضمن مستقبل ورثته عينهم وكلاء وراثيين على الأوقاف . ولطالما تصرف هؤلاء الوكلاء بدخل الأوقاف حسب اهوائهم وخالفوا الشروط التي وضعها المؤسس [٣] بحيث ان النظام المتبع عرفاً فيما يتعلق بحق التصرف كان شبيهاً بنظام الاقطاعية في وضع اليد [٤] . وخالفوا هذا النظام ايضاً اذ سمحوا لأنفسهم بحق التنازل (النزول) وحولوا وكالاتهم

م ١ ، ص ١١٦ ، س ١١ . ابن الشحنة ، ص ١٦٧ ، س ٥ . منهل ، م ٢ ، فقرة ١٦١ ، س ٩ ، م ٣ ، فقرة ١٠٧ .

١ سلوك ، ص ٦٩ — ٧٠ ، C I A ، م ١ ، ص ٣٤٦ . رقم ١ . ابن دقماق ، م ٥ ، ص ٣٣ ، ٤٨ ، ١٣١ . ابن ايـــاس ، م ٢ ، ص ١٩٤ ، س ١٦ — ٢٦ .

٢ راجع فهرس مؤسسات مصرية كهذه في ابن الجيعان .

٣ حوادث ، ص ١٧ ، س ١ — ٣ . منهل ، م ٤ ، فقرة ١٥٨ ، س ١ — ٢ . عن العهد العثماني (Volney) فولني ، م ٢ ، ص ٣٧٠ . جبرتي ، م ٢ ، ص ١٢٧ ، س ١٣ — ١٥ ، م ٤ ، ص ١٨٩ ، س ٩ ، الى ص ١٩٠ ، س ١ . ابن الشحنة ص ١١٧ ، س ٢ — ١٢ .

٤ ابن الشحنة ، ص ١١٦ ، س ١٨ ، « وهي الآن باسم » ابن

لأبنائهم او لأصدقائهم [1] ويمكننا القول بانهم كانوا اقطاعيين دينيين ومركزهم الاجتماعي اقل شأناً من المركز العسكري، لكنه كان ذا صفة ارثية اشد منه (يستثنى الوكلاء الواضعو ايديهم على اقطاعات عسكرية في الوقت نفسه) كما وان ادارة شؤون بعض الأوقاف كانت مرتبطة بمراكز عسكرية معينة لا سيما رؤساء القضاة العسكريون او الدوادار الأعظم زمام الآدور ورأس نوبات النوب (قائد المماليك الملكيين المنوطة بهم حراسة القصر) وحاكم بعلبك [2] . وبالواقع فان كل العائلات والاسر الارستقراطية الحالية التي كانت ذات نفوذ ملموس في عهد

الجيعان (مراراً عديدة) .

١ ابن الشحنة ، ص ١١٦ ، س ٥ – ٦ ، ١٧ ، ص ١١٧ ، س ١٦ – ٢٠ .

٢ حوادث ، ص ١٧ ، س ١ – ٣ ، ص ٥٤ ، س ٢ – ١٠ ، ص ٨٠ ، س ١٧ . ابن اياس ، م ١ ، ص ٢٠٣ ، س ١٩ . م ٤ ، ص ٣٥ ، س ١٣ – ١٤ ، ص ٣١٧ ، س ١٨ – ١٩ . صبح ، م ١٢ ، ص ١١٧ ، س ٩ – ١٠ ، ص ٣١٩ ، س ٣ – ٤ .

المماليك (ما عدا رؤساء القبائل) فانها مديونة بوضعها الحالي الممتاز وببقائها على هذا الوضع حتى الآن لكون افرادها وكلاء ارثيين او امناء على اوقاف هامة . وبين هذه العائلات فريق متحدر من اصل تركي كآل البرقوقي في مصر [١] وآل النشاشيبي في القدس [٢] .

وتلك البيوتات التي تزعم بان نسبها ينتهي الى محمد وصحبه كآل الحسيني في القدس [٣] والتميمي في

١ فُوضت سلالة السلطان برقوق بادارة أوقافه . جبرتي ، م ٤ ، ص ١٠٥ ، س ٢٢ – ٢٣ .

٢ سلالة الامير ناصر الدين محمد بن احمد بن رجب المولود في القاهرة عام ٨٢١ هـ . (الارجح انها تنتمي لاولاد الناس الذين كانوا بين عام ٨٧٥ – ٨٩٣ هـ. نظار الحرمين (مراقبو الجوامع في القدس وحبرون ومديرو اوقافها) . سخاوي ، م ٦ ، ص ٣٠٨ – ٣٠٩ ، رقم ١٠٢٥ . مجير ، ص ٦٢١ – ٦٧٢ . ولقد وصف مايو لباسهم الحربي. وظيفة ناظر الحرمين محصورة بالامراء : تعريف ، ص ١٠٨ – ١٠٩ . صبح ، م ١٢ ، ص ١٠٥ ، س ٢ – ٣ . مجير ، ص ٦٠٤ – ٦١٩ .

٣ في أواخر القرن الثالث عشر التزم «آل حسيني وآل وفاعي» المتحدرون من سلالة حفيد النبي الحسين بن علي ضيعة شرفات من واضع اليد عليها وبقيت محل اقامتهم وملكاً لهم طيلة

حبرون [1]. ولقد كان هؤلاء دون المماليك الملكيين طبقة.

وفي اواخر عصر المماليك كان مجموع الاقطاعات العسكرية اصغر كثيراً مما كان عليه [2] في بدء هذا العصر. وكان الاقطاع المشرف عليه السيد العسكري جزءاً صغيراً من ممتلكاته. اما الجزء الأكبر الباقي [3] فمؤلف من الرزق

عهد المماليك. ولقد كانوا وارثي لقب «نقيب الاشراف في القدس»، وهذا اللقب يعني ضمناً سلالة محمد لدى السلطات وادارة الاوقاف والمنح المقدمة لها (لهذا كان يطلق عليهم اسم بني النقيب ايضاً). ولقد اصبحوا بارزين تماماً في عهد العثمانيين يوم فقدت رتبة الاشراف الاجنبية مركزها وميزاتها. مجير، ص ٤٩٠. سخاوي، م ١، ص ٢٥٩، م ٤، ص ٣٠٩. جبرتي، م ١، ص ٦٦، ٤١٢، ٣٧١ – ٣٧٤، م ٢، ص ٧٠ – ٧١. فِنّ Finn، م ١، ص ١٨٠.

١ سلالة تميم الداري من صحابة محمد. وكانوا موظفي جامع حبرون، وتقدم لهم مداخيل اوقاف ومنح معينة حسب التقاليد التي اتبعها محمد مع اسلافهم. وكثيرون منهم اصبحوا فقهاء مشهورين ورجال ادب. صبح، م ١٣، ص ١٢٢، س ٨ – ١٠. مجير، ص ٤٤٩، ٦٣٢. سخاوي، م ١، ص ٢٠٤، م ٢، ص ١٣، م ٤، ص ٩٥، م ٥، ص ١٩٢. العمري، مسالك الابصار، م ١، القاهرة ١٩٢٤، ص ١٧٢.

٢ نجوم، م ٦، ص ٣٨٧، س ١٧. راجع الارقام في ابن

الأراضي العشرية والأوقاف التي اسسها هو، وكانت لم تزل تحسب من ممتلكاته [1] والاوقاف التي يديرها ايضاً. ومهما يكن من امر فان الفتح العثماني قضى بصورة نهائية على الاقطاعات العسكرية في مصر.

وظل المماليك وامراؤهم (ما عدا اولاد الناس) شهوراً عديدة هاربين من وجه السلطات ومتنكرين بازياء الفلاحين [2]. ولقد صودرت الاقطاعات العسكرية والحقت

الجيعان. — ٣ ابن اياس، م ١، ص ١٥٦، س ١٨ — ٢٣، ص ١٧٢، س ٧ — ١٤، ص ١٩٨، س ٥ — ١٢، م ٤، ص ٢٤٢، س ٣ — ٤، ١٤ — ١٧. حوادث، ص ٥٦٢، س ١٨، ص ٥٦٨ — ٥٦٩. منهل، م ٢، فقرة ٨٦، ١٦٠ — ١٦١. وقد ورد ذلك مرات عديدة عند ابن الجيعان.

١ وكان بامكانه ان يبيعها كأراض ذات ربى عشرية. حوادث، ص ١٦٧، س ٩، ص ١٦٨، س ٣، ص ٢٠٢، س ١٣. ابن اياس، م ٢، ص ٤٥، س ٢٦، م ٤، ص ١٠٩، س ٢٠، ص ١١٠، س ٣، ص ٢٤٢، س ٣ — ٤. عن العهد العثماني، راجع جبرتي، م ١، ص ٢٨، س ٣٠، ص ١٠١، س ٦ — ٧. الحجة الشرعية هي ان المؤسس كان في حالة دَين وقت التأسيس، وكان ممتلكه اذن كفالة لدفع هذا الدين. ولهذا فالوقف هو غير شرعي منذ البداية.

٢ ابن اياس، م ٥، ص ١٤٧ — ١٤٨.

بالممتلكات الملكية [1] . اما الرزق الجيشية (عدا تلك التي منحت بمنشور) والرزق الاحباسية والاوقاف فلقد ظلت كما هي [2] . وفي السنة نفسها (١٥١٧ / ٩٣٣) صدر عفو عن المماليك واصبحوا تدريجياً جزءاً من المعسكر العثماني في مصر (في اول الامر شملهم العفو ليعيشوا مجردين من السلاح كأفراد ملكيين ، ومن ثم اصبح لهم الحق بركوب الخيل وحمل السلاح ، واخيراً بأخذ نفقة) ... ولقد أثار هذا الحدث غضب العسكريين العثمانيين الصرف الذين ارادوا ان يأخذوا لأنفسهم امتيازات المماليك الملكية

١ ابن اياس ، م ٥ ، ص ١٥٨ ، س ١٤ — ٢٢ ، ص ١٦٧ ، س ٩ ، ص ١٧٦ ، س ٩ — ١١ ، ص ١٨٥ ، س ١٢ — ١٦ ، ص ١٨٦ ، س ٦ — ٩ ، ١٣ — ١٥ . همر Hammer ، م ١ ، ص ٧٨٩ — ٧٩٠ .

٢ ابن اياس ، م ٥ ، ص ١٨٩ ، س ١٦ — ٢٠ ، ص ٤٦٠ ، س ٢٢ ، ص ٤٦١ ، س ٣ . واخيراً حاولت الادارة الاميرية المصرية مراراً عديدة لتقبض على جزء من هذه الاقطاعات او على مداخيلها . ص ٢١٨ — ٢١٩ ، ٢٤٩ — ٢٥٠ ، ٢٦٤ ، ٢٨٧ ، ٣٣٢ ، ٤٦٠ — ٤٦١ ، ٤٦٦ ، ٤٧٥ ، ٤٨٠ .

كرواتبهم الشهرية ومخصصاتهم من اللحم والعلف واقطاعاتهم العسكرية [1] . اما السلطات فانها استغلت هذا التنافر القائم بين الفريقين من المعسكر وألغت الاقطاعات العسكرية جميعها . وأعطي المماليك علاوة على رواتبهم تعويض عن اقطاعاتهم التي خسروها ومخصصات اللحم والعلف [2] ، كما وان العثمانيين الاتراك الذين كانوا يقبضون في البدء تعويضاً يومياً ضئيلاً ، اصبحوا الآن يقبضون رواتب شهرية تفوق رواتب المماليك [3] مع الزيادة التي ألحقت بها . واما الحلقة فانها لم تشكل ثانية وانما سمح لبعض اولاد الناس بالانضمام الى الفرق العثمانية المعروفة بـ « الكميولية » [4] .

١ ابن اياس ، م ٥ ، ص ٢٠٩ ، س ٤ – ١٤ .

٢ ابن اياس ، م ٥ ، ص ٢٤٢ ، س ١٦ – ١٩ ، ص ٤٠٤ ، س ٢٢ ، ص ٤٠٥ ، س ٢ .

٣ ابن اياس ، م ٥ ، ص ٤٠٤ ، س ١٣ – ٢٢ .

٤ ابن اياس ، ص ٣٦٩ ، س ١٨ – ٢٢ . وهي على الارجح « آلاي الجمل » الاسم التركي الذي كان يلفظه المصريون جمليان (مارسيل Marcel ، ص ١٩٣) .

واما ديوان الجيش فلقد بقي مدة من الزمن يبيع الأراضي للاشخاص الذين يرغبون في الشراء، ولم تعد الأراضي تباع كأقطاعات وانما كرزق جيشية . وهنا بذل المشترون كل الوسائل بما فيها تزوير السندات ليحولوا هذا المشترى الى اراض خاصة غير خاضعة لنظام الاقطاع . ولكن هذه الطبقة من الأراضي اضمحلت تدريجياً [1] فيما بعد.

وخلال السنين الاولى من الفتح استعاد زعماء البدوان اقطاعاتهم وعين منهم من كان صاحب نفوذ . وكان هذا التعيين من لدن الحاكم المركزي المشرف مباشرة على هذه الاقطاعات، ولم يبق لقائد مصر الأعلى تدخل مباشر بشؤونهم [2] . ولكن منذ اشتراكهم في الثورة غير الموفقة

١ ابن اياس، م ٥، ص ٤٢٠، س ٥، ص ٤٢١، س ١٤، ص ٤٦٩، س ١ – ٥، ص ٤٧٥، س ١٨ – ١٩ (اعادت السلطات الاراضي المصادرة من المزورين) . وبما ان الإقطاعات الطبيعية قد زالت فلطالما استعمل ابن اياس لفظة اقطاعات عانياً بها الرزق الجيشية (ص ٢٥٨، س ٦ – ٧، ص ٢٨٧، س ٨) . ولها المعنى نفسه على الاغلب في اسحاقي، ص ١٣٦، س ٥ .

٢ ابن اياس، م ٥، ص ١٦٤، س ٣ – ٤، ص ٢٦٩،

التي قام بها القائد العام احمد باشا عام ١٥٢٤ م انتزعت منهم صفة وضع اليد واصبحوا مجرد مزارعين في الممتلكات الملكية [1] . اما فرق المماليك السورية والفلسطينية فلقد انسحبت عام ١٥١٦ الى مصر هرباً من العثمانيين، واصبح نصيبها نصيب المماليك المصريين وبينهم الزعيم شرف الدين يحيي رئيس عشيرة بحتري [2] ، وهنالك زعماء من القبائل اعلنوا خضوعهم للفاتحين فكافأتهم هؤلاء بأن تركوا لهم ممتلكاتهم السابقة ومنحوهم اقطاعات اخرى علاوة عليها. ومن اولئك الزعماء كان زعيم المعنيين فخر الدين الأول ، وجنبلاط (او جنبلاد) جد اسرة جنبلاط المتحدرة من اصل كردي، واصبح كل منهما برتبة سنجق بيه اي حاكم

س ٢٣ – ٢٤ ، ص ٢٨٤ ، س ١٥–١٨ ، ص ٣٨٧ ، س ١٣–١٧ ، ص ٤٢٩ ، س ١ – ٥ ، ص ٤٣١ ، س ١٠ – ٢٠ . كان رؤساء بني عمر والاحدب وبكار وبغداد ومرعى معتبرين من هذا النوع .

١ في النصف الثاني من القرن السادس عشر كان حكام المنوفية يُنتخبون من بني بغداد : اسحاقي ، ص ١٣٧ ، س ٢٧ – ٣٦ .

٢ شدياق ، ص ٢٤٦ ، س ١ – ٢ ، ١٠ .

منطقته (صيدا وبيروت في لبنان، وكلس في شمالي سوريا) ومدير الاقطاعات الواقعة ضمن دائرة نفوذه [1].

وفي عام ١٥١٧ سلمت القيادة العليا العامة في جنوبي سوريا وفلسطين ولبنان الى امير مملوك يدعى جان بردي الغزالي، وكانت جيوشه مؤلفة من مماليك جاءوا من مصر لخدمته [2] ومن بعض المواطنين الشواذ ومن معسكر صغير من العثمانيين [3]. ونرجح ان هؤلاء كانوا يقبضون رواتبهم نقداً شأن القوات المصرية (يستثنى رؤساء القبائل). وبعد اخفاق ثورة الغزالي عام ١٢٥٠ — ١٢٥١ حلت جيوش

١ همر Hammer ، م ١ ، ص ٧٦٤ ، م ٢ ، ص ٧٠٥ . وحسب رواية الشدياق (ص ٢٥١ ، س ١١–٢٢) ، فان لفظة « مونوغلي » (Moinoghli) تعني فخر الدين الاول ، وإلا كنا فكرنا بشخص آخر يدعى ابن المعين .

٢ ابن اياس ، م ٥، ص ٣٧٧ ، س ١٨ — ١٩ . الاسرة الفلسطينية (ابو غوش) تدعي بانها متحدرة من هؤلاء المماليك . Finn ، م ١ ، ص ٢٢٩ — ٢٣٥ .

٣ ابن اياس ، م ٥ ، ض ٣٧٧ ، س ١٧ — ٢١ ، ص ٤١٨ ، س ٧ ، ص ٤١٩ ، س ٨ — ٩ . Hammer ، م ٢ ، ص ١٩ .

المماليك المحلية واصبح النظام السائد هو النظام العسكري العثماني للمقاطعات .

ويزعم « عيني علي » ان عدد الجيش الاقطاعي العثماني في سوريا وفلسطين بلغ ٨٢٥٨ خيالاً منهم ٣١٩٤ في ولاية دمشق ، و١٨٢١ في ولاية طرابلس ، و٣٢٤٣ في ولاية حلب . وكان بينهم ٢٥٦١ صاحب اقطاعة منهم ١٠٠٦ في ولاية دمشق ، و٦٤٢ في ولاية طرابلس ، و٩١٣ في ولاية حلب ، وكان هنالك ٥٦٩٧ فارساً (جبلو) في خدمتهم ، وكان هؤلاء ملكاً لأسيادهم على غرار المماليك الخصوصيين الذين تقدم ذكرهم ، ولم تتح لهم الفرص المناسبة ليصبحوا اقطاعيين لأن في ذلك مخالفة للقانون الارثي العثماني للاقطاعات . اما الاقطاعات فلقد كانت موزعة على الوجه التالي : تسع عشرة اقطاعة تابعة لمركز الحاكم العام وحكام المناطق ، وتسع اقطاعات اخرى لأصحاب رتب عليا في الولايات ، ومئتان وخمسة وتسعون تحت سلطة الزعماء الاقطاعيين ، و٢٢٣٨ باشراف زعماء دون

توزيع الاقطاعات في العهد العثماني

هؤلاء (اربابي تيمار) .

وكانت قيمة الاقطاع تعدل بالنسبة لحاصلها السنوي بالعملة العثمانيـة الفضية (اسبر) . وكان دخل الاقطاع الصغير او « تـيمار » يقدر بألفي اسبر او اكثر ، ودخل اقطاع اكـبر او « زعامة » بعشرين الف اسبر او اكثر ، ودخل « الخاص » (اي الاقطاع الخاص بالحاكم العام او بأمين صندوق الولاية في الولايات السورية الفلسطينية) براوح بين ١١٣٬٠٠٠ و١٬٠٠٠٬٩٩٥ اسبر [١] .

وهناك عدة مراكز لم تقسم الى اقطاعات ، غير انها كانت معتبرة كعقارات ملكية ومنها :

١ — تدمر ، ٢ — صيدا وبيروت ، ٣ — الكرك والشوبك في اقليم دمشق ، ٤ — تركمانات حلب واعزاز ، ٥ — منبـج والمضيق في اقليم حلب . ونستطلع من

١ عن قيمة الاسبر (Asper — اقتشا العثماني) حسب زعم Belin في Journal Asiatique 6e sér. م ٣ ، ص ٤٢٢ — ٤٢٥ . وهذه العملة اصبحت تدريجياً عملة وهمية كاذبة استعملتها الخزينة في ولايات مختلفة وبقيم مختلفة .

مصادر اخرى ان هنالك عقارات ملكية في مراكز اخرى ايضاً كمقاطعة طبريا [1] وبعض الغابات في ولاية دمشق [2]. وحسب الجغرافية السياسية الحديثة كان هنالك ما يقارب [3] ٥١٧ اقطاعة في فلسطين (مراكز القدس ونابلس وغزة وصفد واللجون) و٦٦ اقطاعة في شرقي الاردن في مركز عجلون ، و١٠٠ اقطاعة في لبنان في مركز طرابلس ، و٢٠٢ في كيليكيا في مركز اطنه ، بينما كان

١ بين عام ١٥٦٠ – ١٦٠٣ كان يقوم بزرع هذه المقاطعة صيارفة يهود من القسطنطينية ، اولهم جوزف هنسي (*Alias* Joao Miquez) وحماته . ثم سلمون ابن يعيش (*Alias* Alvaro Mendez) وابنه . راجع جوزف هاـ كوهين « Emeq ha - Beka », ed. Letteris , p.p. 145 — 147.
Fr. Pantaleao de Aveiro, Itinerario da Terra Sancta, Lisbon, 1583, 1927 ;
Transactions of the Jewich Historical Society of England, xi, 1928, p. p. 26, 84.

٢ م ٤ ، ص ٢٢٧ ، من J. A. 9e Ser. ، عام ١٨٩٤ .

٣ ان الحدود السورية التركية هي غير الحدود الشمالية لولاية حلب في القرن السادس عشر ، فمدينة كلس مثلاً هي الآن داخل الحدود التركية ، كما وان الحدود الحاضرة لسوريا وفلسطين ولبنان هي غير تلك التي كانت حدوداً على زمن « عيني علي » .

يوجد ١٦٧٦ اقطاعة داخل حدود الجمهورية السورية الحديثة وهاتاي (واراضي هذه الأخيرة قسمت آنذاك بين المراكز المجاورة) .

لقد كتب « عيني علي » كتابه عام ١٦٠٩ . غير ان الأرقام المأخوذة عنه هي بالحقيقة اقدم منه [1] بنحو من عشرين عاماً . وحسب القانون الاقطاعي العثماني كان عدد الاقطاعات في كل ولاية ثابتاً نسبياً باعتبار ان نواة كل اقطاعة (او قليج — القطعة التي كان يستخرج منها اقل حاصل معين بالنسبة لدرجة الاقطاعات) وحدة لا تتجزأ . ولما كانت ارقام « عيني علي » تتعلق بهذه الوحدات فهي اذن تمثل على الأرجح وضعية الأشياء في ولاية حلب بعد الفتح ، وفي ولايتي طرابلس ودمشق بعد اخماد ثورة الغزالي ، ومن جهة ثانية فان « عيني علي » جمع هذه الأرقام بعد فوات الاوان .

في عام ١٦٠٥ — ١٦٠٧ حاول الأمير علي جنبلاط

١ تيشندورف Tischendorf ، ص ٥٨ ، ١٠٠ ، ١١٨ .

ان يصبح حاكماً مستقلاً على سوريا وفلسطين فاحتل النقاط الرئيسية في الولايات الثلاث وهزم الجيوش العثمانية [١] الاقطاعية. وبعد اخفاق هذه الثورة لم نعد نسمع باقطاعات عسكرية. وقد جهل فولني (Volney, 1783 – 1785) كما جهل الرحالة دارفيو (D'Arvieux, 1664) من قبله وجود اقطاعات عسكرية سابقة في سوريا وفلسطين [٢].

ونحن نعلم ان السلاطين العثمانيين اعتبروا كل بلاد خسروها – ولو منذ عامين او ثلاثة فقط – كأرض للعدو (دار الحرب) وتصبح بعد ان يفتتحوها ثانية غنيمة حربية [٣] من غنائمهم، وفيئاً من افيائهم. ولقد اتخذت هذه النظرية عام ١٦٠٧ حجة للاستيلاء على الاقطاعات العسكرية في

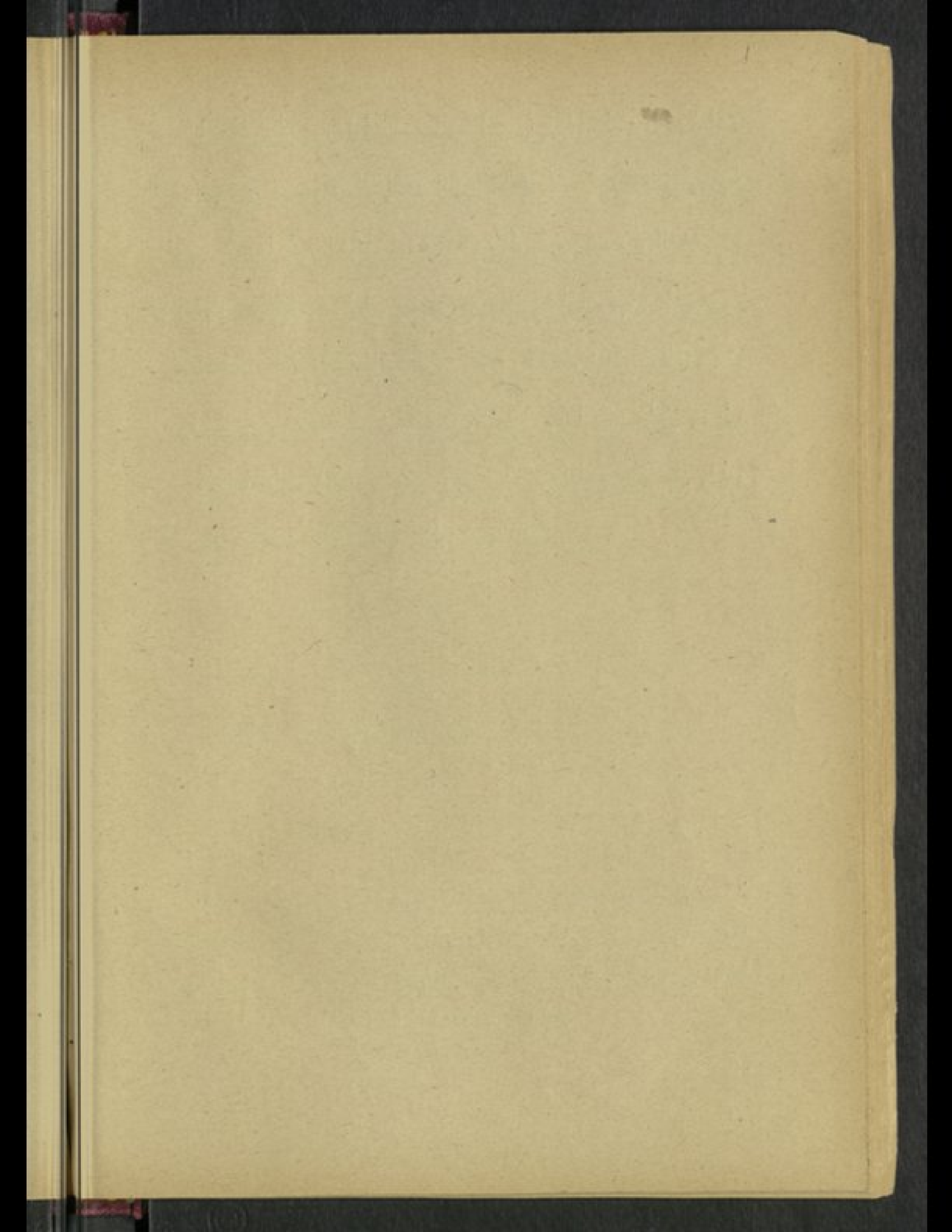
١ Hammer، م ٢، ص ٧٠٥ – ٧١٠. شدياق، ص ١٣٢ – ١٣٦.

٢ Volney م ٢، ص ٣٧٣. Roque، ص ٧٥.

٣ جبرتي، م ٤، ص ٩٤، س ١١ – ١٣. ونجد مثل هذه الحالة على عهد المماليك سابقاً: سلوك، م ١، ج ٢، ص ٥٩، رقم ٧١.

سوريا وفلسطين . اما السبب الحقيقي فعائد الى زيادة التدرب على استعمال البنادق التي حطت من أهمية الفروسية الحق، لاسيما في المناطق الجبلية، والى ان جيوش الفلاحين والمأجورين التابعين لعلي جنبلاط الذين شلوا جهود المشاة [1] والمعسكرات الاقطاعية، والى الاضطرابات والثورات المتواصلة في الاقطاعات العسكرية في سوريا وفلسطين، والى بعد الاقطاعات النسبي عن حدود الامبراطورية، كل هذه الأسباب أدت الى اتخاذ مثل هذا الاجراء .

١ في عام ١٦٦٤ سمعنا ان البنادق الحربية كان يقتنيها الفلاحون العاديون، مع ان البدو لم يكونوا في ذلك الوقت متمرنين بعد على استعمال السلاح . Roque، ص ٧٨ . وفرسان علي جنبلاط لم يفوقوا الاعداء عدداً . Hammer, loc. cut .



تلزيم ممتلكات السلطان

في زمن المماليك كانت كل قرية خاصة بالسلطان في عهدة ملتزم (متدرك) وهو اما حاكم الولاية [1] او شيخ من البدو او رجل دين او شخص آخر ذو مال ونفوذ . وكان هذا المتدرك يجمع الضرائب من الفلاحين وذلك على نوعين : الفصل ، وهو كناية عن ضرائب معينة ثابتة تدفع سنوياً على الحصاد والغلال . وكان هذا الاجراء سائداً في الأراضي الواقعة على الشاطىء السوري الفلسطيني

١ كان معروفاً بالمتدرّك (ظاهري ، ص ١٠٧ ، س ٩ ، ص ١٣٠ ، س ١٣ — ٢٠ . حوادث ، ص ٧٢٤ ، س ٥) ، او مدرّك (حوادث ، ص ٦٥٥ ، س ١ — ٨ . ابن اياس ، م ٤ ، ص ٣١٨ ، س ١ . ص ٣٢٧ ، س ٧) ، او عامل (نجوم ، م ٦ ، ص ٣٩٩ ، س ١٤ — ٢٠ . ابن اياس ، م ٤ ، ص ١٠٥ ، س ٣ ، ص ٣١٨ ،

ومن ثم امتد الى مصر في القرن الخامس عشر [1]. والنوع الثاني : الضمان ، وهو كناية عن اتفاق يجدد سنوياً ونحدد به الكمية التي يجب دفعها في تلك السنة . وكان جارياً في القرى الواقعـــة في سهل دمشق واكثر مزروعاتها من الأشجار المثمرة [2] ومحتمل ان يكون نافذاً ايضاً في اقسام اخرى من تلك الولاية . اما مدير الدائرة الملكية (ديوان المفرد وديوان الدولة والديوان الخاص او ديوان الذخيرة) فلقد كان رئيساً على المتدركين في القرى الواقعة ضمن دائرة نفوذه ، وكان يجمع الضرائب بواسطة مزارعين محليين . وهنا يجدر بالذكر انه في اثناء الشطر الأكبر من

س ٣) . وراجع ايضاً حوادث ، ص ٦٩٢، س ١ – ٤ .

١ نويري ، م ٨ ، ص ٢٦٠ ، س ١٠ ، ص ٢٦١ ، س ٢ . ظاهري ، ص ١٣٠ ، س ١٤ – ٢١ . وكلمة فصل حسب زعم النويري هي من اصل فرنكي Frankish بمعنى تابع للملك او الامير (Vassal ?) .

٢ Anonym ، ص ٨٢ ، س ٢١ – ٢٣ . وهو النظام المتبع في احتكارات السلطان الصناعية والتجارية (الجهات المضمونة . ظاهري ، ص ٩٧ ، س ١٧ – ١٨) .

عهد المماليك كانت املاك كل دائرة متفرقة في انحاء مختلفة من مصر (اما في سوريا وفلسطين ولبنان فلم نكن نسمع بسوى الاقطاع « الخاص »)، ويدير شؤون كل جزء صحراوي من اطرافها (او تقسيط)[1] رئيس متدرك (ملتزم) يعرف بـ « المتحدث على او المتكلم على ». وكان بعض هؤلاء المتدركين الرؤساء امراء رفيعي المنزلة. فزراعة القسم الأكبر من مصر العليا مثلاً كانت تحت اشراف الدوادار الأعظم[2]. وفي السامرة (جبل نابلس وتوابعه)

١ ابن اياس ، م ٤ ، ص ٣٢٩ ، س ٢٢ ، ص ٣٣٠ ، س ٤ . ص ٣٧٧ ، س ٩ — ١٣ ، ٢٠ ، ص ٣٩٨ ، س ١ — ٢ .

٢ ابن اياس ، م ٢ ، ص ١١٢ ، س ٢٦ — ٢٧ ، ص ١١٥ ، س ٢٧ — ٢٩ ، ص ١١٦ ، س ١٣ ، ص ٢١٨ ، س ٢١ ، م ٤ ، ص ١٦٠ ، س ١١ — ١٣ ، ص ١٨٠ ، س ٥ ، ص ٢٦١ ، س ٢٢ ، ص ٢٩٨ ، س ٨ ، ص ٣٢٧ ، س ١ — ١٨ ، ص ٣٨٨ ، س ١٩ ، م ٥ ، ص ٢٩٥ ، س ٢٠ . وكانت الايجارات التي يدفعها الملتزمون في مصر العليا عام ٨٧١ هـ. معينة بـ (١٦٠،٠٠٠) اردب من نوع الحنطة (الاردب الحديث في مصر يعادل حوالى ١٩٨ لبتراً . حوادث ، ص ٥٣٠ ، س ٢٤ — ٢٦) .

كان الدوادار مشرفاً على زراعة الأراضي السلطانية [1] ايضاً. واراضي سهل بيسان كانت احاناً تحت اشراف حاكم دمشق العام [2]. وكان الوزير نفسه يشرف احياناً على الأراضي وذلك في حالة كون الموظف المشرف اميراً لا قائداً وطنياً [3].

وفي زمن الفتح العثماني اصبح القسم الأكبر من

١ بحير ، ص ٦٨٦ – ٦٨٧ ، ٦٩٤ – ٦٩٥ ، ٧٠٢ . ابن اياس ، م ٤ ، ص ٥١ . وكان سكان المدن الفلسطينية مرغمين على شراء زيت الزيتون الذي تنتجه اراضي هذه الممتلكات باسعار جائرة محدودة .

٢ صبح ، م ٤ ، ص ١٨٣ ، س ١٧ – ١٨ ، ص ١٨٨ ، س ٦ – ٧ ، ص ١٩٠ ، س ١٩ – ٢٠ . ولفظة الاغور تعني ضاحية بيسان (تعريف ، ص ١٧٨ ، س ١٥ – ١٦) ، كما ان لفظة الاعور التي ذكرها M. Sobernheim في وصفه دمشق في:
Das Zuckermonopol unter Sultan Barsbai
(Zeitschrift füs Assyriologie م ٢٧ ، عام ١٩١٢) هي ولا شك بالمعنى نفسه وليست تعني الاهواز او البحرين التي لم تكن مطلقاً تابعة لدولة المماليك .

٣ ابن اياس ، م ٢ ، ص ٢١٥ ، س ١١ ، ١٧ ، م ٤ ، ص ٢٦ ، س ٥ .

الأراضي المصرية ارضاً سلطانيـة لا سيما الاراضي القديمـة الخاصة بسلاطين المماليك والاقطاعـات العسكرية وكل الاراضي التي لم يتمكن واضعو اليد عليها من ابراز حجج ملكيتهم الشرعيـة [1]. فالاسكندرية ودمياط والرشيد وبورلس اصبحت جميعها من املاك قصر السلطان (دار السعادة)، وظل يدير شؤون هـذه الأملاك مندوب عن القصر (وكيل) حتى عام ١٨١٢ حيث ألحقت هـذه الوظيفة بكيخية والي مصر العام [2] (وهو مدير شؤون الوالي) . اما ادارة ما تبقى من الممتلكات السلطانيـة فاصبحت على زعم ابن اياس معروفة بالبلاد السلطانية [3]

١ ابن اياس ، م ٥ ، ص ١٥٨ ، س ١٤ — ٢٣ ، ص ١٦٧ ، س ١٩ ، ص ١٧٦ ، س ٩ — ١١ ، ص ١٨٤ ، س ٢٠ ، ص ١٨٥ ، س ١٦ ، ص ١٨٦ ، س ٦ — ١٥ .

٢ ابن اياس ، م ٥ ، ص ٣٩٦ ، س ٥ — ١٣ ، ص ٤٠١ ، س ١ — ٤ ، ص ٤٠٥ ، س ٥ — ٧ ، ١٦ — ١٨ . جبرتي ، م ٣ ، ص ٦٢ ، س ٢٩ — ٣٠ ، م ٤ ، ص ١٤٥ ، س ١٣ — ١٩ .

٣ ابن اياس ، م ٥ ، ص ٤٠٣ ، س ١٤ .

او الاقطاعات السلطانية يشرف عليها والي مصر العام الذي كان عليه ان يدفع من مداخيلها السنوية نفقات الحامية والادارة ، ويدفع علاوة على هذا ضريبة سنوية للسلطان [1] . وفي السنوات السبع الاولى بعد الفتح كانت هذه الممتلكات في ايدي نفر من الموظفين السابقين المدربين على ادارة اراضي ممتلكات المماليك والذين لم يزالوا معروفين بألقاب الشرف المعطاة لهم من سلاطين المماليك (ناظر الخاص ، وزير ، استادار العالية وصاحب الديوان المفرد الخ .) وفي كل سنة كان يقتسم هؤلاء الاراضي السلطانية فيما بينهم . وكان كل منهم رئيساً متدركاً (متحدث على جهات) لضاحية كاملة (الشرقية ، الغربية ، مصر العليا الخ .) يدير شؤونها بواسطة مزارعين محليين [2] .

١ ابن اياس ، م ٥ ، ص ٢٥٦ ، س ٥ – ٧ ، ص ٢٥٨ ، س ١٣ – ١٥ ، ص ٢٨٧ ، س ١٩ – ٢١ ، ص ٤٠٣ ، س ٢ ، ص ٤٠٥ ، س ١٦ .

٢ ابن اياس ، م ٥ ، ص ١٥٨ ، ١٨٥ – ١٨٦ ، ١٨٩ ، ٢٠٥

وفي عام ١٥٢٤ اراد احمد باشا الحاكم العام الثائر ان يكتسب عطف الجيوش العسكرية فوزع على قواد الجيش املاكاً ومزارع اصبحت ملكاً خاصاً لهم. ولقد حذا ورثته [١] حذوه مما حدا على تقسيم الاقطاعات الزراعية الكبرى الى اقسام ووحدات صغرى. اما في سوريا وفلسطين ولبنان فاننا لا نجد، طيلة القرن السادس عشر، قوانين وشرائع ثابتة تتعلق بالممتلكات السلطانية وبتوزيعها بين المزارعين. كما اننا لا نعثر على قانون ينص على شروط زراعية، فالمزارعون اليهود في مقاطعة طبريا دفعوا للسلطان مقادير وافرة من المال ساعة توظيفهم، وظلوا يدفعون ضريبة سنوية اصغر [٢]. وشروط كهذه كانت متوفرة في مصر

– ٢٠٦، ٢٠٨، ٢١٦، ٢١٨ – ٢١٩، ٢٦٣ – ٢٦٤، ٢٧١ – ٢٧٢، ٢٨٧، ٢٩٥، ٤٥١، ٤٦٣ – ٤٦٤، ٤٨٨، ٤٨٩ – ٤٨٩ (تقسيط البلاد، ص ٤٨٨، س ١٨، اي تقسيطها السنوي مرة ثانية)، عمال البلاد او العمال (ص ٣٣٢، س ١٦، ص ٤٤٥، س ١٦، ص ٤٨٧، س ٢٢) يقصد بهم مزارعي القرى.

١ همر Hammer، م ٢، ص ٣٧ – ٣٨.

٢ دي افيرو De Avéiro.

دون فلسطين . ويزعم « عيني علي » أن الحكام التركمان في حلب واعزاز ومنجب والمضيق كانوا في بادىء الأمر موظفين يتقاضون رواتب ، واصبحوا فيما بعد رؤساء متدركين في مناطقهم . وبعد اخفاق ثورة علي جنبلاط اتخذت الممتلكات السلطانية [1] شكلاً رئيسياً لوضع اليد ،

١ اما في سوريا وفلسطين فان هذه الاراضي معروفة حتى اليوم باراضي « اميري » (مختصر للاراضي الاميرية) او « الاراضي السلطانية » . وبالواقع فان وضعها الشرعي يكاد لا يختلف عن وضع الاراضي العشرية الخاصة . وقبل ثورة علي جنبلاط كانت الاراضي السلطانية ومثلها الاراضي الاقطاعية معروفة بـ « ديموز » (وهي لفظة من اصل يوناني Demos معناها « اراضي الجماعة ») او « فصل » و « مفصول » (وهي الاراضي التي كان يلتزمها الرحل على اساس الفصل ويدفعون ايجاراً سنوياً محدوداً) ، بينما الاراضي العشرية الخاصة كانت بمثابة « قسم » ، وكلاهما تعنيان بمدخول الاسياد من « اراضي الامة او الجماعة » (عمر ، م ٢ ، ص ٣٤٤ ، والامير علي عبد العزيز الحسني في كتابه : تاريخ سوريا الاقتصادي ، دمشق ، ١٣٤٢ هـ. ص ١٤٩) . واستعمال كلمة « قسم » بدلاً من « ملك » كان سببه اطلاق لفظة « ملك » على الاراضي السلطانية في لبنان (شدياق ، ص ١١٢ ، س ١٦ الخ) ، كما أوضحت ذلك في J. R. A. S. ، ص ٩٨ ، عام ١٩٣٧ ، فان هذا الاصطلاح

اصبح يشمل كل الأراضي في البلدان صاحبة العلاقة بنظام المساحة الجديد ، الى ان استقر النظام الاقطاعي الذي بقي نافذاً حتى عهد محمد علي . وهذا النظام العائد بخطوطه الرئيسية الى التقليد العباسي [١] تضمن نظام توظيف قائماً على ضريبة سنوية يدفعها كل مرؤوس صاحب ارض لرئيسه . وعرف هذا الاقطاع الجديد [٢] في مصر بـ « التزام » [٣] وفي سوريا

دخل لبنان عن طريق الاصطلاحات الواردة في الوثائق العربية الاقطاعية للصليبيين . وفي وثائق العباسيين والفاطميين ايضاً كانت تطلق لفظة « ملك » على الاراضي السلطانية الكائنة في حوزة مزارعين وارثين (صبح ، م ١٣ ، ص ١٢٧ ، س ١ ، ص ١٣٢ ، س ٤ ، ص ١٤١ ، س ٩) . بيد ان هذه اللفظة لم تطلق على اراضي المماليك في اثناء الحكم الاسلامي . ولهذا لا نستطيع ان نعتبرها اساساً للفظة « ملك » المستعملة في لبنان .

١ بولياك ، الاقطاعية الاسلامية ، مجلة الدروس الاسلامية ، ص ٢٤٧ - ٢٦٥ ، عام ١٩٣٦ . وقد اعترف العثمانيون بهذا التشابه الصريح (ابن اياس ، م ٥ ، ص ١٢٢ ، س ٢٠) .

٢ جبرتي ، م ١ ، ص ٣٠٩ ، س ٢٠ ، ص ٣١٨ ، س ١٠ ، م ٣ ، ص ١٦٧ ، س ٨ ، ص ١٧٣ ، س ١٥ ، ص ١٧٥ ، س ٢٠ . شدياق ، ص ١٠٩ ، س ١٧ ، ص ٣٧٦ ، س ٦ ، ص ٣٧٩ ، س ٦ ، ص ٤٠٣ ، س ١٢ ، ص ٤٠٤ ، س ١ . - ٣ وفي عهد المماليك

ولبنان وفلسطين بـ « مقاطعة » [1] ، ولم تكن هذه مقاطعة عسكرية اذ انه لم يشترط بهـــا ان تكون ذات صبغة

كانت هذه اللفظة تعني « وجوب دفع كمية معينة بالتقسيط » (ابن اياس ، م ٤ ، ص ٢٦٣ ، س ٨) . وفعل « التزم بـِ » لم يزل مستعملا بهذا المعنى عند ابن اياس في حديثه عن مزارعي الاراضي السلطانية بعد الفتح العثماني (م ٥ ، ص ٢١٨ ، س ٢١ ، ص ٤٦٣ ، س ٢٠) . واصبح معناها اخيراً « التولي على اراض سلطانية وعلى العبيد العاملين فيها » (جبرتي ، م ٤ ، ص ٢٦ ، س ٣١ ، ص ١٩١ ، س ٢٩ ، ص ٢٠٨ ، س ١٠ ، ١١ ، ص ٢٣٤ ، س ٢) ، ولها معان اخرى ايضاً « التولي على اي مصدر من مدخول الدولة » ، و « مسؤولية دفع الميري للدولة » وقد عرفت في مصر بلفظة « ضمة » (جبرتي ، م ١ ، ص ١٥٢ ، س ٥ ، ص ٢٥٥ ، س ٣ – ٨) ، وعرفت في سوريا ولبنان وفلسطين بـ « وحدة » (رستم ، م ١ ، ص ٧٦ ، س ٥ – ٧ ، م ٢ ، ص ٤٤ ، س ٣ – ٤ ، ص ٤٤ ، س ١٥) . لهذا فالموظف الذي عين عام ١٨١٠ ليشرف على هذه المدفوعات في مصر كان يدعى « كاتب الضمة » (جبرتي ، م ٤ ، ص ١٠٨ ، س ٢٨ – ٢٩) . وفي المقاطعات اللبنانية كان المتولون معروفين باسم « مشايخ الوحدة » (ميخائيل ، ص١٠٧ ، س ١٤) . وكان سكان مقاطعة مزروعة في فلسطين وسوريا يعرفون بـ « اهل الوحدة » (رستم ، م ٢ ، ص ٧٠ ، س ٥) . وُعرف ملتزم او متولٍ على مقاطعة او قرية ، احياناً ، بـ « متوحد » .

[1] Recueil de Firmans, p. 7, nº 22.

عسكرية خاصة او جزءاً من ممتلكات الجيش، انما كانت قائمة على دفع الخراج. ومهما يكن فلقد كان للاقطاعي الحق باستخدام قوة مسلحة كافيـة لجمع الضرائب تأتمر امره. ولطالما استخدم الاقطاعي هذه القوة لحل نزاع بينه وبين جيرانه، او لتوسيع حدود املاكه، او لنجدة رئيسه لدى وقوعه في مشكلة مشابهة. وكانت الحكومة المركزية الضعيفة تنفذ هذه التغييرات بقوة السلاح. فاقليم مصر مثلاً زرع بواسطة طائفة من القواد العسكريين العاملين في مجلس (ديوان) الحكومة المحلية. ولم يكن الحاكم العام سوى موظف ذي راتب وممثل للحكومة المركزية التي كان عملها مجرد تنفيذ أحكام الديوان. اما العضو الأكثر نفوذاً في الديوان فكان شيخ القاهرة (شيخ البلد) الذي تنعتـه بعض المراجع بـ « امير مصر » [1]. وبمثل هذه الطريقة زرع الديوان كل ممتلكات الدولة وتولى

[1] جـبرتي، م ١، ص ٢٥٨، س ١٩ – ٢٠، ص ٤١٤، س ١، م ٢، ص ١٥١، ٢٦١.

ادارة دخلها (ما عدا الممتلكات الخاصة للقصر الملكي)، وكان عليه ان يغطي مصاريف الادارة المحلية وان يرسل مبلغاً سنويـاً محدداً الى الخزينة [١] (او الخزنة) في القسطنطينية . اما الملتزم او المزارع المحلي لممتلك سلطاني فكان يجمع ايجارات الأراضي المزروعة (خراج) من الفلاحين ويدفع للديوان ضريبة محدودة (الميري) [٢] على كل قيراط (جزء من اربعة وعشرين) من القرية . وكان له حق الاحتفاظ بالباقي من الخراج و « الفائظ » [٣]

١ مرسيل Marcel ، ص ١٩٥ ، ٢٤٤ . جبرتي، م ١، ص ١١٤ ، س ١٣ — ١٤ ، م ٢ ، ص ١٩١ ، س ٦ . الامير الذي تولى امر شحنها كان يعرف بـ « امير الخزنة او سنجق الخزينة » (مأخوذة على علاتها من مقدمة Recueil de Firmans) .

٢ ميري ، مال الميري ، الميري ، مال ميري ، الاموال الميرية ، المال والغلال الميرية ، الغلال والمال الميري ، المال والغلال . جبرتي ، م ١ ، ص ٣١٨ ، س ٢٤ ، م ٢ ، ص ١٩ ، س ١٢ ، ص ١٧٨ ، س ٢٨ — ٢٩ ، ص ١٧٩ ، س ٤ ، ص ١٩٣ ، س ١٧ ، م ٣ ، ص ٧٩ ، س ٤ ، ص ١٩٤ ، س ٥ ، ٨ ، ١١ — ١٢ .

٣ « الفايظ » ايضاً ، وهي لفظة بمعنى الفائض (جبرتي ، م ١ ، ص ١٥٠ ، س ٣٣ ، ص ١٨١ ، س ٢ ، م ٣ ، ص ١٩٨ ، س ١٥ ، ص

لنفسه . ولم يعد القيراط معتبراً كحصة مشتركة في اراضي القرية كما كان في عهد المماليك ، وانما اصبح كناية عن قطعة من الأرض حددت ومسحت يوم جرت المساحة العامة عام ١٥٢٦ [1] . وكان الالتزام مجموعة من القراريط التي قد تكون اجزاء من قرى مختلفة . والالتزامات اذن كناية عن قطع ارض او حصص [2] مختلفة المساحات . فالالتزامات الكبيرة كانت تشمل احياناً مقاطعات بكاملها [3] . واصغر

٢٦٧ ، س ١٦ ، م ٤ ، ص ١٠ ، س ٤ ، ص ٩٣ ، س ١٨ ، ص ٩٥ ، س ٢٣ ، ص ١٠٩ ، س ٣١ ، ص ١٢٣ ، س ٢٣ .

١ مرسيل Marcel ، ص ١٩٦ – ١٩٧ . همر Hammer ، م ٢ ، ص ٣٤٣ . اسحاقي ، ص ١٣٦ ، س ٣ – ٧ . جبرتي ، م ٤ ، ص ٦٠ ، س ١٤ ، ص ٧١ ، س ٣ – ٤ ، ص ٨١ ، س ١٢ – ١٣ ، ص ١٢٣ ، س ٢٢ – ٢٣ .

٢ جبرتي ، م ٣ ، ص ١٦ ، س ١٩ ، ص ١٣٥ ، س ١٤ ، ص ١٤٠ ، س ١ ، ص ١٧٣ ، س ٣٠ ، ص ١٧٩ ، س ٢٠ ، ص ١٩٨ ، س ٦ ، ص ٣٤٥ ، س ١٠ ، ص ٣٤٦ ، س ١٨ ، م ٤ ، ص ١٠ ، س ٤ . وردت سابقاً عند ابن اياس ، م ٤ ، ص ٢٢٨ ، س ١٩ ، وهي مرادف لكلمة اقطاعات ، مفردها « حصة » (تعليمات اعطيتها في ص ١٠٦ J. R. A. S. ، عام ١٩٣٧) . – ٣ جبرتي ،

هذه الالتزامات هو القيراط او نصف القيراط [1]. وزيادة على ضريبة الميري كان يجمع الملتزمون احياناً من مواليهم ضرائب اضافية يفرضها الديوان [2] . اما القواد العسكريون فلطالما التجأوا الى التزاماتهم في مصر العليا كلما تغلب عليهم حزب منافس في القاهرة، فتصبح هذه الالتزامات اذ ذاك شبيهة باتحاد دويلات صغيرة لكل منها حكامها المستقلون (امراء الجنوب او الامراء القبالي). ولطالما اعلن هؤلاء حروباً مفتوحة على سلطات القاهرة . وفي احيان اخرى نراهم على اتفاق مع القاهرة يدفعون الميري ويتفقون على خط الحدود الفاصل . واتحادات كهذه قامت عام ١٧٦٤ — ١٧٦٧، وعام ١٧٧٦ — ١٧٧٧ ، ومن ١٧٨٦ — ١٧٩١ ، ومن ١٧٩٩ — ١٨١١ (وقد تخلل هذه الفترات اضطرابات قصيرة متقطعة) . وكان السيد الاكثر نفوذاً

م ١، ص ٣٠٨، س ١٧، م ٢، ص ٢٥٧، س ٣١، م ٣ ، ص ١٦٨، س ٥ — ٦ ، ص ١٧٥ ، س ٢٠ — ٢٣ . مرسيل Marcel ، ص ٢٣٤ .

١ جبرتي ، م ٤ ، ص ٢٠٤ ، س ١ — ٢ .

٢ جبرتي ، م ٤ ، ص ١٠٩ ، س ١٢ — ١٨ .

يترأس الاتحاد ويلقب احياناً بـ « امير الصعيد » [١] .

هذا في مصر ، واما في سوريا ولبنان وفلسطين فلقد كانت ادارة الاقليم ، وزراعته في عهدة الحاكم العام الذي كان عليه ان يدفع الى خزينة القسطنطينية ضريبة [٢] سنوية علاوة على مصارفات الشؤون الادارية ، ويضيف ما تبقى من المداخيل الى ثروته الخاصة . وفي عام ١٦٦٠ رفع عدد الولايات من ثلاث (دمشق طرابلس وحلب) الى اربع . ودعيت هذه الولاية المضافة بولاية صيدا ، وما لبثت معروفة بهذا الأسم الى ما بعد انتقال مركز الحاكم العام الى عكا سنة ١٧٧٧ . اما وظيفة الرئيس المتدرك (المحصل) فكانت منفصلة احياناً عن القائد العام (مثلاً في ولاية

١ جبرتي ، م ٣، ص ٨٢، س ١٤، ص ١٠٦ ، س ١٧ ، ص ١٩٢، س ٨ . عن اثر مباحثاتهم مع القاهرة راجع : م ٢ ، ص ١٥٤ – ١٥٧ ، ص ١٧٢ – ١٧٤، ص ١٨٢ ، ١٩٣ ، م ٣ ، ص ٢٢٨ ، ٣٤٥ ، ٣٥١ ، م ٤ ، ص ٨٩ – ٩٠ ، ص ١١٣ .

٢ « مال الارسالية » ، شدياق ، ص ٢٧٤ – ٢٧٧ ، ص ٢٨٠ ، ٣١٣ .

حلب على عهد فولني Volney . وكان للمقطعجي او المتدرك المركزي الحق بزراعة مقاطعة بكاملها . وكانت البلاد مقسومة الى مقاطعات ثابتة من هذا النوع . فلبنان مثلاً كان مقسوماً الى اربع وعشرين مقاطعة ، والسامرة والجليل الى ثماني عشرة مقاطعة [١] . ولم تكن املاك المقطعجية متساوية ؛ فمنهم من امتدت املاكه الى مقاطعات عديدة ، ومنهم من تولى جزءاً من مقاطعة (نصف او ثلث) . وندر ان امتدت املاكه الى قرية كاملة او قرى عديدة [٢] . وكان المقطعجي عادة يزرع مقاطعته بواسطة فلاحي القرى الذين استأجروا قراهم منه ، كما انه كان يدفع الميري [٣]

١ شدياق ، ص ١٩ – ٣٣ ، ٣٥٢ – ٣٥٦ . P. E. F. Q. S عام ١٩٠٥ ، ص ٣٥٢ – ٣٥٦ .

٢ شدياق ، ص ٣٠ ، س ١ – ٢ ، ص ٩٠ ، س ٨ ، ص ١٠٥ ، س ١٤ – ١٥ ، ص ١٣٧ ، س ٢ – ٣ ، ص ١٤٥ ، س ١٥ – ١٦ . الوثائق التي جمعها رستم (م ١ ، ص ١٢١ – ١٢٣ ، م ٢ ، ص ٢٤ – ٢٦ ، ص ٥٣ – ٥٤ ، ص ٥٩ – ٦٠ ، ص ٦٩ – ٧١) .

٣ المال الاميري (شدياق ، ص ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٦ ، ٣٧٠) ، الاموال الاميرية (شدياق، ص ١١١ – ١١٣)، المال السلطاني (شدياق،

احياناً كثيرة الى شخص آخر غير الحاكم العام ، وهذا الشخص كان بدوره ملتزماً من الحاكم العام قسماً من الاقليم او الولاية . وملتزم كهذا كان إما حاكماً عثمانياً (متسلم) كحاكم القدس على عهد فولني مثلاً ، او شخصاً ذا نفوذ كبير في بلاد جبلية تقطنها قبيلة واحدة او عنصر ديني واحد (على مثل هذه الاراضي اطلق Volney اسم Pays abonnés) اي اراضي الضمان . وبينما كانت مداخيل الدولة غير الخاضعة لتقسيم الأراضي كرسوم الجمرك او ضرائب الخمور الخ... تحصل بواسطـــة شخص معين (تحصيلدار) او اشخاص معينين ، كان تحصيلها في سوريا وفلسطين ولبنان يجري بواسطة المقطعجية [1] . والميري التي

ص ١٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩٣ ، ٣٣٩ ، ٣٧٢ ، ٣٨١) ، مال الميري (ميخائيل ، ص ٦٤ ، ٦٧ ، ٧٥) ، اموال الميري (ميخائيل ، ص ٢٥ ، ١٠٦) ، الميري (ميخائيل ، ص ٧٤ ، ٩٤) .

[1] فولني Volney ، م ١ ، ص ٢٠٢ ، ٢٠٤ ، م ٢ ، ص ١٢٨–١٢٩ ، ١٥٤ ، ١٦٧ ، ٢٣٢ ، ٣٣٢ – ٣٣٣ . رستم ، م ٢ ، ص ٢٤ – ٢٦ .

كان يحصلها تحصيلدار الاقليم من الملتزمين المحليين كانت كناية عن جزء صغير من الايجار يجمعه هؤلاء . وكانت هذه الضريبة مختلفة باختلاف الاقاليم والولايات ، ففي ولاية صيدا كانت جزءاً من عشرين (في اواخر القرن الثامن عشر) ، وفي مصر من ٤ بالمئة الى ٤٠ بالمئة من الخراج المعروف محلياً [١] . ولقد أعفيت من هذه الضريبة او من جزء منها فئة من المستأجرين رضيت عنها السلطات . وكان الاعفاء الدائم من الميري يمنح بمرسوم ملكي فقط ، واراض كهذه اطلق عليها في مصر لقب « خزينة بند » . اما في سوريا ولبنان وفلسطين فلقد كان هذا الاعفاء يمنحه المتولي الأعلى (الحاكم العام كأمير لبنان مثلاً) . ولهذا فقد كان يتبع الاعفاء زيادة في الميري على المزارعين والمجاورين المحليين [٢] ، كما ان المقاطعات التي في يد الحاكم

١ براون (زار عكا في عام ١٧٩٧) على ما ذكرته PEFQS ص ١٣٧، عام ١٩٠٦ . Lancret مذكرات عن نظام وضع الاراضي (وصف مصر ، دولة حديثة ، م ١) ، ص ٢٥٤ . — ٢ جبرتي ، م ٤ ،

العام والجنود كانت في سوريا وفلسطين معفاة من الميري ايضاً ومعروفة بـ « أربلق » و« تيمار » . وفي هذه الحال كان الاعفاء ثابتاً حتى وفاة واضع اليد فقط ، بينما كان معنى الاعفاء في الحالة الاولى ان حساب الخراج المقرر المستحق على الاقطاع لم يطالب به واضع اليد [1] .

ونظرياً ، فلقد كان باستطاعة كل رجل غني ان يصبح ملتزماً لقطعة من الأرض . على ان اقلية الملتزمين او المتدركين كانت من غير المسلمين كالأقباط في مصر [2] واليهود في فلسطين [3] ورؤساء القبائل المسيحيـــــة في

ص ٩٤ ، س ١٤ — ١٧ . رستم ، م ١ ، ص ٢٣ . شدياق ، ص ٩٠ ، ١٠٤ ، ١١٠ ، ١١٢ ، ٧٠١ .

١ رستم، م ١ ، ص ٣٦ — ٣٧ . فولني ، م ٢ ، ص ١٦٧ ، ٣٧٤ . كياتب تشلبي : جهانومه ، ص ٥٨٧ .

٢ جبرتي ، م ٣ ، ص ٣٤٥ ، س ١٠ .

٣ عن القرن الثامن عشر ، ي . نبون ، القدس ، عام ٥٦٠٣ قبل المسيح ، م ٢ ، ص ٥٥ . وكانت هنالك قرى عديدة يدير شؤونها افراد من عائلة فارحي . وفي النصف الاول من القرن التاسع عشر كان لها شأن مرموق في الحياة الاقتصادية والسياسية في ولايتي دمشق وعكا ،

لبنان [1] . وكان السواد الأعظم من الملتزمين ينتمي الى اعيان عسكريين او عشائريين او دينيين .

وفي غضون السنوات الاولى من الفتح كان الزواج من سكان البلاد محرماً على الجنود العثمانيين المتمركزين في مصر . لذا نجد قسماً من هؤلاء الجنود يستبدل بين الفنية والفنية بقوات جديدة من تركيا [2] . ولما جاء سليمان القانوني ثبت المعسكر المحلي الذي اصبح منذ عهده مقسوماً الى سبعة ألوية [3] اولاً : المتفرقة او الحرس ، ثانياً : الشاودشية

ميخائيل ، ص ٤٧ ، س ٨ – ٩ .

١ وهم على الاغلب من الموارنة الا آل العازار ، فلقد كانوا من ابناء الكنيسة الارثوذكسية . شدباق ، ص ١٩ ، س ١٠ .

٢ ابن اياس ، م ٥ ، ص ٢٢٩ – ٢٣٠ ، ٢٣٣ – ٢٣٥ ، ٢٥١ – ٢٥٢ ، ٤٠٥ ، ٤٤٦ – ٤٤٧ .

٣ مرسيل Marcel ، ص ١٩٢ – ١٩٤ . همر Hammer ، م ١ ، ص ٣٧٧ ، م ٢ ، ص ٣٤٣ ، ٧٢٤ . جبرتي ، م ١ ، ص ٣١ ، ٣٤ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٥٠ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٩٢ ، ٩٥ ، م ٢ ، ص ١٥٠ ، ١٨٢ ، ١٨٨ الخ . ولفظة « لواء » وردت عند جبرتي بمعنى « طائفة » او «بُلك» او « وجاق » (الشكل العربي للفظة «أوجاق») .

او جاويشية وهم محصلو الضرائب ، ثالثاً : جمليان او لواء الجمال ، رابعاً : الطفتشية او طفكجيان او طفقتشية — لواء « الطبجية » او مطلقو النار ، خامساً : الجراكسة [1] فرق الجيوش التي كانت في خدمة المماليك ، سادساً : الانكشارية او ينكجرية او مستحفظان [2] — ولفظة انكشاري تعني : قواس ، سابعاً : اعزب او المشاة . والالوية الثاني والثالث والرابع كانت معروفة بالوية السباهي Sipahis (اسباحية او اصبحانية) وهم جنود احرار استأجرهم السلطان . اما الانكشارية فكانوا عبيداً له [3] .

وهذه الألوية السبعة اصبحت تدريجياً شبه تكتل

١ خفضت ارزاقهم بسبب عصيانهم (ابن اياس ، م ٥ ، ص ٤٤٨ ، ٤٥٣) وقصاصاً لثوراتهم عام ١٥٢٣ ، وعام ١٥٢٤ .

٢ اسماه فان برتشم (M. Van Berchem) فهم عبارة « مستحفظان » في Journal Asiatique ، م ١٨ ، سلسلة ٨ ، ص ٦٠ .

٣ ابن اياس ، م ٥ ، ص ٣٦٢ ، س ٦ . جبرتي ، م ١ ، ص ٣٤ ، س ٢ ، ص ٥٠ ، س ١٩ ، ص ٩٥ ، س ١٦ — ١٧ الخ ...

وراثي لأصحاب الصناعة الملكيين وللتجـــار وللجنود المصروفين من الخدمة الذين كانوا يمنحون نفقة معينة من الدراهم (جامكية) ومن الحبوب (جراية ، غلال الأنبار ، غلال الشون) . اما حق استلام هذه النفقة فكان قابلاً للبيع وللوقف على سبيل البر [1] . وهذه النفقة إن دراهم او حبوباً كانت تؤخذ من ضريبة الميري التي يجمعها الديوان ، كما انها كانت توزع بواسطة الرجال المتقدمين سناً (اختيارية) الممثلين للغرف في الديوان [2] . اما المشاة الحقيقيـــون القـائمون في خدمـة الديوان فكانوا اما مـأجورين غرباء ذوي مركز وضيع جداً ، او فلاحين مجندين بصورة

١ جبرتي ، م ١ ، ص ٣٧ ، س ١ – ٤ ، م ٢ ، ص ٢٥٨ ، س ٣٣ ، م ٣ ، ص ٢١٢ ، س ١٨ ، ص ٢١٣ ، س ١٣ (وكان هؤلاء الافراد معروفين بـ « اصحاب الاثامنة » اي « متسلمو الاسبر » ، م ١ ، ص ١٤٨ ، س ٣) . Volney ، م ١ ، ص ١٥١ .

٢ جبرتي ، م ١ ، ص ٢٥٣ ، س ١١ – ١٢ ، م ٢ ، ص ١٠٥ ، س ٢٩ ، ص ٢٥٨ ، س ٣٣ ، م ٣ ، ص ٢١٢ ، س ٢١ . مرسيل ، ص ١٩٣ – ١٩٤ .

موقتة [1] . اما فرقة الفرسان فمؤلفة من فرسان فيالق المماليك الجديدة وهم الفرسان الحقيقيون ويحق لهم وحدهم ركوب الخيل داخل المدن المصرية [2] . وقوادهم حاملو رقم الشرف « ٢٤ » [3] . وساعة تنصيبهم كقواد عسكريين في اقسام اخرى من المملكة كانوا يتسلمون علماً (رتبة ، غاية) وطبلاً [4] ، ويطلق عليهم لقب سنجاق بيه [5] او طبلخانه بيه [6] . واما القائد فلم يكن مرغماً

١ جبرتي ، م ١ ، ص ١٤٨ ، س ٢ – ٤ ، ص ٣٣٥ ، س ٢٦ ، ص ٣٥٠ ، س ٣٢ ، ص ٣٦٤ ، س ٣١ .

٢ فولني Volney ، م ١ ، ص ١٥٣ . وكان عددهم في اواخر القرن الثامن عشر يراوح بين ٨٥٠٠ – ١٠٠٠٠ (Volney ، م ١ ، ص ١٥١ . جبرتي ، م ٤ ، ص ١١٣ ، س ٢٥ – ٢٦) .

٣ جبرتي ، م ١ ، ص ٥٨ ، س ٢١ – ٢٣ . مرسيل ، ص ١٩٣ – ١٩٥ . وهي تشمل عدداً من اصحاب الرتب العالية المرسلين من القسطنطينية لسنة واحدة . وغالباً ما كان العدد الحقيقي اقل من ذي قبل لا سيما بعد الحملة الفرنسية .

٤ جبرتي ، م ١ ، ص ٣٢ ، س ٣٣ ، ص ٣٣ ، س ٣ ، ص ١٠٠ ، س ٢١ . البوق والعلم في عهد المماليك .

٥ عوضاً عن سنجاق بيه (امير العلم) ، وردت عند جبرتي

على زراعة التزام ذي مساحة معينة، او ان يضع في خدمته عدداً معيناً من المماليك، لكنه كان مجلاً ومعتبراً بالنسبة إلى مساحة الالتزام الذي يتولى زراعته وبالنسبة الى عدد المماليك الذين في حوزته [1].

اما رتبة « اولاد الناس » فلقد زالت تماماً اذ ان اكثر اولاد المماليك قضوا نحبهم في شرخ شبابهم [2]. ولهذا

« صنجق » وجمعها « صناجق »، وفي المصادر الاوروبية « بيه ». (مرسيل ص ١٩٣). ولفظة « امراء » استعملها جبرتي (م ٢، ص ٢، س ٣ – ٨، ص ١٥٠، س ٢٠، ص ١٨٨، س ٢٠ – ٢١ الخ). لقديمي العهد في « الالوية السبعة » كـ « آغا » (كولونيل)، كتخدا « اي الثاني في القيادة »، جاويش (محصل الدخل) الخ. – ٦ جبرتي، م ١، ص ٣٢، س ٣٣، ص ٣٣، س ٣، (صاحب طبلخانه). سلوك، م ١، ص ١٧٣ – ١٧٤. رقم ٥٤.

١ جبرتي، م ٤، ص ٢٧، س ١٠ – ١٢.

٢ وقد بالغ بها فولني (م ١، ص ٩٩) بقوله « واختفى كل اولادهم في العقد الاول والثاني من العمر ». والارجح ان السبب الحقيقي كان تفشي ميكروب « السفيليس » بين المماليك في اواخر القرن الخامس عشر (ابن اياس، م ٢، ص ٣٤٤، ٣٧٣،

اصبحت أملاك القادة في اكثر الأحيان ارثاً لمماليكهم [١] .

وفي عهد المماليك كانت العامة منهم [٢] كخاصتهم اي من الاجانب لاسيما القفقازيون . وكانوا اثناء مدة ثقافتهم العسكرية بمثابة عبيد لأسيادهم [٣] . اما قواد المماليك والفئة المعتبرة من عامتهم فاصبحوا ملتزمين [٤] ، كما ان عدداً وافراً من الالتزامات كان في حوزة نساء وارامل الامراء والفرسان [٥] اذ ان الممتلكات الشخصية الخاصة بامرأة

م ٤ ، ص ٤٦٠ ، س ٣ – ٧ . فولني ، م ١ ، ص ٢٢٤) .

١ جبرتي ، م ١ ، ص ١٣٩ ، س ١٨ ، ص ٣١٨ ، س ١٠ – ١١ ، م ٢ ، ص ٢٥٧ ، س ١١ ، م ٣ ، ص ١٤٠ ، س ٢٥ – ٢٦ .

٢ وكانوا معروفين بـ « مماليك » او « الغوز » (جبرتي ، م ١ ، ص ٣٤٦ ، س ٢٨ ، ص ٣٤٨ ، س ٥ . راجع تعليقي على هذه اللفظة في R. E. I. ، ص ٢٣٧ ، عام ١٩٣٥) . اما من كان منهم في خدمة قائد فكان كباقي المماليك دون ان يكون عبداً لهذا القائد مثل (مستخدمو عهد المماليك) اتباع .

٣ Volney ، م ١ ، ص ٨٩ ، ٩٥ ، ١٥١ ، ١٦٦ . وكان « الاتباع » عادة اتباعاً لقواد من رتب صغيرة .

٤ Volney ، م ١ ، ص ١٧٢ . جبرتي ، ٣ ، ص ٢٦٧ ، س ١٦ ، م ٤ ، ص ١١٣ ، س ٢٧ ، الخ ...

٥ جبرتي ، م ٣ ، ص ١٤٠ ، س ١٢ ، ص ٣٤٦ ، س ١٨ –

كانت حراماً لا يمس ولو أجرم الذكور من عائلتها وحرموا من حقوقهم المدنية ... واما المعسكرات العثمانية في سوريا وفلسطين (واكثرها من الانكشارية) فتحولت تدريجياً الى اماكن تعاونية وراثية آمنة يأوي اليهـــا الجنود المتقاعدون [1] الذين تركوا الخدمة، ويديرون الاراضي بشكل « تيمارات ». وكانت هذه الأراضي تدفع للمقطعجي ضريبة اخف من الميري العادية [2]، ولم يعد هنالك من معسكرات ثابتة للفرسان وللخيالة (كالمماليك الجدد في مصر). واما الفرسان غير النظاميين الذين في خدمة الملتزمين والمزارعين فان هم الا مأجورون ليس إلا [3]. وفي القرن السادس عشر

١٩، ص ٣٤٧، س ٤، م ٤، ص ٩٣، س ١ — ٤، ص ٢٠٤.

١ Volney ، م ٢، ص ١٣١.

٢ رستم، م ٢، ص ٢٥ — ٢٦.

٣ شدياق، ص ٢٧٣، س ١٣، ص ٣١٨، س ٢، (وخيالة فخر الدين الثاني وصلت في ١٦١٣ — ١٦١٤، الى اقل من خمس مئة فارس، Mariti ، ص ١٢٨) . Volney م ٢، ص ١٣٢ — ١٣٣ (كان المجموع على ايامه ثلاثة آلاف واربعمئة فارس).

كانت الدولة تمنح موظفيها وحكامها القاباً حسب مراكزهم. فكان الحاكم العام يلقب بـ « بيلر بيه »[1] وحاكم الضاحية « سنجاق بيه » او « مير اللواء » حتى لو لم يكن حاكماً عسكرياً بل موظفاً يتقاضى راتباً شهرياً او ملتزماً[2] واضع اليد. واستمرت هذه الألقاب طيلة القسم الاكبر من القرن السابع عشر[3] الى ان تبدلت القاب الحاكم العام العثماني والقاب الحكام بألقاب مدنية (وزير، متسلم الخ) وخلع على رؤساء القبائل القاب خاصة بهم[4].

١ في عهد المماليك، في القاهرة خاصة، كان يلقب بـ (جنرليسيمو Generalissimo) ظاهري ص ١١٢، س ٢٢. وقد يكون لقب « ملك الامراء » (المعطى للحكام العامين) ترجمة له ايضاً.

٢ Belin يدخل، اذن، هؤلاء الحكام في مجموع الجيوش الاقطاعية، وليس هذا بصحيح.

٣ روك Roque، ص ١٠٦. شدياق، ص ٢٥٥، س ١٤، ص ٢٧٠، س ٤، ص ٢٧١، س ١٧، ص ٢٧٥، س ١٤ الخ.

٤ قبل عام ١٨٥٥ لم يكن في لبنان لبنانيّ مسيحي واحد يحمل لقب « بك » (شدياق، ص ١٨٧) بالرغم من انه كانت في لبنان عائلتان مسيحيتان تحملان لقب « الامارة » (كامراء ابي اللمع

اما رؤساء القبائل فهم الملتزمون او المتدركون والرؤساء والمزارعون في لبنان وقسم كبير من السوريين والفلسطينيين وقسم اصغر من المصريين . وكان الامراء المعنيون [1] حكاماً على لبنان بين عام ١٥١٦ — ١٦٩٧ ، والشهابيون بين ١٦٩٧ — ١٨٤١ ، وامراء ارسلان في الجنوب ، وامراء ابي اللمع في الشمال . وكانت وضعية لبنان كوضعية البلدان الملتزمة او الاراضي الضمان (Pays abonné) وهي كناية عن بلاد التزمها حاكمها من حاكم دمشق العام

وامراء الشهابيين المتنصرين) . وكان شرفاً عظيماً لرئيس عشيرة ان يصبح ولو عضواً بسيطاً في فيلق عثماني (ص ٢٢٢ ، س ٩ ، ص ٦٨٨ ، س ٣ — ٤) .

١ حتى عام ١٦٠٣ كان امراء « آل تنوخ » حكاماً مستقلين عنهم في « الغرب » وفي المنحدرات الشرقية من لبنان . واما ابنا فراق وشرف الدين اللذان ذكرهما Minadoi (واخذ عنه Mariti ، ص ٦٣ — ٨١ ، Hammer ، م ٢ ، ص ٥٣٠ — ٥٣١) فكانا اميرين من آل تنوخ وهما محمد ومنذر (شدياق ، ص ٢٤٦ ، ٢٥٢ ، ٦٧٧) . وحتى عام ١٥٩٠ كانت بلاد كسروان في حكم العائلة التركمانية المعروفة بامراء « عساف » .

ومن ثم اصبح التلزيم من السلطان مباشرة وذلك بين ١٦٢٤ – ١٦٣٣ ، واخيراً اصبح من حاكم صيدا العام . اما لبنان الشمالي فكان في اكثر الأحيان تابعاً لولاية طرابلس ويدير شؤونه ممثل لأمير لبنان (فمن ١٦١٧ – ١٦٣٥ كان المدبر من آل الخازن ، ومن ١٦٣٦ – ١٧٦٣ كان على الأغلب من آل حماده ، ومن ١٧٦٣ – ١٧٩٠ من آل شهاب) . وكان هذا المدبر تابعاً لحاكم طرابلس ولأمير لبنان في الوقت [1] نفسه .

ولقد سعى الامير فخر الدين الثاني (١٥٩٨ – ١٦٣٤) ومن بعده الامير بشير الثاني (١٧٨٨ – ١٨٤٠) بتحويل لبنان الى دولة موحدة يكون فيها الامير هو المالك الوحيد للارض [2] وهو الذي يتولى امر تقسيمها بين مزارعي

١ Volney ، م ٢ ، ص ١٤ – ١٥ ، ١٥٤ – ١٥٥ . F. Von Alberg في كتابه : Geschichte des Krieges zwischen Mehemed Ali und der Attomanischen Pforte, Berlin 1837, p. 37 . وبنوع خاص الشدياق .

٢ Mariti ، ص ١٦٥ . ميخائيل ، ص ١٠٢ ، س ٩ – ١٦ .

الضواحي والملتزمين والمتدركين ويتصرف بهما كيفما شاء .

ولو اخذنا الأشياء كما هي وجدنا انه كان على الامير كلما اراد ان يوجه رسالة الى احد المقطعجية ان يستهل كتابه بـ « اخي العزيز » [1] اذ انه كان بالواقع هو نفسه واحداً منهم (يعتبر الشدياق ان امراء آل شهاب كانوا اسياد مقاطعة بيروت) لأنه مدين لأصواتهم بانتخابه الى هذا المركز الرفيع [2]. وهم بدورهم كانوا مضطرين الى اللجوء اليه واجابة طلبه اما برضاهم ، واما تحت ضغط جيران منافسين .

الاسر الدرزية : واهم الاسر الدرزية المقطعجية وابرزها كانت الاسر الآتية : آل ارسلان اسياد الغرب الادنى . آل جنبلاط اسياد الشوف وجزين والتفاح والخروب وجبل

١ شدياق ، ص ٨٩ ، ١٠٤ ، ١٤٥ ، ١٥٧ ، ١٦٠ ، ١٧٤ ، ٣٦٦ .

٢ Mariti ، ص ٩٤ . شدياق ، ص ٣٥٨ – ٣٥٩ ، ٣٧٨ – ٣٧٩ ، ٣٨٦ .

الريحان [1] . وآل تلحوق اسياد الغرب الاعلى منذ عام ١٧١١ . وآل نكد اسياد الشحار والمناصف . وآل عماد اسياد العرقوب (رؤساء الاتحاد اليزبكي الذي ضم آل تلحوق وعبد الملك) . وآل عبد الملك اسياد الجرد منذ ١٧١١ .

الاسر المسيحية [2] : وابرز الاسر المسيحية كانت : آل ابو اللمع ، اسياد القاطع والمتن والشوف البياضي . وآل الخازن ، اسياد كسروان منذ ١٦١٣ (وهم اقدم مقطعجية مسيحيين) . وآل حبيش ، اسياد غزير منذ ١٦٨٠ . وآل الظاهر ، اسياد الزاوية منذ اواخر القرن السابع عشر . وآل الدحداح اسياد الفتوح منذ ١٧٠٤ . وآل ابو صعب

١ اسياد « كلّس » السابقون وقد هاجروا الى لبنان سنة ١٦٣٠ .

٢ المصادر الرئيسية عن الاسر اللبنانية الاقطاعية هي الآتية : شدياق ، تاريخ الامير حيدر شهاب (١٩٠٠) ، ا. عواد Le droit privé des Maronites au temps des émirs Chihab. Paris. 1933. شروح ، ق. الباشا و ن. س. الدحداح في .Ma عام ١٩٣٥ – ١٩٣٦ .

اسياد القويطع منذ ١٧٥٣ . وآل العازار اسياد الكورة العليا .

السنيون : اما السنيون فكانوا ممثلين بالامراء الأكراد القاطنين قرية راس نحاش . وكانت الشيعة ممثلة بآل حماده اسياد جبة المنطيرة والاقطاع المجاور لها . وحسب زعم الشدياق فان اصل آل ارسلان يرقى الى ملوك الحيرة قبل الاسلام [1] . وآل شهاب إلى قريشي مرافق للنبي يدعى الحارث بن هشام . ويرجع تاريخ تلحوق ونكد إلى القرن الثاني عشر ، وآل الدحداح إلى القرن الرابع عشر ، وآل حماده إلى القرن الخامس عشر . وآل جنبلاط وحبيش والخازن وامراء راس نحاش إلى القرن السادس عشر . وآل ابو صعب وعماد وابو اللمع إلى القرن السابع عشر . وآل الظاهر

١ انتمى آل تنوخي سابقاً لهذا الاصل (ابن يحيى ، ص ٤٤ – ٤٨) وكذلك الزعماء الرمطونيون (رمطوني) (ابن حجر ، م ١ ، ص ٥٤١) . وفي عهد المماليك اعتبر « بنو ابي الجيش » انفسهم من سلالة القبيلة البدوية « الحميرا » في سهل البقاع (ابن يحيى ، ص ٤٧ ، س ٩ – ١١) .

وعبد الملك إلى القرن الثامن عشر .

وفي القرن الثامن عشر كان ما يقارب عشر اراضي لبنان في حوزة « المقطعجية »[1] كاقطاع خاص بهم وتحت تصرفهم المباشر (كأرزاق وعقارات). وكانت هذه على الأغلب موكولة الى وكلاء يديرون شؤونها[2] ، كما ان التسعة الاعشار الباقية من اراضي لبنان كانت موزعة بين اتباع[3] هؤلاء المقطعجية والاديرة والكنائس المسيحية[4]

١ Volney ، م ٢ ، ص ٥٨ - ٥٩ .

٢ ارزاق : شدياق ، ص ١١٣ ، ١٤٦ ، ١٩٠ ، ٥٦٧ . ميخائيل ، ص ٧٦ ، ١٠٦ ، ١٠٧ . وكان آل حماده يسمون اراضيهم « بكاليك » مفردها بكليك ، اي ممتلك البك . شدياق ، ص ١٦٧ ، س ٢ ، ٤ . عقارات : شدياق ، ص ١١٠ ، ١٨٦ ، ٦٨٣ . وكان المدير يلقب بـ« دهقان » . (شدياق ، ص ٦٨ ، ٨١ ، ١٨٦ ، ٣٤٧) ، او « شوباصي » (ميخائيل ، ص ٩٠ ، س ٣٢) . وهنا يجب ان لا يقع التباس بينه وبين « المدبر » الوزير الاول للسيد الاقطاعي .

٣ اتباع وتباع . ميخائيل ، ص ٧٩ ، س ١٢ ، ص ١٠٧ ، س ١٥ .

٤ شدياق ، ص ١٣٧ ، ١٩٠ . P E F Q S ، ص ١٠٤ ، عام ١٨٩١ .

والمزارعين الوارثين مزارعهم وقراهم عن اسلافهم . وكان امير لبنان [1] يمنح القاب الشرف الارثية بالنسبة لمساحة الاراضي التي يشرف عليها صاحب اللقب الممنوح ، فمن عين متولياً على قرية اصبح مقدماً او شيخاً ، كما ان المقطعجي كان ايضاً اما شيخاً واما اميراً [2] . وكان الأعيان والوجهاء والاشراف (مناصب ، وجوه الخ) يركبون الخيول ويسيرون على رأس اتباعهم وفلاحيهم في حالة عدوان او لحضور اعراس الاعيان والوجوه فقط [3] .

وكانت هنالك عائلات اخرى معروفة بعائلات الخدامين (خدامون) وهم جنود توارثوا الجندية وعاشوا في خدمة الاسياد الاشراف ، وكانوا يتقاضون رواتب

١ شدياق ، ص ٣٦٥ ، س ١٣ ، ٢١ . وكان المشايخ والمقدمون يلقبون ايضاً بـ « المقطعجية » ، ص ٣٧٧ ، س ٢١ .

٢ شدياق ، ص ٦٧ ، ١٠٩ ، ١١٢ ، ١٥٧ ، ١٦٠ ، ١٨٧ الخ .

٣ وكانت هذه العادة موجودة سابقاً عند المماليك . ابن يحيى ص ١٦٥ ، س ٥ - ٦ .

محدودة تعرف بـ « نفع » [1].

اما في البلدان المتدركة الاخرى فلقد كان شكل النظام الاجتماعي شبيهاً بنظام لبنان، لكنه كان اقل اتقاناً. وفي قطرين من هذه البلدان تمكن القادة من زمام الامور واصبحوا اسياد الارض المطلقين: اولاً، في جبل الدروز الحديث وقد تولى الحكم عليه آل حمدان من ١٦٨٥ الى ١٨٦٩ (وفي البدء كان هؤلاء اتباعاً لأمير لبنان) وآل الأطرش منذ ١٨٦٩ [2]. وثانياً، في بلاد حارثة (جبل الكرمل والقطاع الجنوبي المجاور له) وكانت تحت حكم آل طرابيه المعروفين بـ « سنجاق بيه اللجون » [3] وهي عائلة

١ ميخائيل، ص ١٠٨، س ١٩ — ٢٠ .
٢ بورون Bouron ، ص ٣٣٣ .
٣ روك Roque ، ص ١٠٦ ، ١٠٨ — ١٠٩ ، ١٥٧ . عن تاريخ آل طرابيه، راجع ابن اياس، م ٥، ص ٢٩٠، ص ٣٢٠ — ٣٢١، ٣٧٠ . Mariti ، ص ٢٢١، ٢٤٣، ٢٤٨، ٢٦٥ . Roque ، ص ١٠٣، — ١٠٤، ٢٦١ — ٢٦٢ . شدياق، ص ٥٥، ١٢٦، ٢٥٣، ٢٥٩، ٢٧٩، ٢٨٧، ٢٩٦، ٣٠٤ — ٣٠٥، ٣١٥، ٣١٨ — ٣٢٣، ٣٣٥ — ٣٣٦، ٣٥٧، ٦٧٦ (وكان اسم الامير حسب الكتابة على

من البدو حكمت تلك البلاد حتى العام الستين من القرن السابع عشر. وهناك ايضاً آل حرفوش الامراء الشيعيون واسياد بعلبك وسهل البقاع [1]. وآل زيدان المشايخ البدو واسياد الجليل في الارباع الثلاثة الاولى من القرن الثامن عشر [2] وكانوا يحتلون في مناطقهم مراكز شبيهة بمركز امير لبنان في بلاده، وطالما كانوا مستقلين عن تبعته.

اما بلاد العلويين (النصيرية) فكانت مقسومة الى مقدميات عديدة تدفع الميري لحاكم طرابلس العام. وكانت جبال نابلس (سماريه) مقسومة ايضاً بين مشايخ عديدين ينتخبون من وقت الى آخر رئيساً عليهم او يديرون

حجر منقوش عساف بن تيمور بيه) Z. D. P. V.، م ٣٠، عام ١٩٠٧، ص ١٤٦، م ٣١، عام ١٩٠٨، ص ٦٢.

١ ابن اياس، م ٥، ص ٢٤٨. Mariti، ص ٦٤ – ٧٥، ١١٦، ٣٠٨. Hammer، م ٢، ص ٥٣٠ – ٥٣١. Volney، م ٢، ص ٨٠ – ٨٣. شدياق (في محلات مختلفة). ميخائيل، ص ٧٤، ٧٩، ٨٩، ٩٠.

٢ شدياق، ص ٣٦٠ – ٣٦١، ٣٩٤ – ٣٩٥، ٣٩٨. Mariti، ص ٣١٥. ومصادر اخرى.

شؤونهم ككتلة واحدة [1] . ولقد ورد ذكر بعض من هذه العائلات في مصادر المماليك [2] كعائلة آل جيوسي مثلاً (وهم اسياد قطاع بني صعب) . اما عائلتا عبد الحديث والجرار اللتان اقتسمتا قطاع الشعروية ، وآل طوقان اسياد مدينة نابلس فاصبحوا تدريجياً اكثر بروزاً فيما بعد . وفي اقسام اخرى من سوريا وفلسطين [3] كان رؤساء القبائل عديدين متفرقين ما بين المزارع والقرى والضواحي حيث كانوا يمثلون ولو لوقت قصير دور الحاكم العام في مناطقهم [4] . وكانت وضعيتهم غير استقرارية لو اردنا نسبتها الى وضعية اراضي الضمان . وفي مصر كان كل رئيس قبيلة ملقباً

١ رستم ، م ١ ، ص ٧٥ – ٧٦ . ميخائيل ، ص ١٦ ، ٦٣ ، ٧١ ، ٧٢ . شدياق ، ص ٣٨٢ . Finn ، م ١ ، ص ٢٣٩ .

٢ ابن اياس ، م ٤ ، ص ١٩٣ ، س ٧ – ٨ .

٣ راجع لائحة القبائل الفلسطينية الاقطاعية في .P. E. F. Q. S ، عام ١٩٠٥ ، ص ٣٥٢ – ٣٥٦ . .J. P. O. S ، عام ١٩٢٩ ، ص ٧٣ – ٧٤ .

٤ مثلاً « ابن سيفا » المتحدر من عائلة كردية كان حاكماً عاماً على طرابلس من ١٥٧٩ الى ١٦١٩ (شدياق ، ص ٣٥٠ – ٣٥٣) .

بـ « شيخ العرب » [1] حتى ولو كان فلاحاً من اصل غير بدوي . وكان بمثابة ملتزم وهو صاحب الدرك اي حامي القوافل والمراكب التي تمر في منطقة نفوذه . وفي عام ١٧٦٩ — ١٧٧٠ شن المملوك شيخ البلد ، علي بك ، غارة شنعاء على هؤلاء ، فاخضعهم وهدم اقوام الامير حمان امير قبيلة الهوارة في مصر العليا ومشايخ الحبيب في القطاعات الريفية وذلك في معركة القليوبية [2] .

اما روحية الأشراف وحب الجاه المتسرب في دم مديري الاوقاف الموروثة فبلغ حده الاسمى مع العلم بأن هذه الاوقاف كانت موهوبة لهم من ايرادات الضرائب ودخل الاوقاف الدينية الاسلامية . واصبحت وضعيتهم الاجتماعية ارفع مما كانت عليه في عهد المماليك ، فلقد

١ جبرتي ، م ١ ، ص ٥٢ ، ١٨١ ، ٣١٨ ، ٣٣٦ ، ٣٤٢ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ .

٢ جبرتي ، م ١ ، ص ٣٤٢ – ٣٤٩ . Marcel ، ص ٢٣٤ . Volney ، م ١ ، ص ١١١ . عن « اصحاب الدرك » ، راجع جبرتي ، م ١ ، ص ٣٤٨ ، س ٢٥ .

زال النفوذ السياسي وحل محله النفوذ الديني واصبح للقاضي والمفتي في المدن سلطة قضائيـة على كل السكان المسلمين . اما سكان الارياف فلهم محاكم صلحيـة وعشائرية خاصة . واصبحت الادارة الدينية اكثر انقساماً وانفصالاً عن الادارة العامة ، وكان اكثر رؤساء الدين وراثيين ، كما وان عدد المثقفين كان اقل ايضاً ، مما جعل افراد هذه العائلات يتدخلون في الوظائف المدنية اكثر من ذي قبل . في مدينة صغيرة كالقـدس نرى هؤلاء يؤلفون طبقـــة ارستقراطية خاصة ، فلا يتزوجون الا من بعضهم البعض ، ولا يتعاملون ويتعارفون الا مع بعضهم البعض . وهنا يجب عدم الالتباس بين هؤلاء وبين الموظفين الاتراك الموقتين القلائل الذين يشكلون الحكومـة والذين كان لا بد لهم من التعاون مع هذه العائلات [٢] ولا اهميـة ملموسة لهم

١ Volney ، م ٢ ، ص ٣٧١ .

٢ Finn ، م ١ ، ص ١٨٠ . وكانوا معروفين هناك (وليس في مصر) بالافندية (جمع افندي – مستر) ، ولقب « افندي »

بغير هذا التعاون .

وحتى في القاهرة نفسها فمنزلة هؤلاء كانت المنزلة الثانية بعد المماليك ، وكان في حوزتهم جزء غير يسير من الالتزامات [1] المصرية . وعلاوة على الأوقاف كانوا يشرفون على الرزق الأحباسية ايضاً ، تلك الرزق التي ظل نطاقها يتوسع وينمو في مصر لزيادات في المنح والهبات التي قدمها السلطان والملتزمون الذين سلخوا لهذه الغاية قسماً من اراضيهم وممتلكاتهم . وفي مطلع القرن التاسع عشر بلغت هذه الفئة من الأراضي ما يناهز الستمئة الف فدان [2]

كان اللقب الرسمي لكتاب الحكومة المسلمين (Marcel ، ص ١٩٤ — ١٩٥ . جبرتي ، م ١ ، ص ٥٣ ، س ٣٢ ، م ٢ ، ص ١٧٦ ، س ٢١ ، م ٣ ، ص ٢٦٧ ، س ١٣ ، م ٤ ، ص ١٢٣ ، س ٢١) .

١ جبرتي ، م ٣ ، ص ٦١ ، س ١٤ ، ص ١٦٦ ، س ١٩ ، ص ٢١٠ ، س ٩ ، م ٤ ، ص ٨٨ ، س ٣ ، ص ١٨٨ ، س ١٦ — ١٧ ، ص ٢٣٤ . Volney ، م ١ ، ص ١٧٢ ، ١٨٨ .

٢ جبرتي ، م ٤ ، ص ٩٣ ، س ١٨ ، ص ٩٥ ، س ٥ ، ص ١٢٣ ، س ٣٣ ، ص ١٢٤ ، س ٢ ، ص ١٤١ ، س ٣٢ ، ص ٢٠٩ ، س ٣١ — ٣٢ .

(٦٠٠،٠٠٠) في مصر العليـــا واصبحت الفئة الرئيسية للاراضي هناك .

وفي عام ١٧٩٨ يوم اخرجت الجيوش الفرنسية المماليك من مصر السفلى اصبح الشيوخ الروحيون اسياد الطبقة الاولى في المجتمع . فالديوان الجديد كان في اول الأمر مؤلفاً من ممثلين لهم فقط ، بدلاً من الممثلين العسكريين . وكان السبب الشرعي لهذا التغيير ما نص عليه نظـــام الشورى الفرنسي القائل آنذاك : « يجب ان تؤلف الحكومة من الرجال الأوفر علماً والأكثر خبرة ، اي الطاعنين في السن [١] » .

وخلاصة القول انه كانت لكل بلاد صبغتها ورؤساؤها . ففي الأراضي الضمان Pays abonné كان المتولون من رؤساء العشائر والقبائل . وفي مصر كانوا من الرجال

[١] الشرقاوي : تحفة الناظرين (كتبت عام ١٨٠١) طبعت مع اسحاقي ، ص ١٥٤ . جبرتي ، م ٣ ، ص ٥ ، س ٤ – ٨ الخ . ونرى ان لفظة «مشيخة» استعملها الثقات الفرنسيون كترجمة للفظة «جمهورية» .

العسكريين والروحيين والأشراف العشائريين (وكلهم من سكان البلاد الدائمين) . وفي سوريا وفلسطين اللتين كانتا تحت الحكم العثماني المباشر كان المتولون من الأعيان المواطنين احياناً ، ومن الموظفين الأتراك احياناً اخرى [1] . ولقد كان الحاكم العام التركي مندوباً لمدة سنة واحدة فقط ، وامتيازات وضع اليد وحق التصرف كانا يتغيران بالتوالي .

اما لبنان في زمن فولني Volney فلقد كان بالواقع ممتلكاً خاصاً « مقدساً شأن الحال في اوروبا » [2] . وكان الالتزام المصري ممتلكاً لمدى الحياة ، وللمتولي حق التنازل والرهن والايجار [3] والبيع .

وبعـــد موت المتولي كان لأولاده ومماليكه الحق

١ J. A. 6e ser. p. 7, Recueil de Firmans ، م ٤ ، ص ٣٥١ ، (عام ١٨٦٤) .

٢ Volney ، م ٢ ، ص ١٧ ، ٣٦٩ .

٣ « فقار » تحويل (جبرتي ، م ١ ، ص ١٨١ ، س ٢٧ – ٣٢) ، او نزول ، (ص ٣٠٥ ، س ١٤) ، او رهن ، ص ١٨١ ، س ٢٦ . او ايجار ، ص ١٨١ ، س ١ ، ١٣ .

الأسبق بزراعة [1] هذا الممتلك والا فيعتبر اقطاعاً خالياً (محلول) [2] وعلى المتولي الجديد ان يدفع للسلطات ثمناً (حلوان) [3] يحدد بالمزاد [4] العلني . وفي سوريا وفلسطين كانت املاك السلطان في الأقسام العثمانية تزرع لمدة سنة واحدة فقط ، وكان من المنتظر ان يعامل الملتزمون مزارعيهم معاملة صارمة وسيئة جداً . وهذا مما حدا حكومة السلطان ان تفرض نظام « المالكانه » (وفي التركية : المليكياني) وهو نظام تركي شبيه بنظام الالتزام المصري .

١ جبرتي ، م ٣ ، ص ١٤٠ ، س ٢٥ - ٢٦ . Recueil ، ص ٧ ، رقم ٢٢ . وكان على الوارثين ان يدفعوا رسماً يحدده الديوان .

٢ جبرتي، م ١ ، ص ٩٩ ، ١٣٩ ، ٢٠٦ ، م ٣، ص ١٩٨ ، ٢٥١، ٢٦٧ ، م ٤ ، ص ٩٤ ، ٢٥٦ .

٣ جبرتي ، م ١ ، ص ٩٩ ، س ٣٣ ، ص ١٥٠ ، س ٢٥ ، ص ١٨٤ ، س ١٠ ، ص ٢٠٦ ، س ٦ . ابن اياس ، م ٤ ، ص ٢٨٣ ، س ٤ . وهذا يدل على القيمة التي كان السلطان يستوفيها من الامراء على اراضي الاطلاق عام ٩١٨ هـ .

٤ جبرتي ، م ٢ ، ص ١٥٢ - ١٥٣ ، م ٣ ، ص ١٩٨ ، ٢٨٨ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ .

والجهود المبذولة لتطبيق هـذا النظام كانت جهوداً فاشلة اذ ان حكومة السلطان [1] عجزت عن حماية هذه الأراضي حماية تامة كافية، ان كان من جهة زعماء العشائر الأقوياء [2] او من جهة الحكام العامين انفسهم. ولطالما حبذ هؤلاء نظام التـأجير السنوي وهو الأنسب لابتزاز القسم الأوفر من المال اثنـــاء مدتهم القصيرة في الحكم. وفي مصر كانت الالتزامات الصغيرة تحت رحمة جيران اقوياء [3] استولوا عليها عنوة. غير ان نظام وضع اليد كان على وجه عام اكثر ثبوتاً هناك، كما وان جزءاً كبيراً من الأراضي بقي كأراض غير خاضعة لنظام الاقطاع [4].

١ Belin في J. A. 6e Sér. ، م ٤، ص ٣٥١ – ٣٥٣، (عام ١٨٦٤).

٢ راجع ميخائيل، ص ٢٥، ٤٤، ٩١ – ٩٢، ٩٤، عن سهل البقاع.

٣ Recueil ، ص ٣، رقم ٥، ٦، ص ١١، رقم ٣٨. جبرتي، م ٢، ص ٢٥٧، س ٣١ – ٣٢، م ٤، ص ٦٤، س ٣–١١.

٤ في عام ١٨٧٨ وصل مجموعهم الى ١،٣٢٣،٠٠٠ فدان: Cromer

وفي الأقسام العثمانية من سوريا وفلسطين ألحقت باراضي السلطان كل الأراضي العشرية الواقعة في اماكن غير آهلة بالسكان او بعيدة عنهم . ومن هذه لأراضي أفاد الحكام مداخيل طائلة [1] . وبسبب هذا التبدل السنوي بين الحكام العامين في سوريا وفلسطين كانت الحالة حالة قلق وفوضى ، حتى ان ضريبة الميري السنوية تطلبت حملة عسكرية [2] ، كما وان الاقطاعيين نظموا انفسهم في احزاب وراثية مختلفة (يستطيع اعضاؤها الانتقال من حزب الى آخر) منها القفازي والقاسمي بين الاشراف والاعيان المصريين العسكريين ، ونصف سعد ونصف حرام بين القبائل المصرية ، والقيسي واليمني بين رؤساء القبائل في

(كرومر) ، ص ٨٩ .

١ Volney ، م ٢ ، ص ٣٦٩ . رستم ، م ٣ – ٤ ، ص ٦٥ ، س ١٤ . P. E. F. Q. S. ، عام ١٨٩٤ ، ص ١٩١ .

٢ « دورة » : جبرتي ، م ٤ ، ص ٢٦٦ ، س ٢٠ – ٢٦ . ميخائيل ، ص ٧٣ ، س ٩١ .

سوريا ولبنان، والجنبلاطي واليزبكي بين اللبنانيين [1].

[1] عن مصر راجع Marcel ، ص ٢٢١ . جبرتي، م ١ ص ٢١ – ٢٤ ، ٥٢ ، ٦٣ – ٦٤ ، ٣١٨ . في عهد المماليك كان التنازع بين قيسي ويمني قائماً بين الفلاحين فقط، بينما القبائل الرحل كانت معتبرة يمنية . سلوك ، م ١ ، ص ١٨٦ ، رقم ٦٥ . تعريف، ص ١١٣ . صبح، م ٤ ، ص ٢٠٣ – ٢١٥ ، م ١٢ ، ص ٣٢٤ .

الخدمة الاقطاعية الجبرية

العبودية كلمة يتردد صداها في جميع الأنظمة الاقطاعية التي مررنا بها . ففي كل من تلك الأنظمة كان الفلاح عبداً يأتمر بمشيئة اسياده الاقطاعيين [١] . فيبقى يعمل في قرية سيده سحابة الحياة دون ان يحق له الخروج منها يوماً .

١ التعبير التكنيكي للعبودية هو « الفلاحة » (خطط ، م ١ ، ص ٨٥ ، س ٣٧) ، وللعبد « فلاح » (خطط ، س ٣٧ — ٣٨ . نجوم ، م ٧ ، ص ٩٣ ، س ١٥ . جبرتي ، م ٤ ، ص ١٠٩ ، س ١٤ ، ص ١٣٠ ، س ٢١ ، ص ٢٠٧ ، س ١٣) ، احياناً مع زيادة متعلق بالارض « قراري » (نويري ، م ٨ ، ص ٢٤٨ ، س ١١) ، او « قرار » (خطط ، م ١ ، ص ٨٥ ، س ٣٨) . اسباد = استاذ (نجوم ، م ٧ ، ص ٩٣ ، س ١٨ . حوادث ، ص ٦٥٤ ، س ٩ . منهل ، م ٢ ، فقرة ٩٤ . جبرتي ، م ١ ، ص ٣٤٩ ، س ١٥ ، م ٢ ، ص ٢٤٠ ، س ٦ ، م ٤ ، ص ٢٠٧ ، س ١٦ ، ٢٢ ، ص ٢٠٨ ، س ١ ، ٧) ، او « السيد » (جبرتي ، م ٣ ، ص ٢٩٤ ، س ٣١) .

اما اذا سمح له بالذهاب من القرية فلمدة قصيرة جداً لا تتجاوز الوقت المعين بساعة واحدة . اما اذا مضى الموعد المضروب ولم يقفل العبد راجعاً الى قريته فان السلطات كانت ترى لزاماً عليها رده بالقوة الى اقطاعة سيده [1] ... وبئس المعاملة اذ ذاك . فكان السيد تارة يأمر بجلده بالسوط وطوراً يخلده السجن [2] او يأمر بقتله [3] . اما اذا نشب خلاف ما بين عبدين فيقف الاقطاعي حاكماً مدنياً

١ ابن اياس ، م ٤ ، ص ١٠٤ ، س ١٨ . نويري ، م ٨ ، ص ٢٩٨ ، س ٧ . جبرتي ، س ٢ ، ص ١١٥ ، س ٣٠ – ٣١ ، م ٣ ، ص ٢٩٤ ، س ٣٠ – ٣١ ، م ٤ ، ص ٨١ ، س ٢٢ ، ص ٢٠٧ ، س ١٥ – ١٧ . رستم ، ص ١٢ (ملاحظات ، ١٩٢٨) .

٢ ابن اياس ، م ٥ ، ص ٣٧٢ ، س ٢٢ ، ص ٣٧٣ ، س ١ . جبرتي ، م ٤ ، ص ٦٨ ، س ٢٨ ، ص ١٩١ ، س ٣٠ ، ص ٢٠٧ ، س ١٩ ، ٣١ ، ٣٣ ، ص ٢٠٨ ، س ١ .

٣ ابن اياس ، م ٤ ، ص ١٢٥ ، س ٦ – ٨ (في ٩١٣ هـ. العقاب القانوني) . جبرتي ، م ١ ، ص ١٨٠ ، س ٢٥ (في ١١٤٩ هـ. ربما كان عملاً غير قانوني) خاصة في ارض الضمان (مثل لبنان وسوريا وفلسطين) حيث كان الاسياد زعماء القبيلة في الوقت نفسه .

على عبيده ويغني، اذا هم شاؤوا تحكيمه، عن «القضاة» والقانون [1] . فالسيد يحكم بامر السلطان ويستبد باذن الاقطاعية، والعبد يأتمر ولو مظلوماً دون ان يفوه ببنت شفة، ودون ان يحق له يوماً ان يرفع امره شاكياً ما به الى السلطات الادارية العليا . فلا علاقة للسلطات بمثل هذه الامور ولا حق لأحد ان يتدخل بين العبد وسيده. ومن الطرائف التي تروى من هذا القبيل انه عام ١٥٢١ قام فلاحو «رزقة» يشكون امرهم الى الحاكم العام ويطلبون اليه التدخل لاصدار اوامره على سيدهم الاقطاعي بتخفيض الايجارات والضرائب عنهم . فرد الحاكم العام

١ جبرتي، م ٤، ص ٢٠٧، س ٢٨، ص ٢٠٨، س ٣. ورستم، م ١، ص ٧٦، س ٧ – ٨ . لاجل معرفة تاريخ المحكمة القبلية راجع البرغوثي، «المحاكم بين بدو فلسطين» Journal of the Palestine Oriental Society ١٩٢٢، ص ٣٤ – ٦٥) ومقال و. خوري في المشرق عام ١٩٣٣ تحت عنوان «القضاء في لبنان على عهد الحكم الاقطاعي»، ومعلوف «القضاء في لبنان زمن الامراء الشهابيين».

بالايجاب ، وأمر السيد بان يجري هذا التخفيض . اما الاقطاعي فاجاب بكل صراحة ونفور : « لا يحق لأي انسان ان يتدخل بين السيد وعبيده ، ولن افعل كذا » . وبالنهاية وقف الحق بجانب الاقطاعي لا مع الحاكم العام [1] !

زد عليه انه باستطاعة السيد ان يطلب الى السلطات معاقبة عبيده اذا شاء او اذا شعر بحاجة الى ذلك . فيحمل العبد المذنب الى « حاجب » [2] المحكمة العسكرية ، على عهد المماليك .

ومقابل حراثة الأرض واستغلالها ، كان السيد يتقاضى من عبيده ضريبة « الخراج » [3] . وهي حق فرضه

١ ابن اياس ، م ٥ ، ص ٣٩٥ ، س ١٠ ، ص ٣٩٦ ، س ٣ ، ص ٤٠٠ ، س ٦ — ٢٣ .

٢ نجوم ، م ٧ ، ص ٢٦٧ ، س ١٥ ، ص ٢٦٨ ، س ١ (عن انسانية احد القضاة الذي لم يكن له من القوة القانونية ما يخوله ان يحكم لصالح العبد فكان يرجو الاسياد ان يعاملوه بنصيب اوفر من العدالة) .

٣ نويري ، م ٨ ، ص ٢٤٥ ، س ٨ . خطط ، م ١ ، ص ١٠٣ ، س ٢٢ . صبح ، م ٣ ، ص ٤٥٢ ، س ١٤ . نجوم ، م ٦ ، ص ٦٩ ،

القانون الاسلامي واعتبره كضريبة « العشر » وضريبة « الدفع » [1] .

اما في سوريا ولبنان وفلسطين فكانت الايجارات تدفع حصصاً من المدخول ، وهذا ما يعرف « بالمقاسمة » . ففي عهد المماليك كان يدفع الثلث او الربع من اغلال الأرض اذا كانت عادية ، اما اذا كانت صالحة للسقي تتدفق فيها المياه فيدفع نصف اغلالها ، واذا كانت الأرض حديثة الاستعمار فيدفع خمسها او سدسها . اما الأراضي الواقعة على الساحل والمعرضة لغزوات القرصان الاوروبيين فلا يدفع من غلتها الا السبع او الثمن .

ولتسهيل معاملات الدفع كانت ايجارات الأرض

س ٩ – ١٠ . جبرتي ، م ٢ ، ص ١٠٩ ، س ٥ ، م ٣ ، ص ١٩٤ ، س ٨ ، ١٢ ، م ٤ ، ص ٢٠٨ ، س ١٠ ، ص ٢٠٩ ، س ٢ ، ص ٢٩٣ ، س ٣ . و « ربع » (نويري ، م ٨ ، ص ٢٥٨ ، س ٤) ، و « مغل » (خطط ، م ١ ، ص ٩٠ ، س ١٧) ، و « شويصه » (ميخائيل ، ص ٤٧ ، س ٨) .

١ حوادث ، ص ١٢٦ ، س ١٤ ، ص ١٢٧ ، س ٢ . ابن يحيى ،

المزروعة حبوباً ، مثلاً ، تدفع حبوباً ، والأرض المشجرة مالاً نقداً ، وبساتين الزيتون زيتاً ، واشجار التوت حريراً ، واشجار الرمان طعاماً وعقاقير [1] . غير ان طريقة الدفع هذه لم تتخذ شكلها العادي الا بعد تطور بطيء دام من زمن الايوبيين وحكم الفرنكة Franks حتى عهد المماليك ، اذ انه لم يكن في البادىء من يدفع الايجار نقداً . ولم يستقر الدفع على هذه الحال الا حوالى ١٣١٣ [2] .

غير ان نظام التسديد هــــذا بعد ان استقر زمناً طويلاً عاد الى عدم الثبات على زمن الفتح العثماني . فلو قلبنا صفحات قانون المقاطعات الأميري الذي يعرف « بقانون

ص ١٠٢ ، س ١٣ ، ص ١٠٣ ، س ١ .

١ نويري ، م ٨ ، ص ٢٥٨ – ٢٦١ . ابن يحيى ، ص ١٨١ ، س ٣ – ٤ . بحير ، ص ٦٨٦ – ٦٨٧ ، ٦٩٤ ، ٦٩٥ ، ٧٠٢ . Anonym ، ص ٨١ ، س ٢١ – ٢٣ . صبح ، م ١٣ ، ص ٢٨ – ٣٠ . ظاهري ، ص ١٢٥ ، س ٧ . تقويم ، ص ٢٤٥ ، س ٤ .

٢ راجع صبح ، م ١٤ ، ص ٤٤ ، س ٩ ، ص ٤٥ ، س ٢ – ٦ ، ص ٤٦ ، س ٢ – ٤ ، ص ٥٠ ، س ١٣ – ١٦ ، م ٤ ، ص ٢١٦ ، س ٧ ، ص ٢٣٣ ، س ١١ .

نامه » للقرن السادس عشر ، لوجدنا ان تلك الايجارات عادت الى التغير حسب المقاطعة رالناحية التي تقع الأرض المستغلة فيها . ثم انه بعد ضم الاقطاعات العسكرية الى ممتلكات التاج اصبحت الضرائب المفروضة محددة على كل قرية حسب امكانياتها [1] . ورغم هذا ظل الأسياد محتفظين عملياً « بالمقاسمة » حتى القرن الثامن عشر حيث اصبحوا يتقاضون نصف الاغلال او ثلثيها ضريبة مفروضة على حواصل الأراضي ومنتوجاتها [2] ، او بدل ايجار وحق استغلالها .

اما في القطر المصري ، فكان الفلاحون يدفعون ، على زمن المماليك ، ايجاراً معيناً ثابتاً في السنة يعرف « بالخراج » او « الراتب » ، ثم يدفعون ضريبة علاوة عليه اذا زرعت ارضهم « قصب سكر » . وللايجار علاقة

١ همر ، م ٢ ، ص ٣٤٤ ، Des Osm. Reichs Staatsverfassung und Staatsverwaltung . م ١ ، ص ١٨٠ – ٣٢٧ . فولني ، م ٢ ، ص ٣٧٣ .

٢ فولني Volney ، م ٢ ، ص ٣٧٤ .

وثيقة بمساحة الأرض المستغلة وخصب تربتها ، يدفع حبوباً في « مصر العليا » ، ومالاً نقداً في « مصر السفلى » . وما كاد فجر عام ١٣٨٤ يبزغ للوجود حتى بدأ الناس يشعرون بنقص ظاهر في النقد الفضي الاحتياطي متأت عن ازدياد الدفع النقدي وتحول قيمة الدرهم المتنقلة ، فارتمت البلاد من جراء هذا في ازمة مالية اقتصادية ظلت تتخبط فيها حتى عام ١٤٠٨ [١] . اما حالة الفلاح ، فكانت السبب الرئيسي في قيام الثورات المتوالية [٢] . ولم يكن الاحتلال العثماني ولا فتوحاته لتحسن من تلك الحالة الضيقة شيئاً ، بل استفحل الأمر اذ ذاك [٣] . وما كادت ثورة « قنصو بك

١ نويرى ، م ٨ ، ص ٢٤٩ ، س ٣ – ١١ ، ص ٢٥٣ ، س ١٠ ، ص ٢٥٥ ، س ٦ ، ص ٢٦١ ، س ٥ . صبح ، م ٣ ، ص ٤٥٣ ، س ١٧ ، ص ٤٥٤ ، س ١٣ . نجوم ، م ٦ ، ص ٦٩ ، س ٩ . حوادث ، ص ٦٥٥ ، س ١ – ٨ . ظاهري ، ص ٩٧ ، س ١٧ ، ص ١٠٨ ، س ٥ .

٢ بولياك : « الثورات الشعبية في مصر على عهد المماليك واسبابها الاقتصادية » (مجلة الدروس الاسلامية عام ١٩٣٤ ، ص ٣٥١ – ٢٧٣).

٣ ا. ده كرمر (Journal Asiatique ، السلسلة السادسة م ١١ ، ١٨٦٨) ، ص ٢٦٣ – ٢٦٦ . ابن اياس ، م ٥ ، ص ٤٤٥ ،

المحمدي » — الذي حاول ارجاع دولة المماليك [1] — تندلع نيرانها عام ١٥٢٣ ، حتى شاهدنا عدداً وفيراً من الفلاحين ينضم اليها استياءً .

غير ان تعديلاً محسوساً طرأ على الجباية بين عامي ١٥٢٥ — ١٥٣٥ حين اوجدت السلطات نظاماً جديداً يعرف بخراج « المال الحر » وهو كناية عن ضريبة معينة مفروضة على كل « قيراط » من قراريط الضيعة قسمت بطريقة ثابتة بين « الميرة » و « الفايظ القانوني » . هذا هو المبلغ الوحيد الذي ينص « سند » « الملتزم » عنه ، ولكن الخراج الحقيقي اكثر من هذا بكثير ، اذ انه عملياً كان يزاد على الخراح اعلاه ما ينعتونه « بالمال المضاف » و « المال البراني » [2] .

س ١٣ — ١٨ ، ص ٤٥٢ ، س ١٢ — ١٤ ، ص ٤٦٦ ، س ١٦ — ١٨ .

١ رستم ، ص ٦٨ .

٢ همر ، م ٢ ، ص ٤٠ ، ٣٤٣ . الجنرال Reynier : « عن مصر بعد معركة هليوبوليس » (مقتطفة من Journal Asiatique السلسلة الرابعة ، م ١ ، ١٨٤٣ ، ص ١٦٥ — ١٢٨) . Marcel ، ص

اما الخراج و " الميرة " فيدفعان عادة من غلة الشتاء (ما عدا الأرض المزروعة ارزاً ، واراضي مصر العليا التي تدفع ميرتها نقداً [1]) .

وليس الخراج هو الضريبة الوحيدة التي فرضها الأسياد على عبيدهم ، بل هنالك ضرائب اخرى على عهد المماليك في سوريا ولبنان وفلسطين :

١ – "ضريبة العشر" المفروضة على الغلة الصامدة

١٩٦ – ١٩٧ ، ٢٠٦ . جبرتي ، م ٣ ، ص ٢٥١ ، س ٣٣ ، ص ٢٦٧ ، س ١٦ – ١٧ ، م ٤ ، ص ٧٤ ، س ٢٦ ، ص ١٠١ ، س ٣ ، ص ١٢٣ ، س ٢٢ – ٢٣ ، ص ١٤٢ ، س ١٩ ، ص ٢٠٩ ، س ٣ ، ص ٢٢١ ، س ٢٨ .

١ Lancret, Mémoire sur le système d'imposition territoriale (وصف مصر، العهد الحديث ، م ١ ، ص ٢٤٦ ، ٢٥٤). جبرتي ، م ١ ، ص ٣١٨ ، س ٢٤ – ٢٨ ، م ٢ ، ص ١٩ ، س ١٢ ، ص ١٥٣ ، س ١ ، ٢ ، ص ١٧٩ ، س ١٩ ، ص ١٨١ ، س ٣٠ ، ص ١٨٢ ، س ٢ ، ص ١٩٣ ، س ١٧ . اوردها المقريزي : « عين وغلة » (خطط ، م ١ ، ص ٨٨ ، س ٢٦ ، ٣٢) ، واوردها جبرتي : « المال والغلال »، واوردها ميخائيل (ص ٧٧ ، س ٣) « الغرش والذخائر » (والذخيرة في مصر معناها الدفع، اما مالاً او حنطة، ترسله الدولة للسيد):

للفلاح بعد « المقاسمة » [١] .

٢ – رسم « الأعياد والخميس » وهو كناية عن هدايا تدفع نقداً في اوقات معينة من السنة [٢] .

٣ – « ضريبة طواحين الماء » [٣] .

٤ – عدة ضرائب متفرقة حسب الاماكن [٤] .

اما في مصر فكان هنالك ما يشبه تلك الضرائب :

١ – ضريبة الهدايا او « الضيافة » وهي كناية عن هدايا تقدم في ايام معينة من السنة (ابدلت بضريبة مالية

(جبرتي ، م ١ ، ص ٥٨ ، س ٣ ، ص ٣٤٨ ، س ٢١) .

١ نويري ، م ٨ ، ص ٢٥٩ ، س ٧ – ١٤ . وفي بعض الاحيان كان يبدل بضريبة معينة ، وفي الاراضي الموقوفة لم يكن يجمع على الاطلاق .

٢ نويري ، م ٨ ، ص ٢٤٥ ، س ١٠ ، ص ٢٤٦ ، س ١ . في ممتلكات « الخاص » ابدلت بواجب ضيافة جابي الايجارات ثلاثة ايام (فيما يختص بالقسم والمقاسمة . راجع نويري ، ص ٢٥٨ ، س ١٠ – ١١ . سخاوي ، م ٨ ، ص ١٠٦ ، س ١٨) .

٣ نويري ، م ٨ ، ص ٢٤٥ ، س ٩ – ١٠ .

٤ صبح ، م ١٣ ، ص ٣٤ ، عامود ١ ، س ٧–١٤ ، عامود ٣ ، س ١ – ٧ ، ١٤ – ١٩ (مقاطعة طرابلس) .

في ممتلكات « الخاص »[1]).

٢ – ضريبة السدود والحواجز المائية والترع ومجاري المياه ، وهي ضريبة سنوية تفرض لانعاش مشاريع الري واصلاح السدود ومجاري الماء[2] .

٣ – ضريبة المراعي والحقول غير المزروعة :

أ – ضريبة شخصية على المواشي تدفع سنوياً او شهرياً[3] .

ب – ضريبة على السمك الملتقط من الحقول ابان فيضان النيل السنوي[4] .

٤ – ضريبة العرق المستخرج من التمر وهي تبلغ

١ نويري ، م ٨ ، ص ٢٤٥ ، س ١٠ – ١٤ . خطط ، م ١ ، ص ٨٨ ، س ٢٨ ، ٣٤ ، ص ٩٠ ، س ١٦ ، ص ١٠٣ ، س ٢٣ – ٢٤ . ابن اياس ، م ٤ ، ص ٢٠٧ ، س ٣ – ٥ ، م ٥ ، ص ٣٥٠ ، س ١١ . نجوم ، م ٦ ، ص ٤٣٠ ، س ١١ – ١٢ .

٢ صبح ، م ٣ ، ص ٤٤٩ ، س ٤ – ١٩ .

٣ نويري ، م ٨ ، ص ٢٦٢ ، س ٣ – ١١ . صبح ، م ٣ ، ص ٤٥٣ – ٤٥٤ . خطط ، م ١ ، ص ١٠٧ ، س ٣٠ – ٣٤ .

٤ نويري ، م ٨ ، ص ٢٦٣ ، س ٣ ، ص ٢٦٤ ، س ٤ .

عشر المنتوج السنوي [1] .

٥ – ضريبة البسط [2] .

هذه هي الضرائب التي يدفعها العبيد . واليك الآن قائمة وجيزة بالضرائب التي يدفعها سكان الاقطاعات للاسياد دون ان يكونوا من الرعية او من العبيد او من المزارعين الذين يعيشون من حراثة الأرض ، ولكن بمجرد انهم يسكنون الاقطاعة ، ليس الا :

١ – ضرائب التجارة والصناعة ، وهي تعرف « بالمال الهلالي » [3] او « المكوس » .

٢ – ضريبة شخصية مفروضة على « الجوالي » (اي غير المسلمين) كانت تتنازل عنها الحكومة للاقطاعيين في بعض الاحيان قبل « الروك الناصري » ، ثم اصبحت تعطيهم

١ نويري ، ص ٢٦١ ، س ٦ .

٢ المرجع نفسه .

٣ صبح ، م ٣ ، ص ٤٧١ ، س ٤ – ٩ (مصر) ، م ١٣ ، ص ٤٠ ، س ١١ ، (مقاطعة دمشق) . ابن دقماق ، م ٥ ، ص ٢٢ ، س ٢ .

اياها بعد ذلك دائماً [١] .

٣ – واحياناً كان يسمح لبعض الاقطاعيين « المقدمين » بميراث لم ترفع عليه دعوة قانونية من الورثة بعد موت صاحبه [٢] .

وابان العهد العثماني في سوريا وفلسطين كان « الخراج » والضريبة الاضافية يتبدلان حسب المقاطعة والمكان . اما في « ممتلكات التاج » فيترتب على المزارعين دفع الضرائب المذكورة في حجج المقاطعجية السوريين كضريبة « العبودية » وضريبة البيوت المعروفة « بمال المنزل » و « الميرة » وضريبة شخصية على كل من لم يعتنق الاسلام ، وضريبة « التيمار » و « الوقف » ، يزاد عليها كلها غرامات اضافية يفرضها الحاكم العام عن طريق « المقاطعجية » [٣] .

١ سلوك ، م ٢ ، ج ١ ، ص ١٣٢ . خطط ، م ١ ، ص ٨٨ ، س ٣٥ ،ص ٩٠ ، س ٨ – ١١ . صبح ، م ٣، ص ٤٦٣، س ١ – ٤ . نويري ، م ٨ ، ص ٢٤٢ ، س ٩ – ١٥ .

٢ سلوك ، م ٢ ، ج ١ ، ص ١٣٢ .

٣ رستم ، م ٢ ، ص ٢٤ – ٢٦ . اما زعم فولني Volney (م

وهكذا ضرائب وضرائب وضرائب ... حتى امسى الفلاح لا يملك ما يسد به عوز عياله، واصبحت الديون تتراكم عليه من كل صوب وناح ، وتعضه الحاجة فيطلب من اسياده قرضاً من حب «التقاوي» للبذار ، او «سلفة» يقتات بها حتى الحصاد المقبل ، فيجيب هؤلاء طلب الفلاح المسكين فارضين عليه فائدة تتراوح بين ١٠ و١١ بالمئة حتى لو كانت تلك الحبوب قد سلفها اياهم السلطان خصيصاً لهذه الغاية ولمساعدة الفلاح [1] .

وعلى عهد العثمانيين كان الفلاحون ، في مصر والبلاد التابعة ، يستأجرون المواشي للحراثة ، والحبوب للزرع ،

٢ ، ص ٣٣٢) ان الضريبة الشخصية كانت تدفع رأساً للخزينة وانها ضريبة لم تفرض في لبنان ، لهو كلام مغلوط فيه (راجع شدياق ، ص ١١٠ ، س ٧ ، ص ١١٢ ، س ٥) .

١ سلوك ، م ١ ، ص ١٤١ ، رقم ١٤ . خطط ، م ١ ، ص ٩١ ، س ١٥ – ١٩ . نويري ، م ٨ ، ص ٢٥٠ ، س ١ – ٣ ، ص ٢٥٢ ، س ٥ – ١٢ ، ص ٢٦٠ ، س ١ ، ص ٢٧٨ ، س ٧ – ١١ . ابن عبد الظاهر ، ص ٥٥ ، س ١٤ . حوادث ، ص ١١٤ ، س ٦ – ١٤ ، ص ١١٦ ، س ١٨ .

من اسيادهم او من المثرين الميسورين في القرى والمدن [1] .
وكانت الفائدة المتقاضاة لذلك الدين في القرن الثامن عشر ، تتراوح بين ١٢ و٣٠ بالمئة ، ثم ارتفعت الى ٥٠ بالمئة (كل ١٤ شهراً) حوالى عام ١٨٣٠ [2] .

وعلى زمن المماليك في مصر كان اصحاب الأراضي التي تجري فيها المياه بلا انقطاع هم الذين يستغلونها بانفسهم . وكان بامكانهم الاحتفاظ بمثل هذه الأراضي الخصبة لأولادهم وورثتهم او التصرف بها كما شاؤوا من بيع واهداء [3] .

اما الأراضي الصالحة للزراعة (دون ان تكون موضعاً لا ينقطع عنه الماء) فتستغل بمساهمة المزارعين والفلاحين . ولما صدر النظام الجديد رأينا « الحمولة » تقسم الى اقسام وكل جزء من هذه الاجزاء يقسم بدوره بين المزارعين الفلاحين

١ Recueil ، ص ٧ ، رقم ٢٢ . روك ، ص ٧٩ . فولني ، م ٢ ، ص ١٦٧ ، ٢٣٢ .

٢ فولني ، م ٢ ، ص ٣٧٧ . م ، صبري ، الامبراطورية المصرية زمن محمد علي ، باريس عام ١٩٣٠ ، ص ٣٥١ .

٣ نويري ، م ٨ ، ص ٢٥٥ ، س ٢ .

حسب عدد مواشيهم وامكانيات عملهم [1] . اذن لا بدع ان رأينا الفلاحين، الذين ليس لهم من المواشي شيء، لا يملكون شبراً واحـــداً من الأرض فينعتون بالفلاحين « البطالين » . فكان السلاطين في « مصر السفلى » (حتى « برقوق ») يرغمون مثل هؤلاء البطالين على شراء الثيران من السلطات كيما يستعملوها في اعمال اصلاح سدود المياه [2] . ومسألة السدود ومجـــاري الماء كانت تستوجب مراقبة اكيدة . لذا نرى الفلاحين يترتب على كل منهم حراسة مجرى صغير وكلت اليه مراقبته . فأدى الأمر هذا الى ترك القرى المصرية ، فانحلت حياة القرية واضمحلت شيئاً فشيئاً .

١ راجـع Bergheim, Palestine Exploration Fund Quaterly Statements عام ١٨٩٤ ، ص ١٩١ – ١٩٦ . بولياك في Journal of the Royal Asiatic Society عام ١٩٣٧، ص ١٠٥ . وعن القرية المصرية في القرن السابع ، راجع ابن عبد الحكم في « فتوح مصر » (Yale Oriental Series, III) ، ص ١٥٣ ، س ٧ – ١٠ .

٢ منهل ، م ٢ ، فقرة ٧٥ ، س ١٧ – ١٨ . نجوم ، ٥ ، ص ٦٠٠ ، س ٥ – ٦ . ابن اياس ، م ١ ، ص ٣١٦ ، س ١٧ .

اما الأرض المشترك فيها، على زمن المماليك، فكانت، في الغالب، تقسم من قبل كتاب الأسياد الى اقسام (او قبائل – جمع قبالة) تسقى كل منها بماء مجرور خاص، ويقبض ايجار كل منها على حدة [1]. وكانت نتيجة التقطيع هذا ان قسمت القرى الى « قراريط » اميرية معينة قامت مقام القرية الواحدة (١٥٢٦). وبينما كانت حراسة السدود ملقاة على عاتق الاسياد والاقطاعيين، على زمن المماليك، اصبحت في عهد العثمانيين من واجبات الفلاحين انفسهم [2]. لذلك السبب اضمحلت القرية المصرية بينما ظلت القرى اللبنانية والسورية والفلسطينية محتفظة بكيانها ووحدتها حتى القرن التاسع عشر، اي بعد تلك بقرن. فما كاد القرن الثامن عشر يبزغ للوجود حتى غدا كل فلاح

١ نويري، م ٨، ص ٢٤٩ – ٢٥٢. صبح، م ٣، ص ٤٥٨، س ٧ – ١٧. C. I. A.، م ١، ص ٣٥٨، رقم ١٤.

٢ ظاهري، ص ١٢٩. صبح، م ٣، ص ٤٤٩. خطط، م ١، ص ١٠١. جبرتي، م ٤، ص ٢٩٣، س ٦.

يضرب الحدود بينه وبين جيرانه فيستقل مسؤولاً وحده عن الأرض التي يحرث . ولم يشذ عن القاعدة الا بعض المقاطعات في مصر العليا حيث ظل نظام الاقتسام السنوي سائراً ، ولكن كل عضو من المجتمع كان له اذ ذاك حصة معينة مختصة به [1] .

وطريقة التقسيم هذه ادت بطبيعة الحال الى ازدياد في التفاوت بين الفلاحين من الناحية الاقتصادية : فبينما كان « المشايخ » في القرى معفيين من « الميرة » ، يؤجرون في الغالب " الرزق الاحباسية " ويستولون على جميع الأراضي المجاورة التي لم يعرف اصحابها بالضبط ، اي بينما كانوا يملكون ارضاً تتجاوز مساحتها الف فدان [2] ، كان غيرهم من الفلاحين المزارعين لا يملك شبراً واحداً فيشتغل كفاعل زراعي مأجور ليكسب قوته [3] ، كل هذا لأنه لم يدفع

١ Reynier, loc. cit.

٢ جبرتي ، م ١ ص ١٨٠ ، س ٢٦ ، م ٤ ، ص ٦١ ، س ١٣ — ١٥ ، ص ١٢٣ ، س ٣٢ ، ص ٢٠٩ ، س ٢٧ ، ص ٢١٠ ، س ٢٣ .

٣ جبرتي ، م ٤ ، ص ٢٧٤ ، س ١٠ — ٢٨ ، ص ٢٩٣ ، س ٩ —

« للملتزم » ايجار ارضه في الموعد المضروب .

اما المماليك الاقطاعيون فكانوا يزورون اقطاعاتهم تفقداً ويمكثون فيها ولو وقتاً قصيراً [1] . وفي بعض الأحيان يعين الأمير مملوكاً من اتباعه يدير اقطاعته [2] او قرية واحدة منها [3] ويعرف « بالمتحدث » ، واحياناً يرسل من قبله « قاصداً » لجمع « الخراج » او لاقتراح جديد وهدف آخر [4] . ولكن الامراء لم ينسجوا على هـذا المنوال في

١٠ ، Ryme ، ص ٢٧ .

١ ابن اياس ، م ١ ، ص ٢٤٤ ، س ٦ ، م ٢ ، ص ٢٨٨ ، س ٤ ، ص ٢٨٩ ، س ١ ، م ٤ ، ص ١٠٤ ، س ١٧ – ١٨ ، ص ١٢٥ ، س ٦ – ٨ ، ص ٤٢٩ ، س ١٩ – ٢١ . حوادث ، ص ١٠٥ ، س ٣ – ١٠ ، ص ٤٥٩ ، س ١٢ . منهل ، م ١ ، فقرة ١٦٥ ، م ٢ ، فقرة ١٠٦ ، ١١٤ ، ١٧٥ ، م ٣ ، فقرة ١٠٦ ، م ٤ ، فقرة ٨٧ . سلوك ، م ١ ، ج ٢ ، ص ٢٧ ، ص ١٥١ . ابن عبد الظاهر ، ص ٢٩ ، س ١٣ . سخاوي ، م ٢ ، ص ٢٧٥ ، س ١٠ .

٢ منهل ، م ١ ، فقرة ٢٠٥ ، س ١٢ ، م ٣ ، فقرة ١٧٠ ، س ٦ .

٣ وامسى معروفاً بـ «شادّ» : سخاوي ، م ٥ ، ص ٢٦٦ ، س ١٠ . ابن اياس ، م ٤ ، ص ٢٧١ ، س ١٧ – ١٩ ، م ٥ ، ص ٣٧٨ ، س ٨ – ١٠ .

٤ نجوم ، م ٦ ، ص ٦٥٢ ، س ١ ، ص ٨٣٠ ، س ١٩ . حوادث ،

لبنان وسوريا وفلسطين نظراً لمبدأ المقاسمة الذي ما زال كائناً في هذه البلدان. فكان السيد، او من ينوب عنه، يجد نفسه مضطراً للاشراف على الاعمال الزراعية من البدء حتى النهاية [1]. اما في مصر فاهم الأشياء التي كانت تستدعي وجوده هو «تخضير البلاد». و«تخضير البلاد» [2] معناه فرش السماد في الأراضي المزروعة بغية ازدهار الموسم وازدياد الغلة وبالتالي ارتفاع الخراج المفروض [3]. لذا كان يشرف عادة بنفسه على «التخضير». وبعد التخضير تقدر غلة الأرض على حساب «الفدان»

ص ٣٥٥، س ٣، ص ٦٥٤، س ٨. ابن اياس، م ٥، ص ٨٠، س ٥، ص ١٣٠، س ٢٠.

١ نويري، م ٨، ص ٢٥٧، س ٤ - ٥، ص ٢٥٨، س ٣-١٠.

٢ صبح، م ٦، ص ٢٨٨، س ١٥ - ١٦، م ٧، ص ١٥٨، س ٨ - ١٠. نويري، م ٨، ص ٢٤٨، س ١١ - ١٢، ص ٢٤٩، س ١١، ص ٢٥٠، س ١، ص ٢٥٠، س ٩. حوادث، ص ١٣٥، س ٥. جبرتي، م ٤، ص ٢٩٣، س ٨.

٣ صبح، م ٣، ص ٤٥٠ - ٤٥٤. خطط، م ١، ص ١٠٠، س ٢٨.

الواحد شرط ان لا يكون معدل الأرض المزروعة اقل من الأرض التي زرعت في العام الأسبق .

اما اذا كان هنالك تغيير طارىء على مساحة تلك الأرض من جراء فيضان النيل السنوي فيلجأ عمال الامراء الاقطاعيين الى اجراء تقديره وزيادته على حساب ارض السنة الفائتة [1] . وعلى الفلاح ان يدفع المال المقروض الى عمال سيده عن غير طريق جمعية القرية التي يقطنها [2] . ولكل سيد حق شرعي باستغلال اقطاعته حسبما اراد [3] وكيفما شاء (ولكن الطابع الموقت، للارض المتصرف بها، يحرمه في اغلب الأوقات من ادعاء استملاكها حقاً ملكاً له لا يناقضه فيه منازع) .

١ نويري ، م ٨ ، ص ٢٤٩ ، س ١٢ ، ص ٢٥٢ ، س ٣ . صبح ، م ٣ ، ص ٤٥٨ ، س ٧ — ١٧ .

٢ حوادث ، ص ٦٥٤ ، س ٤ — ٢٢ . نجوم ، م ٦ ، ص ٣٩٩ ، س ١٤ — ٢٠ .

٣ خطط ، م ٢ ، ص ٢١٧ ، س ٣١ . صبح ، م ٤ ، ص ٥٠ ، س ٨ . ضوء الصبح ، م ١ ، ص ٢٥٨ ، س ٧ .

ولم يشذ عن هذه القاعدة في حرية الزرع والاستغلال الا الأراضي التي يزرع فيها قصب السكر (وذلك نظراً لسرعة نموه) والأراضي المعدة لتكاثر المواشي (اذ ان طعام المماليك الرئيسي كان اللحوم والألبان) [1] .

ففي عهد " الالتزام " كان قسم من الممتلكات في الدولة قد خصص " للوصاية " (جمعها وصايا واوصية) [2] والوصاية كناية عن ارض مملوكة [3] يعهد صاحبها الى عبيده بحراثتها [4] .

١ صبح ، م ١٣ ، ص ٣٤ ، ع ١ ، س ٧ – ٤ . ابن اياس ، م ١ ، ص ١٥٦ ، س ٢٠ ، ص ١٩٨ ، س ١١ . منهل ، م ٢ ، فقرة ٢٥ ، م ٣ ، فقرة ٣٦ . العباسي : آثار الاول ، ص ١٤٠ .

٢ جبرتي ، م ١ ، ص ٥١ ، س ٢٨ ، ص ١٨٤ ، س ٩ ، ١٣ ، م ٤ ، ص ٩٣ ، س ١٩ ، ٣٠ ، ص ٩٥ ، س ٢٢ ، ص ٩٦ ، س ٥ ، ص ٩٧ ، س ٣ ، ٤ ، ١٧ ، ٢٣ – ٢٧ ، ص ٢٠٧ ، س ١٠ ، ص ٢٢٨ ، س ٢٥ .

٣ جبرتي ، م ١ ، ص ٣٤٣ ، س ٢٧ – ٢٨ ، ص ٣٤٧ ، س ٢٠ – ٢٢ ، م ٢ ، ص ١٥١ ، س ٣ – ٥ ، م ٣ ، ص ١٧٣ ، س ١٥ – ١٩ ، ص ١٧٥ ، س ٢٠ – ٢٧ ، ص ١٧٦ ، س ١ – ٤ .

٤ جبرتي ، م ٣ ، ص ١٧٣ ، س ٧ – ٨ ، م ٤ ، ص ٢٠٧ ، س ١٧ – ٢٠ .

اما الأراضي التي كانت باستلام المزارعين فكانت تعرف اذ ذاك « بطين الفلاح »[١]. وعلاوة على « المزارعين »[٢] كان يوجد في مصر « شركاء » . والشركاء هم جماعة من الفلاحين يزرعون ارض اسيادهم الاقطاعيين مقابل حصة ينالونها من الغلة السنوية دون ان يكون لهم حق التصرف والبقاء في تلك الأرض رغم ارادة السيد . فاذا حدث ما اغضبه عليهم ، امر بكف يدهم[٣] في الحال وارغمهم على ترك الأرض المذكورة . غير انه في سوريا وفلسطين لم يكن ملاكاً الا من كان زعيماً قبلياً . اما في لبنان فكانت الأرض تعد ملكاً لكل المزارعين الأسياد وكانت قوانين الاستغلال

١ جبرتي ، م ٤ ، ص ٨١ ، س ٢٧ ، ص ٢٠٩ ، س ٣ — ٤ .
J. A. ، السلسلة السادسة ، م ١١ ، عام ١٨٦٨ ، ص ٢٦٥ .

٢ جبرتي ، م ١ ، ص ٣٤٥ ، س ٢ — ٣ ، م ٤ ، ص ٦٠ ، س ١٥ ، ص ١٥٤ ، س ٢ ، ١٨ ، ٢٢ ، ص ٢٠٨ ، س ٢٥ .

٣ جبرتي ، ص ٣٤٤ ، س ٢٩ ، ص ٣٤٩ ، س ١٣ (راجع عن سوريا : P. E. F. Q. S ، عام ١٨٩١ ، ص ١٠٥) في م ٤ ، ص ١١٢ ، س ٢ ، وفي ص ١٩١ ، س ٢٩ . هذه العبارة لها المعنى نفسه الذي ورد في مصادر المماليك : « الاسياد الذين يملكون قسماً من نفس القرية » .

تطبق على طريقة المشاركة و « الشركاء » [١] ، زد عليه انه في ما يختص بالمماليك الاقطاعيين كان السلطان يشترط عليهم ان لا تكون الأرض المزروعة في اقطاعهم اقل مساحة في آخر سلطنته مما كانت عليه في بدء عهده . لذا فانهم كانوا يتلقون فيه التعليمات البينة فيما يختص بهذا الواقع [٢] .

وشأن الاقطاعية في اوروبا [٣] هكذا كانت حكومة المماليك الرئيسية في مصر تفرض الضرائب على عبيد اتباعها . وكثيراً ما تجلت تلك الضرائب بقالب غير عادي . اما موقف الأسياد الأتباع فكان موقف امتعاض واستياء مرير اذ ان هذه الضرائب كانت تنقص من مدخولهم السنوي

١ بنو الخازن وبنو ارسلان كانوا يعرفون « بامراء الزيتون » (Mariti ، ص ١٥ . ميخائيل ، ص ١٠٩ ، س ١٣) .

٢ ابن اياس ، م ٤ ، ص ١٠٤ ، س ١٧ - ١٨ . حوادث ، ص ١٠٥ ، س ٣ - ١٠ .

٣ السر بول فينوغرادوف: الاقطاعية (تاريخ كامبردج، الجزء ٣). ص ٤٧٩ .

فتمس مصالحهم الشخصية في الصميم [1] . ولم تتبدل الحال قط على عهد العثمانيين . وبين رجال « الملتزم » الرسميين لا بد لنا ان نذكر ممثله الذي يطلق عليه نعت « القائمقام » ولقب « كاشف الناحية » اذا عين في قرية يملكها سيد اقطاعي واحد . كما انه لا بد لنا ان نمر على ذكر "المعينون" وهم موفدو الاقطاعي الشخصيين ، و "الصيرفي" او "الصراف" وهو الممثل الذي يشرف على جمع الاغلال ، و « الغفير » الحارس للمنطقة ، و « المشد » الذي ربما كان يناظر تطور الاشغال الزراعية وطريقة العمل [2] .

١ ابن اياس ، م ٢ ، ص ٢٥٢ ، ٢٦٢ ، ٣٠٢ ، م ٤ ، ص ٤٩ ، ١٥٣ ، ٢٢٨ ، ٢٩١ ، ٣٢٩ ، ٣٣٣ . قدوم الكشاف (م ٤ ، ص ٢٦٢) = ضريبة لحكام الناحية . شياخة (م ٤ ، ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٣٩٠) = ضريبة مفروضة من السلطة على زعماء القبائل المجاورة ، ص ٣١٩ ، ٣٥٤ ، ٤٢٨) .

٢ جبرتي ، م ١ ، ص ١٨٠ ، ١٨١ ، ٣٠٥ . م ٤ ، ص ١٠٩ ، ٢٠٧ – ٢٠٨ ، ٢٩٣ .

نهاية الاقطاعية

على اثر غزوة الجيوش الفرنسية لمصر عام ١٧٩٨ انتهى حكم المماليك في مصر السفلى . وبعد رجوع العثمانيين عام ١٨٠١ احتل اجراؤهم الألبان مصر السفلى بقيادة محمد علي الذي اصبح في عام ١٨٠٥ حاكماً عاماً على مصر [١] والذي خلق بعد عام ١٨١٣ جيشاً نظامياً جديداً (النظام الجديد). وقد اصبح هذا الجيش فيما بعد مؤلفاً من جنود فتيان حديثي العهد بالجندية . اما الافواج السبعة اي الافواج العسكرية القديمة فقد تركت لها امتيازاتها فيما يتعلق بالرواتب [٢]

١ نشرت الاوامر الاولى في ٢٥ شعبان عام ١٢٣٠ هـ. (جبرتي ، م ٤ ، ص ٢٢٢) . وبعد عامين اخذت اجراءات اخرى اشد عنفاً .

٢ في عام ١٨٠١ خفضت الجامكية الى ثلثيها وابدلت غلال الانبار بمنحة مادية (جبرتي ، م ٣ ، ص ٢١٣ ، س ٣ - ١٣) .

وبالاشتراك في الديوان . ولقد انتخب ممثلو هذه الأفواج بالاشتراك مع المشايخ الروحيين محمد علي حاكماً عاماً أعلى [1] . بيد انه في عام ١٨١٤ خسرت هذه الأفواج امتيازاتها الوراثية مما ادى الى اختفاء اثرها تدريجياً بعد موت اعضائها [2] . وفي مصر العليا ظل المماليك اسياداً مطاعين ، وتوصل امراؤهم بمؤازرة الجيوش الألبانية في عام ١٨٠٣ لاستلام زمام الحكم في القاهرة لشهور عديدة .

وفي عام ١٨٠٧ انشق على المماليك احد قوادهم شاهين بك الالفي ، فكافأه محمد علي باعطائه التزاماً كبيراً شاسعاً مؤلفاً من ضاحية الفيوم وثلاثين قرية في ضاحية « البهنسا » وعشر قرى في ضاحية الجيزة [3] . وفي عام ١٨١١ غزا محمد علي جيوش المماليك فدحرهم وشرد فيالقهم واعدم

١ جبرتي ، م ٣ ، ص ٣٢٩ — ٣٣٠ .

٢ جبرتي ، م ٤ ، ص ٢٥٦ ، س ٢٧ — ٢٨ .

٣ جبرتي ، م ٤ ، ص ٧٣ ، س ٧ — ١١ ، ص ١١٣ ، س ٧ — ٨ ، ص ١١٦ ، س ٢٦ — ٢٩ .

شاهين بك الألفي وجنوده السواري كما انه دحر امراء الجنوب ومماليكهم حتى السودان حيث اصبحوا هنالك اصحاب زراعة الذرة البيضاء [1] . وعام ١٨١٦ عفى عنهم تدريجياً وسمح لهم بالعودة الى مصر ، فعادوا جماعات تلو اخرى وسمح لهم بالتوظف والنفقات . اما استلام الأراضي [2] فبقي عليهم محظوراً .

وبين عام ١٨٣٣ — ١٨٣٥ حل محمد علي الجيوش العسكرية الاقطاعية في سوريا وفلسطين ولبنان وذلك بتجريده السكان من السلاح بالقوة دون تمييز بين الأشراف والأعيان وسواهم ، وادخل نظام التجنيد العسكري [3] .

١ جبرتي ، م ٤ ، ص ٢٦٤ ، س ٥ .
٢ جبرتي ، م ٤ ، ص ٢٤٦ — ٢٤٧ ، ٣١٠ ، ٣١٧ — ٣١٨ .
٣ شدياق ، ص ٥٨٢ — ٥٨٤ . ميخائيل ، ص ٥٥ ، س ١٨ .
في عام ١٨٣٥ تألفت في لبنان مليشيا مسيحية واصبحت في الحال قوة سياسية تفوق قوة الاشراف المجردين من السلاح (شدياق ، ص ٥٨٥) . وفي عام ١٨٤٠ ثارت هذه المليشيا على الامير (ص ٥٨٩ ، س ٦) واعلنت برنامجاً سياسياً ديمقراطياً (ص ٥٩١ ، س ١٨ — ٢١) . وبعد عام ١٨٤٢ تسربت الى كل قرية تحمل اتجاهاً

ولعشرات الايام ظل الملتزمون يستخدمون المرتزقة لجمع الضرائب. غير ان الجيوش النظامية كانت اوفر عدداً واحسن عدة، كما ان هؤلاء المرتزقة اصبحوا جزءاً من القوات الحكومية، وقد وضعتهم الحكومة تحت تصرف المزارعين بصورة موقتة [1].

ولم يكن القضاء على الجيوش العسكرية الاقطاعية سوى مقدمة لحل النظام الاقطاعي فيما يتعلق بالاراضي. وهنا نشب خلاف في الرأي بين المسؤولين الفرنسيين في

حربياً على الدروز ولها في كل قرية ممثل (شيخ الشباب) من غير ابناء الزعامة الموروثة (ص ٧٠١ ، س ٨ – ٩).

١ بعد عام ١٧٧٨ اصبح المرتزقة السوريون والفلسطينيون يعرفون بـ « الموارة » (تشبهاً بقبائل البدو المصرية) وليس من الضروري ان يكونوا من المصريين (P. E. F. Q. S. ، عام ١٩٠٦ ، ص ٢٢٢ – ٢٢٣ ، ٢٨٨ . Finn ، م ١ ، ص ١٦٦ – ١٧١ . ميخائيل ، ص ٤٦ ، ٧٨ . شدياق ، ص ٥٨٨) . ومن القابها السابقة دولات (مفردها دالي) ولاوند (Volney ، م ٢ ، ص ١٣٢ – ١٣٣) . وفي القرنين السادس عشر والسابع عشر كان لها لقب سكبان او سكمان اي القناصة (Hammer ، م ٢ ، ص ٧٠٦ .

مصر عما اذا كانت "الالتزامات" تعتبر ممتلكات اقطاعية كتلك التي الغيت في فرنسا اثناء الثورة (ولقد اوضح هذه النظرية مؤخراً الجنرال Reynier في كتابه :

« De l'Egypte après la bataille d'Héliopolis »)

او انها تعتبر ممتلكات عشرية خاصة لواضعي اليد الذين حدد الاستبداد العثماني [1] حق ملكيتهم فيما بعد . وبعد جدال تغلبت النظرية الثانية وأخذ بها باعتبار انها تكفل السلم الداخلي في البلاد وتدعم النظام الجديد المتعلق بالشيوخ الروحيين اكثر من النظرية الاولى ولأن الاصلاحات الاساسية كانت معرضة لتضع تصدير القمح الى فرنسا

شدباق ، ص ١٣١ – ١٣٣ ، فقرة ٢٥٦) .

١ قبل ساسي Sacy بهذه النظرية فيما بعد .

« Sur la nature et sur les révolutions du droit de la propriété territoriale en Egypte » (Mémoire de l'institut de France, 1818 - 1823).

واعترض عليها Worms في Journal Asiatique ١٨٤٢ – ١٨٤٤.

واستطاع نابليون ان يجدها في Volney (م ١ ، ص ١٧٢) ويستعملها في نشراته .

ونمو مزروعات المنطقة الاستوائية في حالة خطرة [1]. وعليه اصبح الملتزمون متساويين مع اصحاب الممتلكات العشرية الخاصة واستلم كل ملتزم بعد التثبت من حقه الشرعي حجة شرعية تعلم بانه المالك الشرعي لأراضيه وممتلكاته [2].

اما املاك المماليك في مصر السفلى والأراضي التي لم يتمكن واضعو اليد عليها من اثبات حقوقهم فيها فاصبحت كلها اراض وطنية [3].

غير ان الآمال المعقودة على سياسة تقسيم الأراضي

١ وهذه التدابير كانت الاسباب الاقتصادية الرئيسية للحملة العسكرية الفرنساوية . جبرتي ، م ٣ ، ص ٤ ، س ٢٦ ، ص ١٦٩ ، س ٢١ – ٢٥ . Marcel ، ص ٢٤٩ – ٢٥٠ . ريم Ryme ، ص ٩ ، ١٠ ، ٢٩ ، ٣٣ ، ٨٥ ، ٨٦ .

٢ P. G. Elgood مغامرات نابليون في مصر ، اوكسفورد ، عام ١٩٣١ ، م ١٣ . جبرتي ، م ٣ ، ص ١٦ ، س ١٩ – ٢١ ، ص ٢٠ ، س ٢ – ١٢ ، ص ٢٣ ، س ٣٠ – ٣٣ .

٣ التاريخ العلمي والعسكري للحملة الافرنسية في مصر ، م ٤ ، ص ٩٢ . جبرتي ، م ٣ ، ص ٥ ، س ٢٢ – ٢٤ ، ص ٢٠ ، س ٧ – ٩ ، ص ١٤٠ ، س ٢٤ (اطيان الجمهور) ، ص ١٥٤ ، س ١٣ . (املاك الجمهور) .

بين الناس سرعان ما فشلت وذلك اولاً بسبب الحصار البحري الذي منع اية تجارة مع فرنسا ، ثانياً بسبب ثورة الفلاحين التي ارغمت السلطات الفرنسية ان تدافع عن نظام الالتزام بقوة السلاح [١] . وفي عام ١٨٠٠ — ١٨٠١ تظاهر القائد الأعلى مينو Menou بتحزبه للسياسة المعاكسة وكان هدفه في ذلك توسيع مدى الممتلكات الوطنية وضمها تدريجياً الى الالتزامات [٢] .

اما العثمانيون فانهم بعد تردد وحيرة [٣] احتفظوا بنظام الالتزام السابق والغوا نظام الاملاك الوطنية ، كما وضعوا

١ جبرتي ، م ٣ ، ص ٣٠ ، س ٢٣ ، ص ٣١ ، س ٢٩ — ٣٠ . ريم Ryme ، ص ٧٣ .

٢ جبرتي ، م ٣ ، ص ١٣٩ ، س ٣٠ ، ص ١٤١ ، س ٨ ، ص ١٧٩ ، س ٢٠ — ٢٢ . كان مدخول الاراضي الوطنية عام ١٨٠٠ ثلاثة اضعاف ما كان عليه عام ١٧٩٩ ، بينما مجموع مداخيل الدولة نقص باقل من الثلث (عمر طوسون ، ص ٣٦ — ٣٧) .

٣ جبرتي ، م ٣ ، ص ١٩٠ ، س ١٧ — ١٨ ، ص ١٩٣ ، س ٢٥ — ٢٦ ، ص ١٩٤ ، س ٤ — ٧ ، ص ١٩٥ ، س ٢ — ٤ ، ص ١٩٦ ، س ٢٧ — ٣٢ ، ص ١٩٨ ، س ٦ ، ص ٢٠٢ ، س ٢٩ .

حداً نهائياً للبند المعروف بـ "خزانة بند" للاراضي [1]. بيد ان الزيادة التي فرضها المسئولون على الفلاحين [2]، والضرائب المباشرة التي اضافوها ، وجمعهم النصف عن ضريبة الميري لسنتين قبل الوقت المعين [3]، وقبضهم جزءاً من الفائدة السنوية (منذ ١٨٠٥) لدفع مصاريف الجيش والادارة [4] — كل هذه الأسباب كانت عاملاً لجعل هذا النظام التقليدي عسير التطبيق .

وفي عـــام ١٨١١ صودرت كل التزامات المماليك والالتزامات الاخرى التي كانت من قبل في حوزة امراء

١ جبرتي ، م ٣ ، ص ٩٤ ، س ٩ — ٢٠ .

٢ جبرتي ، م ٣ ، س ٢٣٤ ، ٢٦٣ ، ٢٦٩ ، ٣٠٨ — ٣٠٩ ، ٣١٣ ، ٣١٧ ، ٣١٩ ، ٣٢٩ ، ٣٣٨ ، ٣٤٣ — ٣٤٤ ، م ٤ ، ص ٧ ، ٨ ، ١٤ ، ١٨ ، ٦٦ ، ٨٨ — ٨٩ الخ .

٣ جبرتي ، م ٢ ، ص ١٧٩ ، س ٤ ، م ٣ . ص ١٩٤ ، س ٨ — ١١ ، ص ٢٣٤ ، ٢٨٨ ، ٢٩٦ ، ٣٢٦ ، ٣٢٩ ، ٣٤٧ ، م ٤ ، ص ٢٠ ، ٦٩ .

٤ جبرتي ، م ٣ ، ص ٣٤٥ ، س ٢٤ — ٢٧ ، م ٤ ، ص ١٠ ، ١٤ ، ٦٠ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ .

القطاع الجنوبي واعتبرت خسائر حربية او « المضبوط » [1] .

وفي عام ١٨١٣ يوم حارب المرتزقة [2] الوهابيين في شبه جزيرة العرب ، صدر مرسوم بمصادرة الالتزامات جمعاء وعوض على واضعي اليد بمرتب يوازي الفائدة السنوية السابقة (الفايظ [3]) وهذا المرتب كان لمدى الحياة . ولقد أصلح هذا المرسوم بعد عودة جيوش المرتزقة كما يلي : « يحق لمن شاء من الملتزمين استرجاع التزامه بدلاً من المرتب المذكور آنفاً . » غير ان حجم الالتزام تضاءل

١ جبرتي ، م ٤ ، ص ١٥٣ ، س ٢٧ ، ص ١٥٤ ، س ١٤ ، ص ١٨٣ ، س ٢٧ — ٢٩ .

٢ كثيرون من المرتزقة الالبان كانوا اذ ذاك ملتزمين . جبرتي ، م ٣ ، ص ٣٤٧ ، س ٣ — ٧ ، م ٤ ، ص ١١ ، س ١٧ ، ص ٢٢٩ ، س ٤ — ٥ .

٣ جبرتي ، م ٤ ، ص ٢٠٣ ، س ٣٠ ، ص ٢٠٤ ، س ١٨ ، ص ٢٠٧ ، س ٨ — ١٣ ، ص ٢٢٢ ، س ٦ — ٨ . تلك الالتزامات الكائنة في مصر العليا والتي لم تدخل في ثورة امراء الجنوب حصلت ايضاً على تعويض مشابه في عام ١٨١١ . ص ١٥٤ ، س ١١ . وقد سبق لمحمد علي بان حل بالطريقة نفسها مشاكل الملتزمين المعقدة . ص ١٠٩ ، س ٣٠ — ٣١ .

بسبب تعديل وتنقيص مساحة الفدان الارضي في تلك السنة . اما الميري فلم يطرأ عليها تبديل ما ، وبقي للملتزم الحق بجمع « المال الحر » فقط [1] .

وفي الوقت نفسه الغى محمد علي الرزق الجيشية [2] واصبحت مصر بمثابة التزام واحد كبير يتولى امر زراعته

[1] جبرتي ، م ٤ ، ص ٢٢٨ ، س ٤ ، ص ٢٢٩ ، س ٨ ، ص ٢٥٦ ، س ٢٧ – ٢٨ .

[2] في عام ١٨٠١ وضعت عليها لاول مرة ضريبة صغيرة منظمة « مال الحماية » (جبرتي ، م ٤ ، ص ٩٤ ، س ٣٠ – ٣٣) . وفي عام ١٨٠٩ جرب محمد علي فرض الميرة على هذه الاراضي في البحيرة (ص ٩٣ ، س ١٧ – ٢٦ ، ص ٩٥ ، س ٦ ، ٢٢ ، ص ٩٦ ، س ٥ ، ص ٩٧ ، س ٣ – ٤ ، ١٧) . وفي عام ١٨١١ اصبح هو المتدرك المطلق الصلاحية في مصر العليا وفرض عليها ضريبة ميري خفيفة ، وصغّر حدودها قليلا (ص ١٤١ ، س ٣١ ، ص ١٤٢ ، س ٤ ، ص ١٥٣ ، س ٢٩ ، ص ، ١٥٤ ، س ٢ ، ص ١٨٣ ، س ٣٠ ، ص ١٨٤ ، س ٢٥) . وعام ١٨١٣ جرى تخفيض اضافي على كل مصر (ص ٢٠٨ ، س ٢٣ – ٢٥ ، ص ٢٠٩ ، س ٤) . وبعد ذلك اوقف محمد علي الباقي بعد موت اصحاب العلافة . وبعد الفتح العثماني لسوريا وفلسطين ابطل حكم اعتبارها كاراض من صنف خاص واصبحت نواة لما يعرف بـ « وقف غير صحيح » . وهي اراض تدفع الجزية

الحاكم العام [1] . اما الأراضي العشرية الخاصة والأوقاف التي يديرها الحاكم العام والأراضي الاوسية التي احتفظ بها الملتزمون السابقون [2] ، فخضعت لنظام خاص بها . واصبحت وضعية واضعي اليد على غير هذه الأراضي تشبه وضعية واضعي اليد على « طين الفلاحة » في نظام الالتزام ، اي انهم اصبحوا ذوي حق ببيع الأراضي وشرائها ولأسيادهم الحق عليهم بفرض نوع الغلال المتوجبة زراعتها ، وبحق بيع حاصل هذه

وتستولي الدولة على مداخيلها وتنفقها على مشاريع البر (من هذه الاراضي تتألف اليوم املاك الاوقاف) . وطالما حدت الضرورة لدفع مصارفات الجيش التي كانت سبباً لالغاء الرزق الجيشية في مصر بسلاطين المماليك ليلغوا الاوقاف ويقسموها اقطاعات عسكرية ، لكنهم رضوا ، تحت ضغط رجال الدين ، بحجز مداخيل الاوقاف بصورة موقتة . ابن اياس ، م ١ ، ص ٢٦٧ ، ٣٣٠ ، م ٢ ، ص ٩٧ ، ٢٥٧ ، ٢٦٨ – ٢٦٩ ، م ٤ ، ص ١٤ – ١٥ ، ١٨ ، م ٥ ، ص ١٢٤ ، ١٧٣ . نجوم ، م ٦ ، ص ٤٧ ، ٦٩ . حوادث ، ص ٦٣٦ .

١ جبرتي (م ٤ ، ص ٢٤٢ ، س ١) يلقبه بـ « حاكم مصر وصاحبها واقطاعها » .

٢ جبرتي ، م ٤ ، ص ٢٠٧ ، س ١٠ – ١١ ، ص ٢٢٨ ، س ٢٤ – ٢٨ .

الغلال كما ان للاسياد الحق بتجريد المتأخرين عن دفع الخراج من اراضيهم . ومهما يكن فسلالة محمد علي بدلت من خطته القائمة على المراقبة الصارمة والاحتكار . ولهذا اصبحنا نجد كثيراً من الأراضي تباع لغير الملتزمين ، اي للذين لم ينتسبوا يوماً الى صف الملتزمين في عهد الاقطاعية . اما ضريبة الأراضي الخراج فقد اضحت شبيهة بضريبة الأراضي العشرية الخاصة [1] التي لم تخضع لنظام الاقطاع قبلاً . فمستأجرو اراضي الخديوي [2] مثلاً اصبحوا تدريجياً متملكين فيها .

وفي عام ١٨٧٩ فصلت موازنة الخديوي الخاصة عن موازنة الدولة ، وذلك اثر انشاء مصلحة الجدول المدني . وفي عام ١٩١٤ بعد الغاء الجزية السلطانية العثمانية أسدل الستار على آخر أثر شرعي لنظام الاقطاع في مصر .

اما في سوريا وفلسطين فقد الغى محمد علي نظام

١ كرومر ، ص ٢٣ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٤ ، ١٣٢ .

٢ جبرتي ، م ٤ ، ص ٢٠٧ ، س ١٣ : « فلاحو الباشا » ، اي « عبيد الباشا » .

الاستئجار وزراعة الأراضي السلطانية في عام ١٨٣٨ [١] .
وفي العام التالي حذا السلطان حذوه ، واعلن ذلك في كل انحاء سلطنته . فاسترجع الأسياد القدماء اراضيهم التي حرثها عمالهم و « شركاؤهم » ، اما الأراضي التي زرعها السكان المقيمون الدائمون فغدت باستلام ابناء القرى الذين استلموها مباشرة من الدولة .

وحلت ضريبة الاعشار تدريجياً [٢] محل الميري واصبح مزارع القرية يدفع هذه الضريبة الجديدة سنوياً . اما متزعم القرية وسيدها في عهد الاقطاع فظل بالواقع على ما كان عليه من نفوذ سابق رغماً من انه لم تبق له اية سلطة

١ رستم ، م ٣ ، ٤ ، ص ٧٦ – ٧٩ (لاسيما ، ص ٧٨ ، س ٦) .
٢ وفي اثناء فترة الانتقال كان على الفلاحين ان يدفعوا الضريبتين معاً . في عام ١٨٩٤ كانت الميري ضريبة نقدية من ٣ – ٥ بالمئة من ثمن الاراضي يدفعها ملتزم القرية الى الخزينة مباشرة . واما ضريبة الاعشار فكانت تجمع حسب النوع ، وجامعو الضرائب كانوا يجمعون بالواقع ٣٣ بالمئة من الغلال بدلاً من ١٠ بالمئة . برغهايم Bergheim في P. E. F. Q. S. عام ١٨٩٤ ، ص ١٩٧–١٩٨ .

شرعية على القرية الا اثناء جمع الضريبة [١] .

وفي جبل الدروز ظل آل الاطرش اسياد الاراضي كلها حتى ثورة الفلاحين عام ١٨٨٦ — ١٨٨٧ حيث اصبح لكل رئيس محلي في كل قرية حصص تتراوح بين ربع اراضي القرية وثمنها، واما القسم الباقي فملك للفلاحين [٢] .

ولما اجريت عملية تطويب الأراضي البادئة عام ١٨٦٠ والمستمرة حتى اوائل القرن العشرين ، قسمت الأراضي العامة الى ممتلكات خاصة واصبح لواضعي اليد الحق ببيعها لابناء المدن او ابناء القرى الاخرى . وفي الواقع فان كثيراً من القرى بقيت متلبسة بصبغة وضع اليد وسجلت اراضيها تسجيلاً وهمياً على اسم اربعة او خمسة اشخاص بارزين [٣] فيها . اما الأراضي غير المزروعة فقد ابتاعها من

١ Finn ، م ١ ، ص ٢٢٨ — ٢٣٥ ، ٣٠٥ — ٣٠٧ ، ٣١٦ .

٢ بورون ، ص ٢١٤ — ٢١٥ ، ٣٣٣ — ٣٣٤ . تونبي A. J. Toynbee ، في العالم الاسلام منذ استقرار السلم ، اوكسفورد عام ١٩٢٧ ، ص ٤٠٨ .

٣ P. E. F. Q. S. ، عام ١٨٩١ ، ص ١٠٥ ، عام ١٨٩٤ ، ص

الخزينة العامة اشخاص ذوو مال ونفوذ بينهم عـدد كبير من موظفي الدولة (وهنا ادخل لقب « افندي » الى اللغة العامة واصبح مرادفاً « لصاحب مقاطعة ») .

وكان نصيب القرى التي اسسها محمد علي (١٨٣١ — ١٨٤١) وألحقها باملاكه واغفل عن تسجيلها المسؤولون الاتراك [١] ، شبيهاً بنصيب هذه الأراضي .

١٩٥ . الفنت L. Oliphant ارض جلعاد ، نيويورك ، عام ١٨٨١ ، ص ٨٦ ، ١٨٤ ، ٢٤٨ . لوك وكايث روقش H. C. Luke and Keith-Roach » في « المختصر عن فلسطين » ، الطبعة الثالثة ، ص ٢٦١ — ٢٦٢ . وحسب زعم دلمان G. Dalman في كتابه Arbeit und Sitte in Palastina ، م ٢ ، ص ٣٦ ، عام ١٢٣٢ . ان التطويب ابتدأ منذ عام ١٨٦٣ ومنذ ذلك الحين اصبحت حجة ملك واضع اليد معروفة بـ « قوشان » . واستلم الملتزمون ونيقتين الاولى من الصدر الاعظم واسمها « شرطنامه » (رستم ، م ٢ ، ص ٢٥ ، س ١١ ، ص ٥٣ ، س ٩) ، والثانية من القاضي واسمها « حجة » . (الامثال في رستم ، م ١ ، ص ١٢١ — ١٢٣ ، م ٢ ، ص ٢٤ — ٢٦ ، ص ٦٩ — ٧٠) .

١ لم يراجع الجدول باسماء القرى التي سجلت لدفع الميري المنظمة في عهد محمد علي حتى وقت التطويب (فين Finn ، م ١ ،

ولما كانت اكثرية القرى متجمعة على الضواحي الجبلية والتلال [1] اصبحت السهول والاقطاعات المتاخمة للصحراء هي المناطق الرئيسية للاقطاعات الهامة [2] .

اما لبنان فقد كان ابداً ثائراً مجاهداً ضد الاقطاعية ونابذاً لها . واهم تواريخ المقاومة هي : اولاً : في عام ١٨٤٤ — ١٨٤٨ [3] الغاء عدم المساواة في دفع الميري .

ص ١٧٢) . ألفنت Oliphant في كتابه على سهل اسرائيل Esdraelon ، ص ٢٧٧ — ٢٧٨ .

١ لتكون بأمان من الرحل وجيوش المأجورين . Mariti ، ص ١٦٤ . فولني ، م ٢ ، ص ٦٨ ، ٣٣٦ — ٣٣٧ . وقد اخلي الساحل من السكان في عام ١٢٩١ بامر المماليك لكي يمنعوا الصليبيين من استعماله كقاعدة عسكرية في المستقبل . ابو الفدا ، م ٤ ، ص ٢٦ ، س ٣١ . Anonym ، ص ٢٣ ، س ١٢ .

٢ P. E. F. Q. S. عام ، ١٨٩١ ، ص ١٠٤ — ١٠٥ ,Aubagen في كتابه :

Beitrage zur Kenntnis dar Landesnatur und der Landwirtschaft Syriens، برلين عام ١٩٠٧ ، ص ٥٢ .

٣ شدياق ، ص ٧٠١ ، س ١٣ ، ص ٧١٨ ، س ٤ — ٧ ، ١٨ .

ثانياً : تحديد سلطة ونفوذ « المقطعجية » عام ١٨٤٥ حيث اكره كل مقطعجي في المقاطعات الدرزية والمسيحية على السواء بان يتقاسم السلطة مع ممثل للفئة الاخرى ، اي الشعب . ثالثاً : ثورة الفلاحين عام ١٨٥٤ ، تلك الثورة التي وضعت حداً نهائياً لامتيازات الاعيان والاشراف في لبنان الشمالي [١] . رابعاً : عام ١٨٦١ — ١٨٦٤ النظام الاساسي Règlement Organique الذي اعلن في المادة السادسة: « مساواة الجميع امام القانون والغاء كل الامتيازات الاقطاعية وخاصة امتيازات المقطعجية » .

وظل لبنان ضمن نفوذ السلطنة العثمانية دولة تدفع الجزية يحكمها شخص مسيحي عثماني من غير اللبنانيين ، وممثلوه في المناطق اصبحوا موظفين يتقاضون رواتب شهرية غير اولئك الملتزمين الجباة .

وهذا النظام الذي بقي قسراً حتى الحرب العالمية لم

١ H. Lammens سوريا ، بيروت عام ١٩٢١ ، م ٢ ، ص ١٧٧ .

يخل من منح العائلات الاقطاعية القديمة امتيازات ذات شأن تميزها عن سواها . فالمادة الثالثة من هذا النظام حتمت على الحاكم عند تعيينه ممثلاً له في منطقة من لبنان ان يأخذ بعين الاعتبار اهمية ممتلكات هذا الممثل في المنطقة ، كما ان المادة الرابعة نصت « بان يكون المجلس الاداري ممثلاً من عناصر الشعب المختلفة ومن اصحاب الأراضي والممتلكات » .

هذا فيما يتعلق بالاقطاعية . اما الخدمة الجبرية (الرق) فقضية زالت تدريجياً ايضاً على الشكل الآتي : في عام ١٨١١ اعطى محمد علي الحق لعبيد الملتزمين برفع شكواهم على اسيادهم الى ديوان اسس خصيصاً لهذا الغرض [1] ، وحرم عليهم ترك القرية دون استئذان اسيادهم [2] . وهذا الحرمان كان سبباً من اسباب الحرب المصرية — العثمانية عام ١٨٣١

١ جبرتي ، م ٤ ، ص ١٣٨ ، س ١٥ — ٣٢ .

٢ جبرتي ، ص ٨١ ، س ٢٢ ، ص ٢٠٧ ، س ١٦ . رستم (ملاحظات سابقة ، عام ١٩٢٨) ، ص ١٢ .

– ١٨٣٣ [1] ، حيث صدر مرسوم من السلطان يقر بعدم شرعية [2] هذا الحرمان . وزال أثر هذا الحرمان نهائياً عن مصر يوم عدلت سلالة محمد علي عن سياسته التي تفرض مراقبة صارمة على نشاط الفلاحين الاقتصادي ، كما انه زال عن سوريا وفلسطين اثر الفتح العثماني الثاني وكان للثوار الفلاحين شأن في ذلك .

اما في لبنان فلطالما كانت وطأة الخدمة الجبرية (الرق) اكثر اعتدالاً وظلها اخف منه في البلدان المجاورة ، ويعود ذلك في الاغلب للعلاقات النسبية والعشائرية التي تربط السيد بالمسود . وكانت ثورة ١٨٥٤ ضربة قاضية

١ وليس واضحاً ما اذا كان الباعث النهائي (حسب زعم Olberg ، ص ٥٦ – ٥٧ وكتاب معاصرين غيره) هو رفض الحاكم العام في عكا تسليم الفلاحين المصريين الهاربين لسيدهم محمد علي او (حسب زعم اسد رستم في كتابه « السجلات المصرية الملكية واسباب الحملة المصرية لسوريا » (بيروت عام ١٩٣٦ ، ص ٢٥ – ٢٦) ان اسيادهم الجدد (مشايخ القرى) لم يسمحوا لاولئك الذين ارادوا الرجوع الى مصر بالعودة اليها .

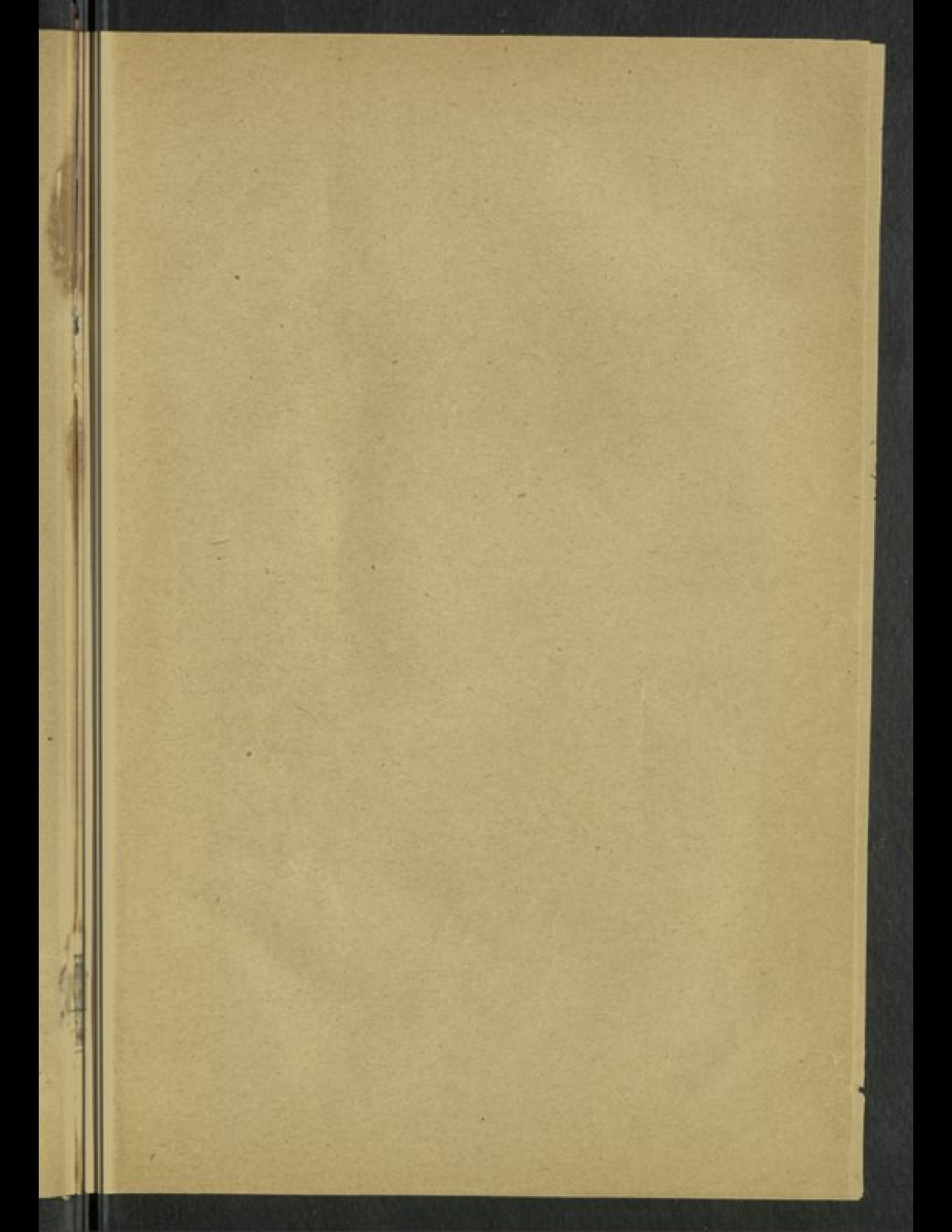
٢ اولبرج Olberg ، ص ٥٧ .

على الرق في لبنان الشمالي، كما ان النظام الاساسي أزالها
عن لبنان الجنوبي عام ١٨٦١ – ١٨٦٤ .

فهرست الاسر

شهاب
صبح (صُبيح)
طرابيه
طوقان
الظاهر
العازار
عباسيون
عبد القادر
عبد الملك
عبد الهادي
عساف
علي
عماد
عمر
فارحي
فضل
مرعاً
معصاد
معن (رمطوني)
المعين
النشاشيبي
نكد

فهرس



تصويب

خطأ	الصفحة	السطر	صواب
الخصوصيين	١٩	٤	الخصوصيون
بخلع	٢٧	١	تخلع
القبليين	٥٦	٨	القبليون
مقاطعة	٦٤	١٨	مقاطعتنا
الخراح	١٣٨	٨	الخراج
محلات	١٦٢	١٥	مواضع
لااراضي	١٧١	٣	الاراضي
الخراح	١٨١	١١	الخراج
Quaterly	١٨٩	١٢	Quarterly

انتهى طبع هذا الكتاب على مطابع نصار
في اليوم الثـامن والعشرين من اذار
سنة تسع واربعـين وتسعماية والف .

